

أصحاب الأثر | إمام العلم والعمل

عبد الله بن المبارك



مدارج السير

أصحاب الأثر

عبد الله بن المبارك

إمام العلم والعمل

تأليف وتوزيع مدارج

بيانات الكتاب والحقوق

السلسلة: أصحاب الأثر – الكتاب الأول: عبد الله بن المبارك.
التأليف والتوزيع: مدارج. اللغة الأصلية: العربية. المقاس: A5.
تأليف وتوزيع مدارج. تبين الحواشي مصادر النصوص المنقولة
ومواضعها، وترد سياسة الإتاحة على منصة مدارج.

إهداء

إلى الذين لا تغريهم صورة البطل المنفرد؛ فيرون وراء الأثر معلماً
دلّ، ورفيقاً أعان، وبيتاً له حق، وقارئاً حمل ما تعلّم إلى غيره.
وإلى من ضاق بما في يده، ثم اكتشف أن القليل إذا وُضع في
موضعه، بصدق وثبت، قد يفتح لغيره طريقاً.

تأليف وتوزيع مدارج.

نسأل الله أن ينفع به، ونرجو ممن وجد فيه خيراً دعوةً صالحةً لنا
ولوالدينا ولكل من أعان وأسهم فيه، ولو غاب اسمه.

فهرس الكتاب

5	مقدمة
7	العالم الذي كان ينتظر خطاه
14	قبل أن يصير الاسم مرجعاً
21	حين يعود السؤال
40	لمن يحمل الإنسان ما تعلم؟
48	المال الذي لا تنتهي حكايته عند صاحبه
64	حين يأخذ العلم طريقه إلى الناس
91	الذين كانوا في الصورة
100	مشاهد من أيامه
109	حين يعود الميزان إلى صاحبه
120	حين انتهت الرحلة وبقي الطريق
132	أكثر من طريق إلى النفع
144	باب: الأقوال والوصايا المأثورة
163	والآن... ماذا ستصنع بهذه الصحبة؟
210	خط زمني ودليل الأماكن
216	معجم للقارئ
221	ملحق مصادر الحواشي
262	المصادر والمراجع
269	فهارس الرجوع

مقدمة

كان عبد الله بن المبارك يحمل كتبه إلى الشيوخ، ويحمل من ماله ما يعين به أهل العلم. اتسعت حياته للتجارة والرحلة والعبادة والجهاد، وكان في كل باب منها إنساناً يتعلم ويختار ويتحمل تبعه اختياره. وراء الألقاب المشهورة رجلٌ له أصحاب وأهل، وله تعب وأسئلة، وله أيام بقي منها ما يقربنا إليه.

سنصحبه عند أبواب شيوخه وفي مجالسهم، ثم نراه وقد صار الناس يقصدونه. يراجع ما سمع، ويقول حين لا يكون قد أتقن، ويخالف من يحب، ويكسب ليجد ما ينفق. ويحمل عنه تلاميذه علماً سيجاوز المدن التي عرفها، ويبلغ أناساً لم يلقهم.

تجمع هذه الحياة بين العلم والعمل، وتكشف الطريق الذي يصل أحدهما بالآخر: وقت يبذل في التعلم، وصحبة تعين عليه، ومال يفتح لبعض الناس باباً أغلقه الفقر. لكل وجه من هذه الوجوه قصته، ولكل قصة قدرها من الثبوت، تبينه حاشيتها.

بدأ الطريق من مروه. ومن هناك نقرب من البيت والبدايات، ونمضي إلى العراق والحجاز وسائر البلاد التي حفظت أخبار رحلته. ستدخل المدن إلى القصة حين تفسر خطاه، وسيبقى هو حاضراً بأقواله وأفعاله ومن شاركوه الطريق.

ولا تُروى هذه الحياة بوصفها عمل رجل واحد. وراء الخبر من
دلّ على شيخ، ومن حمل سؤالاً، ومن حفظ كتاباً، ومن خالف،
ومن نقل، ومن نُسب إليه فضل ثم غاب اسمه من الحكاية
الشائعة. لذلك تظل الصحبة والشرافة والحقوق جزءاً من معنى
الأثر، لا هامشاً حول صاحبه.

وحين تنتهي الصحبة يبقى منها سؤال قريب: أي عمل نستطيع أن
نبدأه بما بين أيدينا؟ فالعلم الذي نعرفه، والمال الذي نملكه،
والوقت الذي نبذله قد يحمل كل منها نفعاً إلى غيرنا.

العالم الذي كان ينتظر خطاه

ولد عبد الله بن المبارك في خراسان سنة 118هـ. كان صبيّاً حين ظهرت الدعوة العباسية في الإقليم سنة 129هـ، فتغيرت الدولة حول البيت الذي بدأ فيه عمره. في مرو سيأخذ أول الطريق، ومنها ستتسع رحلته إلى أهل العلم.^{2 1}

لن نضع الصبي في مجلس سري أو على طرف معركة. لم تحفظ الأخبار موقفه من هذه الأحداث. لكن فهم المدينة التي نشأ فيها يغير قراءتنا لرحلاته وعلاقاته اللاحقة: طرق تصل خراسان بغيرها، ومجالس ينتقل بينها الناس، وبيت له أصل وولاء لا يختصرهما اسم واحد.

من هنا يبدأ السؤال: ما الذي أتاحه له عالمه، وما الذي صنعه هو داخل ما أتيح؟ الإجابة تحتاج أن نبقي تاريخ الإقليم ظاهراً، وأن نترك أفعاله الشخصية للأخبار التي تسميها.

١ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (١).

٢ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٢).

مدينة يصنع الماء إمكانها

نقترب من مرو، المدينة التي حمل ابن المبارك نسبتها. قبل أسماء الشوارع والبيوت ثمة ماء. فقد قامت الواحة على مياه المرغاب وشبكات الري، وفي موقع يصل الحركة بين أقاليم واسعة، ويجعلها مركزاً مهماً قبل الطريق الصحراوي الطويل إلى آمل.³

قام عمران الواحة على الماء. وراء حركة العابرين أهل يزرعون، وموارد يدبرونها، ومواضع يقيم فيها المسافر حتى يستأنف طريقه. في هذه الصلة بين الأرض والطريق نشأ ابن المبارك، ثم اتسعت رحلته إلى بلاد أخرى.

وهذه مرو التي نحتاجها لفهم أول السيرة: مدينة ذات وظيفة، نتصل بغيرها، وتستقبل من يصل إليها. أما أن نعين دكان ابن المبارك في سوق منها، أو نرسم زقاق بيته من خريطة أثرية متأخرة، فذلك مما لا تسمح به الشواهد. وأكثر ما تكشفه الصور الجوية من تفاصيل سلطان قلعة ينتمي إلى عصور تالية، تفصلها عنه قرون.⁴

كان المجال الحضري نفسه يتغير في القرن الثامن الميلادي. نشأ عمران جديد إلى الغرب من جياور قلعة، قرب قناة الماجان، بينما

٣ — انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٣).

٤ — انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٤).

استمر استعمال المدينة القديمة وتغير جانب من وظائفها. نحن إذن أمام مدينة تتحرك داخل موضعها، وليست خلفية ثابتة تنتظر أن يظهر فيها بطل.⁵

كانت مرو مدينة تتيح الحركة وتصل أهلها بطرق بعيدة. وفي هذه البيئة سيظهر طالب يسافر للعلم، وتاجر يحمل نفع ماله إلى أصحابه.

صبي في زمن تغير الدولة

في خراسان تنازعت قوى وأحلاف، وضعفت قبضة الحكم الأموي مع الاضطراب الداخلي. ثم برز أبو مسلم في الدعوة العباسية، وصارت مرو من مراكز التحول الكبير. لم تكن المسألة تبديل اسم خليفة باسم خليفة فحسب؛ أعادت الأحداث ترتيب صلات الإقليم بالمركز، ودفعت جماعات من خراسان غرباً، وأبقت مصالح محلية وقوى متنافسة حاضرة بعد قيام الدولة الجديدة.⁶

تغري النهاية المعروفة بأن نصور البداية خطّة محكمة سار الناس جميعاً في اتجاهها. غير أن قراءة الأخبار على هذا النحو تحو ما فيها

٥ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٥).

٦ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٦).

من صراع وتعدد. وقد اختلف الباحثون في تركيب القاعدة الاجتماعية للثورة وفي مقدار مركزية تنظيمها؛ فلا يستقيم اختزالها في جماعة عرقية واحدة، أو مصلحة واحدة تفسر الجميع.⁷

يخصنا من هذا كله أمر محدود: أن ابن المبارك نشأ في إقليم لم يكن بعيداً عن مركز الحدث. عاش طفولته وبعض شبابه في زمن تبدل سياسي، ثم امتدت حياته في الدولة العباسية. أما اختياراته الدينية والعلمية فلا تستخرج من ذلك التزامن وحده. سنحتاج إلى قوله أو فعله كلما أردنا أن نحكم على اختياره.

ترد هنا الإشارة السياقية إلى خبر الربيع بن أنس «أيام أبي مسلم». راجع نص الرواية كاملاً وتعليق مدارج في فصل «حين يعود السؤال»، فقرة «يد تدل على الطريق»؛ فوضعها هناك يحفظ الخبر من التكرار، ويبقى هنا حده السياقي دون بناء موقف سياسي لم ينص عليه.⁸

٧ — انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٦).

٨ — انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٧).

الطريق الذي يحمل أكثر من غرض

نتيح الطرق أن يسافر طالب العلم، كما نتيح أن تنتقل سلعة أو رسالة أو جماعة من الجند. وقد اتسعت الصلات بين خراسان والعراق في زمن الدولة الجديدة، ثم كان تأسيس بغداد سنة 762م من التحولات التي ارتبطت بها حركة أناس وتجارة من الشرق.⁹

حملت الطرق طالب العلم والتاجر والمسافر إلى حاجته. واجتمعت في حياة ابن المبارك الرحلة والتجارة؛ وتبين أخبار كل سفر ما حفظ من غرضه ورفقته.

عمل ابن المبارك في التجارة، وبقيت أخبار إنفاقه وصحبته أوضح من تفاصيل سلعه وحساباته. نتيح لنا دراسة الإقليم أن نعرف شيئاً من عالم التاجر الخراساني، وتبقى بضاعته بعينها خارج ما حفظته هذه المادة.¹⁰

سنجد فيما بعد خبراً عن اتجاره في البز، وله طريقه وحدوده. بذلك الخبر يمكن أن نتكلم عن نوع من التجارة منسوب إليه. أما قبل الوصول إليه فلدينا سياق يسمح بالحركة، لا كشف بمحتويات القافلة.

٩، ١٠ — انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٨).

هذا التمييز لا يضعف صورة العالم الذي عاش فيه؛ إنه يجعلها أقرب إلى الحياة. الناس لا يمضون في فضاء خالٍ، ولا تتحول أحوال مدنهم إلى سيرة شخصية لكل واحد منهم. بينهم وبين العالم أخذ ورد، وتستطيع الأخبار القليلة أحياناً أن تحفظ فعلهم داخل ذلك الاتساع.

مجالس قبل المدارس التي نعرفها

كانت مجالس المساجد وبيوت العلماء من مواضع التلقي. يحمل الطالب سؤاله إلى الشيخ، ويحفظ ما يسمع، ويرحل حين يجد عند رجل في بلد آخر علماً يطلبه. من هذه الصلات المتتابعة تكونت حياة ابن المبارك في العلم.¹¹

في حياة صاحبنا شواهد أقرب من الوصف العام: معلم يصحبه إلى رجل من أهل العلم، وسماع مع جماعة، وقراءة على شيخ، ثم سؤال يعاد بعد سنوات. المعرفة في هذه الأخبار متصلة بأشخاص، ومرهونة بما يتيحونه وبما يحتمله الطالب من انتظار وحرارة.

ولهذه الصلة كلفة. فالشيخ إنسان له راحته، والطالب يحتاج إلى قوته، واللقاء لا يضمن دائماً إتقان المسموع. سيظهر المال والوقت والصحة في قلب الحكاية العلمية، لا في هامشها. وستتضح قيمة

١١ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٩).

من يدل على شيخ، أو يراجع لفظاً، أو يحفظ كتاباً بعدما يغيب صاحبه.

بقيت مرو في سيرته بيتاً وأصحاباً وطرقاً يخرج إليها ثم يعود منها. ومن المدينة تقترب من الفتى الذي سيحمل علماً ومالاً، ويصل بهما إلى أناس وراءها.

قبل أن يصير الاسم مرجعاً

قبل أن يقصده الناس في مسائلهم، كان عبد الله بن المبارك فتي من أهل مرو. سيخرج إلى شيوخ في بلاد متعددة، ويجلس ويسأل، ثم يبقى للطلب موضع في حياته بعدما صار هو المسؤول.¹²

أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب، أخبرنا محمد بن نعيم الضبي، أخبرنا أبو العباس السيارى، حدثنا عيسى بن محمد بن عيسى، قال: حدثنا العباس بن مصعب، قال: «كانت أم عبد الله بن المبارك خوارزمية، وأبوه تركي، وكان عبداً لرجل من التجار من همدان من بني حنظلة، وكان عبد الله إذا قدم همدان يخضع لولده ويعظمهم».¹³

تصلنا من هذا الخبر أسماء بلدان وأسر اتصل بها بيت ابن المبارك. نعرف هذه الصلات، ويبقى وراءها من حياة أبويه ما لم تروه المصادر؛ فلا يغنينا اسم البلد عن معرفة الإنسان الذي عاش فيه.

١٢ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (١٠).

١٣ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (١١).

وسمينا الخبر نفسه بفعل أبقى من قائمة الأنساب: كان يعظم ولد مولى أبيه إذا قدم همدان. قبل أن نسأل كيف بلغ مكانته، نراه، في هذه الرواية، لا يقطع صلة سبقتة.

صلة أقدم من الشهرة

وفي الخبر نفسه معنى يأتي بعد ذكر الأصل: كان ابن المبارك يعظم ولد مولى أبيه إذا قدم همدان.¹⁴

تكفي العلاقة على هذا القدر لكي تعيد الماضي الأسري إلى سيرة العالم. فالأسماء التي يقصدها الناس في نضجها لا تنفصل بالضرورة عما سبق شهرتها. وقد يبقى في فعل صغير ما يدل على صلة قديمة، من غير أن نعرف تاريخ كل حلقة فيها.

وليس هذا وحده ما يمنع أن نبدأ حياته من نقطة الصفر. في خبر المعلم الذي أخذه إلى الربيع بن أنس سنرى واسطة إلى العلم. وفي أخبار الشيوخ سنرى من سبقه إلى المعرفة، ومن منحه وقتاً، ومن بقيت صلته به قليلة. فلا يتكون الرجل من صفاته وحدها؛ يتكون أيضاً بما أتيح له من تعليم، وبما اختاره من ذلك المتاح.

١٤ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (١١).

بستان الأب وحق الأخوات

حدثنا عبد الرحمن، نا أحمد بن سنان الواسطي، قال: سمعت عبد الله بن سنان الخراساني يقول: «كان لعبد الله بن المبارك أخوات، وكان لأبيه المبارك بستان بمرور، فنحله عبد الله. فلها كبر عبد الله وترعرع وجالس أهل العلم وطلب العلم، جاء إلى أخواته فقال لهن: إن أبانا كان صنع أمراً لم ينبغي له أن يصنعه؛ نحلي هذا البستان دونكم، وليس أحد أحق أن يخرج أباه مما جعل فيه مني، فقد رددت هذا البستان وجعلته ميراثاً بيننا على كتاب الله عز وجل، فخللوا أبانا مما كان دخل فيه. فقلن له: أنت في حل وأبونا في حل، وهو لك كما كان والدنا نحلك. قال: لا، ولكنه ميراث بيننا، فخللوه. فخللوه. قال: فتزوج عبد الله فولد له ابن، فنحلت الأخوات ابن عبد الله حصصهن من البستان. قال: فمات الغلام فورثه عبد الله، فرجع إليه البستان كما كان أبوه نحله».¹⁵

١٥ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (١٢). لكن طريق المعرفة هنا مهم بقدر دلالة القصة: صرح أحمد بن سنان بالسماع من عبد الله بن سنان، وصرح عبد الله في خبر تال بأنه زار ابن المبارك في يوم بارد. هذا يثبت لقاءه به في ذلك الخبر الثاني، ولا يثبت أنه حضر حديث البستان داخل الأسرة أو سمعه من أصحاب الشأن. لم يذكر في قصة البستان عمن تلقى تفاصيلها، ولم يستكمل فحص

في هذا الخبر الذي لم يحسم ثبوت تفاصيله، التفت ابن المبارك إلى حق أخواته في بستان كان في يده. وأبت الرواية أن تنتهي عند قراره: للأخوات اختيارهن، وللابن نصيبه، ثم للفقد الذي أعاد المال إلى الأب مكانه المؤلم في الحكاية.

كان يستطيع، بحسب الرواية، أن يبقى ما نخله أبوه. لكنه راجع الأمر بعدما جالس أهل العلم، وأراد أن يخرج أباه مما رآه خطأ. ثم أصرت الأخوات على الهبة، وأصر هو على أن يكون البستان ميراثاً بينهم. هذا هو السؤال الذي حفظته الحكاية: حق قريب قد يغيب عن صاحبه حتى يعيده العلم إلى نظره.

البدايات التي بقيت

تتضح البدايات عند أبواب الطلب والصحة. شيخ يسمع منه، ومجلس ينتفع به، وخبر يرجع إليه ليتقنه؛ ومن هذه الأعمال المتابعة أخذت صورة العالم تتكون.

حاله وطريقه إلى الواقعة. لذلك لا نجعل الحوار المنقول تقريراً قطعياً عما قاله كل طرف، ولا نبني عليه حكماً فقهياً في الهبات والميراث. نحفظه خبراً مسمى الطريق، ذا معنى إنساني واضح، مع درجة ثقة معلقة في التفصيل.

أول الخروج إلى العراق

أخبرني ابن يعقوب، أخبرنا محمد بن نعيم، أخبرنا علي بن محمد المروزي، حدثنا محمد بن موسى بن حاتم، قال: سمعت عبدان بن عثمان يقول: «خرج عبد الله إلى العراق أول ما خرج سنة إحدى وأربعين ومائة، ومات بهيت وعانات لثلاث عشر خلت من رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة».¹⁶

جاء تحديد سنة 141هـ في خبر فيه علة. أما ما اتسع بعده من الرحلة فحفظته أخبار اللقاء والسماع: شيوخ في بلاد متعددة، وعودة إلى مجالسهم، وصحبة تبقى في الذاكرة.

ولدينا من جهة أخرى سماعه من موسى بن عقبة؛ وقد نقل المزي إثبات ذلك عن يحيى بن معين، وجمع في وفاة موسى قول 141هـ وقول 142هـ. يضع هذا السماع حداً مبكراً لصلته بأحد شيوخه، لكنه لا يعين مكان اللقاء، ولا يقول إن المدينة كانت قبل العراق أو بعده.¹⁷

١٦ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (١٣).

١٧ - إثبات السماع لا يثبت مكانه. انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (١٤).

تظهر صلته المبكرة بأهل العلم من هذه الأخبار، وإن لم تصل إلينا الرحلات بترتيب سنواتها. وتزداد معرفتنا به حين تخرج الأسماء من قائمة الشيوخ إلى خبر لقاء أو سؤال.

تذكر ترجمة ابن سعد العراق والحجاز والشام ومصر واليمن بين الأقاليم التي رحل إليها. امتد طلبه إلى هذه البلاد، وحمل من كل منها ما سمعه من شيوخها؛ أما ترتيب رحلاته وعدد عوداته فلا تفصله هذه الترجمة.¹⁸

لن تكون الجغرافيا في هذه السيرة استعراضاً للمسافات. ما يعيننا في كل موضع هو ما أمكن أن يقع فيه من صلة ومعرفة وعمل. فإذا ثبت شيخ أو مجلس أو سؤال، اقتربنا منه. وإذا لم يبق إلا اسم الإقليم، حفظناه دون أن نملاً الطريق بينه وبين الإقليم الآخر بمشاهد لم ترو.

اسم يتسع لوجوه صاحبه

سيظهر ابن المبارك في الأخبار طالباً ومعلماً وراوياً وناقداً، ويظهر متجراً وصاحب نفقة ورفيقاً. لكن جمع هذه الصفات في صدر الترجمة لا يكشف كيف عاشت معاً في يومه. وقد يكون أخطر ما

١٨ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (١٥).

نصنعه بصورة القدوة أن نحول الصفات إلى قدرات كاملة تعمل بلا كلفة ولا تضاحم.

سنرى في فصول الكتاب شيئاً من تلك الكلفة: حاجة إلى مورد، وحدوداً للوقت، وانتظاراً عند العلم، وسؤالاً لا يأتي جوابه سريعاً، ورأياً يواجه اعتراضاً. كما سنرى حدود ما نعرفه من أسرته: ورود العيال في خبر النفقة يثبت حقاً حاضراً في الصورة المالية، لكنه لا يتيح تسمية من لم يسمهم الخبر أو وصف حياة منزلية مفصلة.¹⁹

وحين نصل إلى «مشاهد من أيامه» سيكون علينا أن نقرأ لوحات من أمكنة وأوقات مختلفة، لا أن نتوهم أننا عثرنا على أربع وعشرين ساعة كاملة من عمره. أما هنا فقد أخذ الاسم بعض أبعاده: أصل وأسرة ومدينة، وشاب يدخل إلى المعرفة عبر معلم وشيوخ، ورحلة تتسع أخبارها كلما تقدمنا. يحفظ مما يسمع، ويرجع إلى ما لم يتقنه، ويسأل الشيخ بعدما مضت على حديثه أعوام. في هذه العودة تبدأ معرفة ما يصنعه بالعلم الذي جمعه.

١٩ - ذكر العيال لا يحدد عددهم أو أسماءهم، ولم يثبت هذا التفصيل بمجرد وجوده في الحكاية. انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (١٦).

حين يعود السؤال

عاد ابن المبارك وعبد الرحمن بن مهدي إلى عبيد الله بن النضر يسألانه عن حديث حدث به قبل سنين. لم يمنحهما الشيخ ما توقعاه من الذاكرة؛ قال: «أنا يومئذ أحفظ مني اليوم».²⁰

يمكن أن تُروى حياة طالب العلم من لحظات تحصيله وحدها. هذا المجلس يضيف اللحظة الأصعب: أن ترجع إلى أصل ما سمعت، فتجد الإنسان الذي حمله قد تغير حفظه. لم يكن اعتراف الشيخ تهمة، ولا كان سؤال صاحبيه قلة وفاء. احتاجوا جميعاً إلى أن يكون العلم أدق من صورة كل واحد عن نفسه.

في الطريق إلى هذا السؤال المتأخر سنلقى معلماً يفتح باب لقاء، وشيخاً لا يملك الطالب منه إلا مجلساً قليلاً، وصاحباً يقرأ ويُقرأ عليه. ليس الطلب سباقاً إلى أكبر عدد من الأسماء؛ قيمته فيما أمكن أن يفهمه المرء ويحفظ حدوده ويعيد عرضه حين يقتضي الأمر.

٢٠ - لا يدل الخبر وحده على رد الحديث أو تضعيف الشيخ. انظر ملحق مصادر

الحواشي، رقم (١٧).

يد تدل على الطريق

في خبر يرويه ابن المبارك عن نفسه، يأخذه معلمه إلى الربيع بن أنس، وكان مختفياً «أيام أبي مسلم». ويرد في الخبر ذكر قراءته القرآن بالنحو وقراءة حمزة.²¹

لا يصل الطالب هنا وحده. هناك معلم يعرف طريقاً إليه، ورجل مختفٍ لا يبدو الوصول إليه كالوصول إلى مجلس مفتوح. يقف الخبر عند هذا القدر؛ فلا يسمي لنا موقف ابن المبارك من أبي مسلم، ولا يتيح أن نحول زيارة في زمنه إلى إعلان سياسي. لكنه يحتفظ بشيء ثمين من بدايات العلم: أن الوصول نفسه قد يكون بعض فضل المعلم على تلميذه.

نقرأ عادة أسماء الشيوخ بعد أن تستقر في التراجم؛ فلان سمع من فلان، وروى عنه فلان. أما هذه الحكاية فتد إلى القائمة فعلاً حياً: معلم يأخذ متعلماً إلى من يمكن أن يسمع منه. قبل أن تظهر مكانة ابن المبارك للناس، كان ثمة من يفتح له باباً.

حفظ الخبر قراءة ولغة وواسطة إلى شيخ. يبدأ العلم هنا من صلته بالقرآن، ثم تنسع أبوابه في الحديث والفقه والصحبة.

٢١ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (١٨).

أبواب لا تفتح كلها

حلف الأعمش ألا يحدث قوماً كان ابن المبارك فيهم. في الخبر الذي نقله أحمد امتنع ابن المبارك من المجلس، وكان سماعه من الأعمش قليلاً.²²

يمضي الطالب إلى العلم، ثم يقف عند باب لا يملك فتحه. هنا لا تحفظ الرواية بسبب يمين الشيخ، ولا حواراً سبقها، ولا مصالحة جاءت بعدها. ما تحفظه فعل الامتناع وقلة السماع. أما عبارة «تخرج أو تورع» فهي تفسير الناقل؛ ليست اعترافاً من ابن المبارك بنيته.

تستدعي شهرة الرجلين صورة لقاء كبير، لكن الذي بقي لنا حدٌّ لم يتجاوزه الطالب. وفي هذا قدر من كلفة التعلم لا يظهر في قوائم الشيوخ: أسماء يسمع منها المرء قليلاً، وفرص يفوته بعضها، وعلاقات لا يستطيع المؤرخ إكمالها من إعجابه بأصحابها.

أغلق الأعمش بابه، ومضى الطالب. لم يحفظ الخبر سبب ذلك الموقف، لكنه حفظ ما جاء بعده من طلب ابن المبارك؛ بقيت في الكوفة مجالس أخرى، وبقي له من سفره ما يتعلمه.

أي صحة تبقى في صاحبها؟

قال في سفيان إنه لا يختار عليه أحداً، وقال في وهيب بن الورد إنه لم يجالس رجلاً أنفع له منه.²³ تحفظ الروايتان كلمتين مختلفتين عن أثر الصحبة: تفضيلاً في الأولى، ونفعاً وجده المتعلم في الثانية. لا يلزم أن نحشر العبارتين في ترتيب واحد يخرج منه شيخ غالب وآخر مغلوب. قد يعظم المرء علم رجل، ثم يتذكر مجلس رجل آخر بوصفه أشد نفعاً له. وتسمح لنا الشهادتان برؤية هذا الاتساع، وإن لم تحفظا نوع النفع الذي قصده في محاسبة وهيب.

بقي وهيب في ذاكرته بما وجده عنده. وربما اختصرت قوائم الشيوخ الصلة في اسم، لكن كلمة ابن المبارك أبقت لها وزنها: مجلس ينتفع به الطالب، ثم يظل يذكر فضله بعدما صار هو مقصد الطلاب.

أي صحة تبقى إذن؟ لا يقدم الخبر قانوناً عاماً؛ يكشف أن الرجل الذي صار مرجعاً للناس ظل قادراً على تسمية من نفعوه. وحين يتذكرهم بأوصافهم المختلفة، يبدو تكوينه أوسع من حكاية معلم واحد صنع تلميذاً واحداً.

سمعته، ولكنني لم أتقنه

حدثنا أبو النعمان، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، قال: حدثني محمد بن عجلان، عن ربيعة، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال — وقد سمعته من ربيعة فلم أتقنه —: «المؤمن القوي خير وأفضل وأحب إلى الله عز وجل من المؤمن الضعيف، وكل إلى خير، إحرص على ما ينفعك ولا تعجز، فإن غلبك أمر فقل قدر الله عز وجل، وما شاء فعل، وإياك واللو فإن اللو يفتح عمل الشيطان».²⁴

حدثنا علي بن الحسن، قال: حدثنا ابن المبارك، قال: أخبرنا محمد بن عجلان، عن ربيعة، عن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله عز وجل من المؤمن الضعيف، وكل في خير، إحرص على ما ينفعك ولا تعجز، فإن غلبك أمر فقل قدر الله عز وجل وما شاء صنع، وإياك واللو، فإن اللو يفتح عمل الشيطان». ثم قال: «سمعته من ربيعة وحفظته عن محمد».

أبقى ربيعة في موضع السماع، وأبقى لمحمد بن عجلان فضل الطريق الذي أتقن به الحديث. عرف ما سمعه أول مرة، وعرف ما

احتاج فيه إلى العودة؛ فصار صدقه في وصف تعلمه جزءاً مما تعلمه منه الرواة.

كان يستطيع من يختصر الخبر أن يكتفي باسم ربيعة. لكن الجملة الثانية تغير الطريق الذي ينبغي أن نتصور به وصول المعرفة: سماع أول لم يستقم إتيقانه، ثم حفظ عن رجل آخر. لم يختف صاحب الفضل الثاني خلف شرف اللقاء الأول.

في لغة الناس قد تكفي عبارة «حضرت عنده» لتوحي بما هو أوسع من الحضور. في هذا الموضع يصف ابن المبارك ما حصل له بدقة أشد: حضر وسمع، أما ضبط هذه الرواية فكان من طريق آخر. الدقة هنا تكلفه أن يضيق وصف ما أخذه مباشرة، وتمنح من أعانه اسمه وحقه.

لا يدّعي الخبر أنه كشف كل نقص في علمه أو أنه لم ينس بعد ذلك. يكفي هذا الموضع المحدد: حين احتاج أداء الرواية إلى بيان الواسطة، ذكرها. وتلك مسؤولية يمكن أن تؤدي في كلمة، ويضيع معناها إن ملأنا الصفحة بمديح واسع وحذفنا الكلمة نفسها.

أكثر من وجه للأخذ

طلب يحيى القطان حديث الإفك عن معمر، فعرض ابن المبارك في اللفظ الأتم ما عنده على وجهين: عن معمر قراءة، وعن يونس إملاء.²⁵ حتى بعد أن سُمي المصدر، بين هيئة الأخذ عنه.

وللقراءة اتجاه يعود إلى الشيخ أيضاً. رأى عبد الرزاق ابن المبارك يقرأ التفسير على معمر، ورأى معمرأ يقرأ عليه.²⁶ لم يحفظ الخبر ما يكفي لإعادة بناء المجلس كله، لكنه حفظ تبادل الفعل. المعلم والمتعلم طرفان يستطيع كل منهما أن يقرأ على الآخر في الموضع الذي شاهده الراوي.

سؤال لا يتسع لأكثر من جوابه

قال يعقوب بن سفيان: حدثنا إسماعيل بن الخليل، حدثني زكريا بن عدي، قال: قال ابن المبارك: «قلت لإسماعيل بن أبي خالد: سمعت من زر بن حبيش غير هذا الحديث، حديث ليلة القدر؟ قال: لا».²⁷

٢٥ — انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٢٢).

٢٦ — انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٢٣).

٢٧ — انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٢٤).

كانت عبارة «سمع من زر» صحيحة في أصلها، لكنها أوسع مما يحتاجه الباحث هنا. السؤال الإضافي عين قدر السماع؛ حديث واحد، لا مادة مجهولة المقدار نضعها وراء اسم الشيخ. ولإسماعيل نصيبه في صيانة هذا الحد، فهو الذي صرح به.

وصل الخبر في موضعين من «المعرفة والتاريخ»، ويزيل لفظه المبسوط لبساً قد يصنعه الاختصار: المنفي سماع أحاديث أخرى، أما حديث ليلة القدر فالسماع ثابت في الجواب المنقول. يصير عمل المحقق اللاحق امتداداً لهذه الدقة؛ يقرأ تمام السؤال قبل أن يجعل النفي منصباً على غير محله.

ربما بدت هذه زيادة صغيرة لمن يطلب حكاية مثيرة عن العالم. لكنها تفسر كيف يصير علم الرجل صالحاً للرجوع إليه. لا تستند الثقة إلى الألقاب وحدها؛ تنمو حين يعرف السامع أن العبارة لن تحمل أكثر مما حمله صاحبها.

الكتاب الذي أظهر الاسم الغائب

أخبرنا عبد الرحمن، أخبرنا صالح بن أحمد بن حنبل، حدثنا علي — يعني ابن المديني — قال: «سمعت عبد الرحمن بن مهدي، وقيل له: فحمل عن ابن لهيعة؟ قال: لا، لا تحمل عنه قليلاً ولا كثيراً. كتب إلي ابن لهيعة كتاباً فيه: حدثنا عمرو بن شعيب، فقرأته على ابن

المبارك، فأخرج إليَّ ابن المبارك من كتابه، عن ابن لهيعة، فإذا:
حدثني إسحاق بن أبي فروة، عن عمرو بن شعيب».²⁸

هذا هو قلب الموقف كما رواه ابن مهدي: مقابلة مكتوب بمكتوب
أظهرت اختلاف الطريق. ليس عندنا وصف للغرفة أو للورق أو
لما جرى بعد إخراج الكتاب. لكن الفرق الذي كشفته المقابلة
واضح: هل يروي ابن لهيعة عن عمرو مباشرة في هذا الموضع، أم
يذكر بينهما راوٍ آخر؟

لم ينشأ الاختلاف لأن قارئاً متأخراً فضّل أحد العالمين. كانت
عند ابن المبارك مادة يستطيع أن يعرضها حين سمع ما يخالفها. هنا
تؤدي الكتابة عملاً يتجاوز تثبيت الكلام في الذاكرة؛ تتيح الرجوع
إلى الصورة التي حفظ بها، وقد يظهر عند الرجوع شيء أغفله
الأداء الآخر.

ويحفظ المصدر حكم ابن مهدي على الرواية عن ابن لهيعة. ذلك
حكم ابن مهدي في الخبر، لا عبارة نضيفها إلى فم ابن المبارك.
فعل صاحبنا الذي يخص هذا المشهد أنه أخرج ما عنده وبين به
وجهاً مختلفاً للطريق. الفصل بين الصوتين يبقي الحكاية دقيقة،
ويبقي للمعتز رأيَه ولصاحب الكتاب عمله.

حين تكون الرواية أضبط من غيرها

أخبرنا عبد الرحمن، قال: سألت أبي وأبا زرعة عن ابن لهيعة والإفريقي: أيهما أحب إليكما؟ فقالا: «جميعاً ضعيفان، بين الإفريقي وابن لهيعة كثير؛ أما ابن لهيعة فأمره مضطرب، يكتب حديثه على الاعتبار». قلت لأبي: إذا كان من يروي عن ابن لهيعة مثل ابن المبارك وابن وهب، يحتاج به؟ قال: «لا».

أخبرنا عبد الرحمن، قال: سئل أبو زرعة عن ابن لهيعة، سماع القدماء منه؟ فقال: «آخره وأوله سواء، إلا أن ابن المبارك وابن وهب كانا يتتبعان أصوله فيكتبان منه، وهؤلاء الباقر كانوا يأخذون من الشيخ».²⁹

تحتاج هذه الملاحظة إلى قراءة تمامها. لابن المبارك عناية تميزه في هذا الباب، ولا تتحول تلك العناية إلى ختم يصحح كل خبر يقع اسمه في طريقه. قد يحسن الطالب الأخذ عن شيخه، ثم يبقى النظر في الشيخ، وفيمن فوقه، وفي اختلاف الروايات ومعنى النص. جودة حلقة من الطريق لا تغني عن بقية حلقاته.

وهذا يضيف إلى معنى القدوة العلمية شيئاً عملياً. حين نقدر مهارة رجل، نبحث عن موضع عملها: تتبع أصل، أو بيان واسطة، أو

تعيين وجه سماع. بذلك نستطيع فهم فضله دون أن نكلفه ضمان ما لم يضمه. محبته لا تجعلنا نستغني عن السؤال الذي كان هو يعتني به.

قرأ ابن المبارك ما بين يديه من الحديث بعناية، وقابل ما يحتاج إلى مقابلة. وتبقى لرواية ابن لهيعة درجاتها التي ميزها النقاد؛ فجهد الطالب في صيانة ما أخذه عملٌ عظيم، وله حدوده التي يعرفها أهل هذا العلم.

محبة الشيخ ومسافة الاختيار

نص النقل: قال أبو عيسى الترمذي: «واختلف أهل العلم فيمن ترك المضمضة والاستنشاق، فقالت طائفة منهم: إذا تركهما في الوضوء حتى صلى أعاد الصلاة، ورأوا ذلك في الوضوء والجنابة سواء، وبه يقول ابن أبي ليلى وعبد الله بن المبارك وأحمد وإسحاق. وقال أحمد: الاستنشاق أوكد من المضمضة. قال أبو عيسى: وقالت طائفة من أهل العلم: يعيد في الجنابة ولا يعيد في الوضوء، وهو قول سفيان الثوري وبعض أهل الكوفة. وقالت طائفة: لا يعيد في الوضوء ولا في الجنابة؛ لأنهما سنة من النبي صلى الله عليه

وسلم، فلا تجب الإعادة على من تركهما في الوضوء ولا في الجنباء، وهو قول مالك والشافعي في آخرة».³⁰

يعظم التلميذ شيخه، ثم تحفظ كتب الفقه بينهما اختلافاً محدداً. بهذه المسألة نرى جانباً من صلتهم: علم أخذه عنه، ونظر قد ينتهي به إلى قول آخر. ولا يخبرنا الاختلاف وحده بخصومة بينهما أو بانقطاع تلك الصحبة.

وسنرى في فصل العمل العلمي كيف تتوزع آراؤه بين جماعات من الفقهاء بحسب السؤال. أما هنا فتكتمل صورة الطالب قليلاً: لا يستحي أن يذكر من حفظ عنه، ويبين صفة أخذه، ويستفيد ممن يقدره، ثم يكون له موضع في الخلاف.

الأصل الذي يرد إليه العلم

نص النقل: قال أبو عيسى الترمذي: «وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، قالوا: قد ثبت الروايات في هذا، ويؤمن بها، ولا يتوهم، ولا يقال: كيف. هكذا روي عن مالك وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك أنهم

٣٠ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٢٧).

قالوا في هذه الأحاديث: أمروها بلا كيف. وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة».³¹

النسبة في هذا الموضع جماعية ينقلها المصنف، وليست إسناداً خاصاً مستقلاً إلى ابن المبارك. المقدار الذي يفيدنا هنا هو اتصاله بتلقي النصوص وتعظيمها، مع الكف عن تعيين كيفية لم يخبر بها الوحي. وتبقى النسبة بهذا الحد، دون إلحاق شروح متأخرة بألفاظه.

يتصل بذلك ما نقل عنه في الاعتماد على الأثر والاستعانة من الرأي بما يفسر الحديث.³² صيغة تجمع مرجعاً ووظيفة للفهم؛ فلا تكتفي بجيازة الروايات، ولا تمنح الرأي حق إنشاء ما يشاء بعيداً عنها. وستظهر قيمة هذا الاتجاه حين يصبح السؤال عن طريق الخبر ومعناه مسؤولية تجاه من يسمعه.

٣١ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٢٨).

٣٢ - وهو خبر منسوب بطريقه، ولا يثبت وحده جميع تفصيلات منهج فقهي أو اصطلاحى لاحق. انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٢٩).

للكتاب مجلس أيضاً

بعد الرحلة واللقاء، يستطيع الكتاب أن يفتح مجلساً آخر. يروي أبو نعيم عن ابن المبارك كلاماً عن مجالسة شعبة وسفيان، ثم يفسر أبو داود، راوي الحكاية، هذه المجالسة بالنظر في كتبهما.³³ الكتاب هنا أثر لأناس عرفوا وسمعوا ونقلوا؛ تقرأ كلماتهم فتدخل في أسئلتهم، وإن لم تكن واحداً ممن جلسوا إليهم.

لكن لهذا المجلس طريقته. في المجلس الحي تستطيع أن تستوقف المعلم: ماذا تعني؟ وعن سمعت؟ أما الصفحة فتعيد إليك العبارة نفسها. تحتاج إلى أن تبحث عما يفسرها في موضع آخر، أو تسأل من يعرف اصطلاح صاحبها، أو تؤجل الحكم حتى يظهر لك ما كان غائباً. المتعة في القراءة لا تعني من هذا الجهد؛ وربما بدأت متعة أعمق حين لم تعد الصفحة مجرد كلمات تمر عليها.

وفي الأخبار التي سبقت رأينا ما يجعل الكتاب جديراً بهذه الصحبة. أخرج ابن المبارك ما عنده فظهر اسم غاب عن النسخة المقروءة، وحمل رقعة إلى شيخ، ونبه إلى مادة تحتاج إلى الترك. لم تكن الورقة عنده نهاية السؤال؛ كانت شيئاً يستطيع أن يعود إليه ومعه سؤال أدق.

هذا يمنح الكتاب قيمة تتجاوز حفظ المعلومات. قد تخون الذاكرة صاحبها، وقد يختلط عليه ما سمعه بما حفظه عن غيره. فإذا بقي مكتوب يمكن معرفة نسبته، صار للمراجعة موضع تبدأ منه. ومع ذلك يبقى المكتوب محتاجاً إلى نقد؛ فالخطأ أيضاً يمكن أن ينسخ، ثم يصبح مألوفاً لكثرة ما يتداوله الناس.

يسأل الأحياء، ويحمل الكتب، ويقابل ما فيها، ثم يبين حدود ما عنده. اتسعت أدواته في التعلم، وظل التثبت عملاً يقوم به، لا منزلة يستريح إليها.

أي علم يحتاجه السائل الآن

قد يكثر ما يتعلمه الإنسان، ويبقى محتاجاً إلى أصل يؤثر في عمله كل يوم. من هنا تأتي دقة الجواب الذي ينقله أبو نعيم عن ابن المبارك: إذا قرأ المرء من القرآن ما يقيم به صلاته، وجه فضل يومه إلى علم يعرف به القرآن.³⁴

للشرط الأول مكانه في الجواب. السائل يقيم صلاته بما تعلم، ثم يحتاج إلى ما يعينه على فهم ما يقرأ. لا يضعه النقل أمام خصومة بين التلاوة والعلم؛ يفتح له باباً يكمل به ما بدأه. ومن الخطأ أن

٣٤ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٣١).

تتحول هذه الإجابة المقيدة إلى دعوة لترك القرآن أو الاستغناء عن تلاوته.

يستوقفنا هنا أن السؤال التعليمي ليس دائماً: كم تعلمت؟ قد يكون: ما الذي تحتاج إليه لتؤدي ما بين يديك على وجه أحسن؟ مادة جديدة تجذب المتعلم، وأصل قديم لم يتقنه بعد. يتسع الأول في نظره لأنه جديد، بينما يتكرر أثر الثاني في كل مرة يعمل فيها. اختيار ما يبدأ به جزء من التعلم نفسه.

لا يعطينا الخبر قائمة كتب أو زمناً محدداً لكل مرحلة. يبقى ترتيب تعلم قارئ اليوم عملاً يحتاج إلى معرفة مستواه وحاجته ومن يحسن إرشاده. أما ما نقترحه من معنى تربوي فهو أن قيمة الزيادة تظهر حين تسد نقصاً حقيقياً: فهم يبين قراءة، أو معرفة تصلح عملاً، أو سؤال يكشف عادة لم نعد نتوقف عندها.

وهذا يعيدنا إلى حياة صاحب السيرة كما ظهرت في اللقاءات السابقة. لم تكن الأسماء الكثيرة وحدها كافية؛ كان يميز ما سمعه، وما ضبطه، ومن نفعته مجالسته. وراء عدد الشيوخ والمرويات يقف سؤال الجودة: ماذا أحسن الأخذ، وماذا بقي عليه أن يتعلم؟

حق العلم وحق من يسأل

جاء سؤال وابن المبارك يمشي. يروي أبو نعيم أنه امتنع عن الجواب في تلك الحال، وعلل ذلك بتوقير العلم.³⁵ يقف الخبر عند هذا الحد: لا يسمي السؤال، ولا يصف ما جرى بعده. فلا نزيد له مجلساً انتقل إليه الرجلان، ولا موعداً وعد به السائل.

ومع قصره، يضع الموقف أمامنا مسألة يعرفها كل من سأل أو أجاب: قد يكون الإنسان حاضراً، ولا يكون مستعداً للجواب. كلمة قليلة من السائل قد تحتاج إلى تفصيل، وقد يحمل السامع جواباً مبتوراً ثم يبني عليه عملاً. لا نثبت أن هذا وقع في الحكاية؛ إنما ندرك لماذا يستحق وقت الجواب وهيئته أن يدخل في مسؤولية التعليم.

كان للسائل حق الوصول، وللعلم وقته الذي يصان. وفي هذا اللقاء ظهر ابن المبارك وهو يراعي موضع السؤال؛ ثم تمضي الرواية إلى الجواب، وتترك ما وراءه من أحوال السائل.

يصعب هذا التوازن حين نحب صورة بعينها للتعليم. قد نفضل المعلم الذي يجيب في كل مكان، أو الذي لا يتكلم إلا في مجلس مهيب. ثم نبث في الأخبار عما يؤيد ذوقنا. لكن واقعة واحدة لا تحمل

الحكم على جميع الصور. نقرأها في حدها، ونسأل في واقعنا عما يحتاج إليه الفهم، وما يحفظ وقت المجيب وكرامة السائل معاً. تتسع الآن صورة مجلس العلم في هذه الصحبة: لقاء يحتاج إلى استعداد، وكتاب يحتاج إلى تفسير، ومراجعة تحتاج إلى رفيق، وسؤال قد ينتظر. لا يستطيع المتعلم أن يأخذ من كل مجلس كل شيء. ويبدأ حسن اختياره حين يعرف حاجته: أريد معلومة، أم تصحيح فهم، أم اختبار ما يظن أنه أتقنه؟

العلم الذي يحتمل الرجوع

تجمع هذه الأخبار رجلاً يبلغه معلّمه باب شيخ، ويقل سماعه من شيخ آخر، ويذكر نفع جليس، ثم يعود مع صاحب له إلى سؤال مضت عليه السنون. ليست مراحل متتابعة نستطيع وصلها سنة بسنة؛ إنها مواضع متفرقة نرى منها كيف دخل الآخرون في تكوينه، وكيف بقي للسؤال مكان بعد اللقاء الأول.

أخذ عن الناس، ووازن بين ما وجده عند شيوخه، ورجع إلى ما يحتاج استحضاراً. هكذا تدرج الطالب حتى صار العالم الذي يقصدونه. كانت المنزلة ثمرة طريق طويل من اللقاء والإصغاء والمراجعة.

جاء السؤال في مجلس عبيد الله بن النضر، ولم يأت الجواب القديم كما كان. قال الرجل ما يعرفه عن حال حفظه، وبقيت عبارته في

الرواية. حمل الطالب من هذا المجلس علماً آخر: أن يعرف المحدث ما بقي في قدرته، وأن يقف حيث ينتهي يقينه. مضت السنون، ثم عاد السؤال. وحين لم تسعف الذاكرة صاحبها، لم تُستبدل بها حكاية أجمل. وحين يصير الطالب عالماً يقصده الناس، ينتقل السؤال من كيفية الأخذ إلى مسؤولية العطاء: ماذا يجوز له أن يحمل إلى غيره، وبأي أمانة يؤديه؟

لمن يحمل الإنسان ما تعلم؟

جاء رجل يريد عملاً ينفع أبويه. عرض الرواية على ابن المبارك، فسمع منه جواباً في الرجال الذين حملوها، ثم سمع منه طريقاً إلى البر. تلتقي حاجة السائل بأمانة العالم في هذا اللقاء.

يروى أبو إسحاق الطالقاني أنه سأل ابن المبارك عن رواية في الصلاة والصوم عن الوالدين. تتبع ابن المبارك الطريق معه، حتى وصل إلى موضع لا تملؤه الثقة بمن سمي: بقيت مسافة بين آخر راوٍ في السؤال وبين النبي صلى الله عليه وسلم.³⁶ قد تكون النية طيبة، وقد يكون الراوي المذكور ثقة، لكن الحلقة الغائبة لا تظهر بمجرد الرغبة في أن يصح الخبر.

لهذا يصبح التثبت خدمة للسائل نفسه. كيف يعمل بما ينسب إلى الدين إن لم يعرف من حمله؟ حفظ مسلم في مقدمة صحيحه هذا الحوار وقول ابن المبارك: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء».³⁷ العبارة لا تمنحه اختراع منهج اشترك فيه العلماء، لكنها تكشف اختياره حين تعارض جمال المقصود مع نقص الدليل: بدأ من موضع النقص.

٣٦ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٣٣).

٣٧ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٣٤).

الجواب الذي يحمي السائل

كان وراء السؤال أبوان يرجو السائل أن ينفعهما. لذلك قد يبدو الكلام عن الرجال والاتصال بعيداً عن حاجته الأولى. لكنه يسبها من أصلها: على أي شيء سيبنى العمل الذي يرجوه لهما؟ لو وافق الجواب أمنيته بلا تثبت، نخرج بشيء يفعله، ونسبته إلى الدين لم تُحفظ أمانتها. أما تتبع الطريق فيوقفه عند موضع محدد: هنا حلقة غائبة. لا ينفي ذلك البر، ولا يحكم على كل عمل عن الوالدين؛ إنه يمنع الاستدلال بهذه الرواية على الصورة التي عرضت.

هذا فرق يحتاج إليه العالم والسائل معاً. نقد دليل معين لا يهدم كل غرض حسن يتصل به، وحسن الغرض لا يسد الخلل في الدليل. وحين يبقى الفرق واضحاً، يستطيع الطرفان أن يواصلوا النظر من غير أن يتحول السؤال العلمي إلى خصومة مع حاجة الإنسان.

لا يخبرنا النص بما شعر به السائل، ولا بما دار في نفس ابن المبارك. لكنه يحفظ فعلاً يمكن أن نفهمه: لم يجعل له جواباً يرضيه قبل أن يفحص ما يعتمد عليه. وفي خدمة كهذه قد يسبق المنع العطاء؛ يمنع نسبة لم تثبت، ثم يبين ما يعرفه.

حين يصبح العلم منزلة

العلم الذي يحتاج إليه الناس يمنح صاحبه منزلة بينهم. يشقون بكلامه، ويقصدونه، وقد يفتحون له من أبواب المنفعة ما لا يفتحونه لغيره. فماذا يصنع بهذه المنزلة؟

ينقل أبو نعيم عن ابن المبارك جوايين في ذم من يعيش بدينه أو يأكل به.³⁸ لا يفصل الموضع أحكام الأجور والوظائف، ولا يميز لنا أن نجعل كل مورد لمعلم موضع تهمة. لكنه يفتح سؤال الأمانة حين تصبح المعرفة طريقاً إلى المنفعة الشخصية.

والسؤال يمس الثقة نفسها: هل يقول العالم ما يعرف، أم ما يبقى له منزلته عند من يسمعه؟ هذه صياغتنا لمعنى تتأمله، وليست حواراً ننسبه إلى ابن المبارك. يكفي أن الكلمات المنقولة لا تترك المكانة الدينية خارج المسألة.

وسنقرأ في فصل المال أخبار تجارته وإنفاقه بدرجاتها. وجود مورد للعيش يختلف عن بيع الأمانة لمن يمنح المورد. يحتاج صاحب العلم إلى قوت كما يحتاج غيره، ويحتاج السائل إلى جواب يستطيع أن يثق بصدقه. فإذا اختلط الحقان، لم يعد الضرر مقصوراً على صاحب المنزلة؛ يصل إلى من يبني عمله على كلامه.

الخير الذي لا يكتمل بالنية وحدها

قد يحمل الإنسان علماً ينفع به غيره، ثم تستنفد حاجته إلى القوت معظم قدرته. في تعليل منسوب إلى ابن المبارك لإعانة بعض أهل الحديث، تظهر هذه الصلة بين المعاش وِث العلم. لم يكتمل تحقيق طريقه، وسنقرأه بهذا القيد في فصل المال.³⁹

أما السؤال الذي يفتحه، فهو أبعد من الإعجاب بالعطاء: ما الذي يحول بين القدرة ونفع الناس؟ قد لا يكون النقص في العلم نفسه. ثمة طعام وسكن وأهل ووقت، وكلها حاجات تدخل في يوم العالم كما تدخل في يوم غيره. وحين نغفلها، نصور المعرفة كأنها تعمل وحدها من غير بشر يحملونها.

احتاج العمل النافع إلى ما يبلغه: علم يحمله صاحبه، ومال يعينه، ووقت يتسع له. ويظهر في خبر الإعانة هذا الاتصال بين رغبة الخير والوسيلة التي نتيح فعله.

وفي خبر مجلسه وجه آخر لوصول النفع: ذكرُ لاستفادة الطلاب بعضهم من بعض.⁴⁰ يتسع المجلس بأعمال الجالسين أيضاً. يحمل أحدهم سؤالاً، وعند غيره معرفة تعينه؛ فلا يعود الجميع مجرد أسماء

٣٩ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٣٦).

٤٠ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٣٧).

في عدد تلاميذ عالم كبير. وحين نقرأ السيرة بهذا الانتباه، نرى أثر صاحبها من غير أن نحو أعمال من كانوا حوله.

الجواب الذي لا يترك الحاجة بلا وجهة

بقي للسائل، بعد فحص الإسناد، السؤال الذي جاء من أجله: ما العمل الذي ينفع أبويه؟ لم يغفل الجواب هذه الحاجة. في تمة خبر مسلم ذكر ابن المبارك الصدقة، وقال إنه ليس فيها اختلاف.⁴¹ انتهى النظر في الرواية إلى خلل، وبقي أمام السائل باب من البر يعرفه المجيب.

هذه التمة قصيرة، لكنها تغير ما نحمله من المجلس. إذا وقفنا عند نقد الطريق، رأينا مهارة العالم في كشف الانقطاع. وحين نقرأ إلى النهاية نرى إلى جوارها عنايته بالإنسان الذي يسأل. لم يكن الرجل سلسلة أسماء تحتاج إلى تصحيح فحسب؛ كانت وراء الأسماء رغبة في عمل.

بين له ما يمنع الاعتماد على الرواية المعروضة، ثم دله على الصدقة. انتهى الخبر عند هذا الجواب؛ وبقي فيه عالم يرد الحجة التي لم تثبت، ويستبقي حاجة السائل إلى البر.

٤١ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٣٣).

وللسائل فيه دور يستحق أن نراه. حين سئل عمن نقل الخبر، ذكر الأسماء التي يعرفها. أتاح للمجيب أن يفحص المادة التي جاء بها. ولو اكتفينا بوصف ابن المبارك بالناقد، لفاتنا أن السؤال الجيد يساعد الجواب الجيد: يحمل معه ما يمكن فحصه، ولا يطلب من الثقة وحدها أن تحل محل المعرفة بالطريق.

قد يدخل الإنسان إلى مجلس وهو يسأل كيف يعمل بما سمع، ثم يكتشف أن عليه أن يعود خطوة: هل يصح ما سمع على الوجه الذي بلغه؟ العودة قد تبدو تأخيراً، لكنها تحمي الخطوة التالية. وما ينفع السائل ليس سرعة الجواب وحدها، بل أن يستطيع الاعتماد عليه حين يخرج إلى العمل.

حفظ للتثبت حقه، وحفظ للبر طريقه. لم يغلق السؤال عند رد الرواية، بل ذكر ما عرفه من وجه نافع يستطيع السائل أن يقصده.

خرجت الرواية من المجلس وفيها الفجوة كما هي. وخرج جواب السائل، كما حفظه مسلم، وفيه باب يستطيع أن يسأل عن العمل به. لم تحتج خدمة الإنسان إلى إخفاء نقص الدليل.

لمن تكون سلطة التصحيح؟

لم يكن اعتراض ابن المبارك مجرد حكم يلقيه رجل معروف فيتلقاه السائل بصمت. سار معه في الطريق حتى ظهر موضع الانقطاع.

يستطيع القارئ أن يتابع سبب الاعتراض، وإن لم تكن له خبرة الناقد بأسماء الرجال وطرق التحمل.

يحمل العالم معرفة يحتاجها السائل، ويبين من أساس الجواب ما يعين على فهمه. في هذا البيان تحفظ النتيجة وحدودها، ويصير الأخذ عن أهل العلم أقرب إلى الفهم.

وتزداد الصورة وضوحاً حين نتذكر مواضع سابقة من السيرة. فرق ابن المبارك بين ما سمعه وما ضبطه، وأخرج مكتوباً تظهر فيه واسطة لم تذكر في مكتوب آخر. ليست العناية بالإسناد زينة تضيف أسماء إلى الخبر؛ كل اسم يفتح سؤالاً عن صلة، وكل صلة تحتاج إلى معرفة بكيفية التلقي. لهذا قد تكون الزيادة في الطريق أدل على الأمانة من اختصار يخفي ما احتاج إليه الناقل.

وحين نعود إلى سؤال الفصل، نرى جواباً يتشكل من هذه المواقف: يحمل العالم ما تعلمه إلى من يحتاج إليه، ويحمل معه قدر معرفته وحدودها. قد يعطي معلومة، وقد يكشف فجوة، وقد يدل على باب آخر. وفي كل مرة يبقى أمامه شخص سيبنى شيئاً من عمله على ما يسمع.

سؤال يصحب الفصول التالية

تتجاوز أفعال ابن المبارك وأقواله في هذه الأخبار، ويظهر بينها رجل يريد أن يجمع العلم والعمل. يخرج إلى بلد فيسمع، ويعود إلى

تجارة ينفق منها، ثم يجد في كل باب مسؤولية لا يؤديها عنه نجاحه في الباب الآخر.

السؤال الذي سنصحه من هنا هو: كيف يصل ما يحمله الإنسان من علم أو مال أو قدرة إلى غيره من غير أن تضيع الأمانة في الطريق؟ سيجيب فصل المال عن جانب، وتجب الرواية والفقه والصحة عن جوانب أخرى. وقد تكشف بعض الأخبار تعثراً أو اعتراضاً يحد من جمال الصورة المتوقعة؛ سنحتاج إليه أيضاً، لأنه يمنعنا من تحويل السؤال إلى جواب جاهز.

بدأ اللقاء بسؤال عن بر الوالدين، وانتهى بجواب يحفظ للتثبت حقه، ويفتح لما ينفعهما باباً. كان أثر العلم يبدأ من هذه الحاجة القريبة، ومن كلمة يحمل العالم مسؤوليتها.

المال الذي لا تنتهي حكايته عند صاحبه

نص النقل: أخبرنا القاضي أبو العلاء محمد بن علي الواسطي، حدثنا أبو الفوارس إبراهيم بن أحمد بن محمد الفارسي، حدثنا أبو الحسين يحيى بن محمد بن قلب، حدثنا مسيح بن حاتم، حدثنا عبيد الله بن محمد بن حفص بن عائشة، حدثنا حماد بن سلمة وحماد بن زيد، أن عبد الله بن المبارك كان يتجر في البز، كان يقول: «لولا خمسة ما اتجرت». فقيل له: يا أبا محمد، من الخمسة؟ فقال: «سفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، والفضيل بن عياض، ومحمد بن السماك، وابن علي». قال: وكان يخرج فيتجر إلى خراسان، فكلما ربح من شيء أخذ القوت للعيال ونفقة الحج، والباقي يصل به إخوانه الخمسة. قال: فقدم سنة، فقيل له: قد ولي ابن علي القضاء، فلم يأت به ولم يصله بالصرة التي كان يصله بها في كل سنة. فبلغ ابن علي أن ابن المبارك قد قدم، فركب إليه، فتنكس على رأسه، فلم يرفع به عبد الله رأساً، ولم يكلمه، فانصرف. فلما كان من غد كتب إليه رقعة: «بسم الله الرحمن الرحيم، أسعدك الله بطاعته، وتولاك بحفظه، وحاطك بحياضته. قد كنت منتظراً لبرك وصلتك أتبرك بها، وجئتك أمس فلم تكلمني، ورأيتك واجداً علي، فأني شيء رأيت مني؟». فلما وردت الرقعة على عبد الله بن المبارك دعا بالدواة والقرطاس وقال: «يأبى هذا الرجل إلا أن نقشر له العصا». ثم

كتب إليه: «بسم الله الرحمن الرحيم: يا جاعل الدين له بازيا —
يصطاد أموال المساكين / احتلت للدنيا ولذاتها — بحيلة تذهب
بالدين / فصرت مجنوناً بها بعد ما — كنت دواء للمجانين / أين
رواياتك في سردها — عن ابن عون وابن سيرين / أين رواياتك في
سردها — لترك أبواب السلاطين / إن قلت أكرهت فذا باطل —
زل حمار العلم في الطين». فلما وقف ابن عليه على هذه الآيات
قام من مجلس القضاء، فوطئ بساط هارون وقال: «يا أمير
المؤمنين، الله الله، ارحم شيعتي، فإني لا أصبر للخطأ». فقال له
هارون: «لعل هذا المجنون أغرى عليك؟». فقال: «الله الله، أنقذني
أنقذك الله». فأعفاه من القضاء. فلما اتصل بعبد الله بن المبارك
ذلك، وجه إليه بالصرة.⁴²

يبقى هذا الخبر محتاجاً إلى تثبيت في طريقه، على ما فصلته الحاشية.
وقد اعترض الذهبي على التوقيت في تتمه ابن عليه الملحقة بخبر
الحمادين؛ فلا نبني على تلك التهمة ترتيباً يقينياً للأحداث. أما
التجارة في البز فقرأ في أصل الخبر وطرقه، مع حفظ الفرق بين
الحديث عن مورد للعيش وبين إثبات نظام مالي مفصل.

٤٢ — لا يثبت بهذا الطريق تقسيم دائم للأرباح. انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم

في الطريق رجلان لم نسترجع لهما ترجمة مستقلة تحسم حالهما: أبو الفوارس إبراهيم بن أحمد بن محمد الفارسي، ويحيى بن محمد بن قلب. أما مسبح بن حاتم العكلي البصري فهو يته وشبكته ليستا مجهولتين، لكن ذلك لا يعدله ولا يصل روايته هنا. ومن فوقهم أبو العلاء الواسطي الذي اختلف النقاد في تفسير اضطراب روايته. واعترض الذهبي على تركيب تمة ابن عليّة لخلل زمني في حملها على رواية الحمادين؛ فلا يميز هذا وصف الخبر كله بالمختلق، ولا يجعل إعادة الذهبي له شهادة مستقلة، ولا ينفي أصل التجارة. تبدأ أخبار المال من فعل صاحبه: كيف كسب، ولمن أعطى، وماذا قال حين سئل؟ وتظهر معها حاجات أصحابه وحقوق أهله، فتتسع صورة العطاء عما تحمله كلمة السخاء وحدها.

ما الذي نعرفه عن التجارة؟

في الخبر الذي أورده الخطيب كلمة واحدة تكفي لفتح باب البحث: «البن». إنها تسمية للثياب التي يتجر بها صاحب الحكاية، ويتجه بها - كما يقول الخبر - إلى خراسان. لكن الباب لا يفتح على

دفتر حساباته: لا يصف لنا شريكاً ولا عقداً ولا موعد صفقة ولا مقدار ربح.⁴³

ثم ترد عبارته المنسوبة: «لولا خمسة ما اتجرت». يسمي النص الثوري وابن عينة والفضيل وابن السماك وابن عليّة، ويذكر قبل ذلك قوت العيال ونفقة الحج. إذا صح أصل العبارة، فهؤلاء من دوافع الكسب التي أراد الراوي إظهارها؛ ليسوا بياناً محاسبياً يقرر أن كل دينار من الربح قسم على خمسة. وبين تسمية المقصد وإثبات عادة مالية دائمة مسافة لا يقطعها هذا الطريق.

وفي تهذيب الكمال يرد عن العباس بن مصعب وصف ابن المبارك بأنه جمع، إلى العلم والفقه، «التجارة» والسخاء. إنها شهادة وصفية نقلها المزي من غير إسناد مفصل في هذا الموضوع؛ لا تسمي البز أو الخمسة أو مقدار الربح. وفي عرض تاريخ الإسلام الرقي للقول نفسه اختصار لا يذكر التجارة، وهو اختلاف يستحق مقابلة صور الطبقات قبل تعليق زيادة الاستدلال عليه. يظل حوار الفضيل المنسوب في طريقتين يلتقيان عند إبراهيم بن بشار قرينة أخرى على أصل العمل بالبضائع، بدرجة المينة لاحقاً.⁴⁴

٤٣ - لا يثبت بهذا الطريق تقسيم دائم للأرباح. انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٣٨).

تذكر بعض التراجم المتأخرة أن رأس ماله قارب أربعمائة ألف، ثم تجمع روايات لاحقة بين هذا الرقم وكسب سنوي يتجاوز مائة ألف. لم يسم نص الذهبي عملة رأس المال، ولم يسق له إسناداً في موضعه، أما جملة الإنفاق السنوي فجاءت في سياق آخر منقول عن الخطيب. لذلك لا نجعل الرقمين في ميزانية واحدة، ولا نضيف عملة، ولا نحول المبلغ إلى قيمة معاصرة. يكفي لبناء الحجّة ما ثبت من وقائع التجارة والإعانة، ويبقى الرقمان في الحاشية بدرجة التوقف.⁴⁵

نص النقل: قال إبراهيم بن بشار، خادم إبراهيم بن أدهم: سمعت علي بن الفضيل بن عياض يقول: سمعت أبي يقول لابن المبارك: «أنت تأمرنا بالزهد والتقلل والبلغة، ونراك تأتي بالبضائع من بلاد خراسان إلى البلد الحرام، كيف ذا وأنت تأمرنا بخلاف ذا؟». فقال ابن المبارك: «يا أبا علي، إنما أفعل ذا لأصون فيه عرضي، وأكرم به عرضي، وأستعين به على طاعة ربي، لا أرى لله حقاً إلا سارعت إليه حتى أقوم به». فقال له الفضيل: «يا ابن المبارك، ما أحسن ذا إن تم ذا».⁴⁶

٤٤ — انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٣٩).

٤٥ — انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٤٠).

سأل الفضيل عن الكسب، فذكر ابن المبارك ما أَراده به، وبقي القبول في جواب الفضيل متعلقاً بالوفاء بذلك المقصد. يصلنا من المجلس سؤال يحاسب به الصاحب صاحبه، لا سجل نستطيع به الحكم على كل صنفقة. والطريقان المذكوران يلتقيان عند إبراهيم بن بشار، كما تبين الحاشية.

سأل الفضيل صاحبه عن الكسب وصلته بالطاعة وصيانة العرض. بقي المدح في الحوار المروي معلقاً بما يحققه المال من عون؛ يظهر الصديق هنا ناصحاً يسأل، وصاحبه يبين وجه ما يعمل. وهذا فرق ينفع قارئ اليوم دون أن يجعل له ميزانية مستعارة من القرن الثاني: يضع مورداً حقيقياً في يده، ويسأل أصحاب الحقوق عما يلزمهم، ثم ينظر هل الطريق الذي اختاره للحصول عليه والوجه الذي ينفقه فيه متسقان مع ما يعد به. معيار الواقع هنا أفعاله وآثارها، لا دفاتر تاريخية لم تصلنا.

حين يكون العطاء وقتاً لغيرك

نص النقل: قال حبان بن موسى: «عوتب ابن المبارك فيما يفرق المال في البلدان، ولا يفعل في أهل بلده، فقال: إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق، طلبوا الحديث فأحسنوا الطلب للحديث،

وحاجة الناس إليهم شديدة، وقد احتاجوا؛ فإن تركناهم ضاع علمهم، وإن أغنياناهم نشروا العلم لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، ولا أعلم بعد النبوة درجة أفضل من بث العلم».⁴⁷

يحفظ النقل هذا التعليل للعطاء، لكن حبان لا يصرح بأنه شهد العتاب، ولم يستكمل الحكم على جميع حلقات الطريق. نقرأ المعنى منسوباً إلى صاحبه بهذه الحدود، ونبقي لكل رواية لفظها؛ فلا نصنع من الألفاظ المتقاربة قولاً مركباً ننسبه إليه.

مع ذلك يضع التعليل إصبعه على مورد لا يظهر في أخبار المبالغ: الوقت. قد يحتاج حامل العلم إلى نفقة يومه، ويحتاج غيره إلى ما يعرفه. لو خفت عنه مؤونة العيش أمكن أن يتسع مجلس أو جواب؛ أما كم مجلساً اتسع فعلاً، ومن حضره، وما الذي كان سيحدث دون تلك المعونة، فلم تحفظه الرواية.

لذلك ننسب العلم إلى أصحابه: إلى من تلقوه وراجعوه ورووه وصحّوه، ونقرأ المال سبباً ممكناً في ظرف بعضهم. لا يتحول العالم إلى مشروع يمتلكه معينه؛ يظل له حق الاختيار والتصحيح، ويظل للمحتاج الذي لا يقدم علماً ظاهراً حق لا يسقط لأن هذه الحكاية اختارت مدح عطاء العلماء.

سؤال الفضيل

وفي حوار منسوب إليه، يسأل الفضيل ابن المبارك عن إتيانه بالبضائع مع أمره بالزهد. يجيبه ابن المبارك بما يربط الكسب بصون وجهه وعرضه والاستعانة على الطاعة. ثم يأتي جواب الفضيل مشروطاً بتمام هذا المعنى، لا شهادة مطلقة بأن كل ما وقع في التجارة قد استوفاه.⁴⁸

لا يفسد السؤال صورة الصداقة. بل يمنحها معنى لا يبقى إذا حذفنا الاعتراض وأبقينا الشئ وحده. رأى الفضيل ظاهراً يحتاج إلى تفسير، فجاءه تعليل، ثم أبقى الشرط قائماً. وفي هذه البنية ثلاثة أفعال: مساءلة، وبيان، وقبول معلق على الوفاء بما قيل.

ولا نقيم من الرواية وحدها تقابلاً بين رجل يعمل للدنيا ورجل انقطع عنها. سنرى عند المقارنة أن المادة المنقولة عن الفضيل أوسع من هذه الصورة. هنا يكفيننا أن التجارة لم تقع خارج السؤال الأخلاقي في الرواية؛ لم يمنع اسم صاحبها من أن يسأل عنها صاحبه.

رفقة تحمل نفقاتها ثم تستردها

أخبرنا أبو طالب عمر بن إبراهيم الفقيه، وأبو محمد الحسن بن محمد الخلال، قالا: حدثنا إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الكاتب، حدثنا أحمد بن الحسن المقرئ، قال: سمعت عبد الله بن أحمد الدورقي، قال: سمعت محمد بن علي بن الحسن بن شقيق، قال: سمعت أبي، قال: «كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج اجتمع عليه إخوانه من أهل مرو فيقولون نصحبك يا أبا عبد الرحمن؟ فيقول لهم هاتوا نفقاتكم. فيأخذ نفقاتهم فيجعلها في صندوق ويقل عليها، ثم يكثرى لهم ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال ينفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام وأطيب الحلو، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي وأجمل مروءة، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، فإذا صاروا إلى المدينة قال لكل رجل منهم ما أمروك عيالك أن تشتري لهم من المدينة من طرفها؟ فيقول كذا فيشتري لهم، ثم يخرجهم إلى مكة فإذا وصلوا إلى مكة وقضوا حجهم قال لكل واحد منهم ما أمروك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول كذا وكذا فيشتري لهم، ثم يخرجهم من مكة فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فإذا وصل إلى مرو جصص أبوابهم ودورهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام صنع لهم وليمة

وكساهم، فإذا أكلوا وسروا دعا بالصندوق ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صرته بعد أن كتب عليها اسمه».⁴⁹

تمضي الحكاية بالعطاء مع الرفاق في الطريق ثم في العودة: نفقة، وحاجة أهل، ومال يعود إلى صاحبه. وفيها من معرفة حاجات الرفيق ما يتجاوز إعطائه عند بدء السفر. تبقى خبراً منسوباً بدرجة طريقه، ولا نعلم أن تفاصيله كانت نظاماً يتكرر في كل رحلة. وهنا يحسن أن ينتبه القارئ إلى الرفاق أنفسهم كما تصفهم الحكاية: جاءوا بنفقاتهم، وسافروا، وكانت لهم أسر وحاجات ورغبات. ليسوا فراغاً حول شخصية كريمة، بل أصحاب أفعال وحقوق. فإذا ردت إليهم نفقاتهم في خاتمة الخبر فذلك تمام صورة من الإعانة، لا محو لدورهم في الرحلة.

تروي هذه الحكاية رفقةً يسير بها صاحبها، ويهيئ لها من النفقة ما يخفف كلفة الطريق. يبقى الخبر غير ثابت بطريقه المذكور، وتفصيل روايته وما اتصل به من أخبار محفوظ في الحاشية.⁵⁰

٤٩ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٤٣).

٥٠ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٤٣). وقد تكرر هذا الخبر في مصادر لاحقة. تكراره لا يجعلنا أمام رحلات شهدا رواة مستقلون كلهم، بل أمام خبر حفظته أوعية مختلفة. وفي آخره

ما الذي يحفظه العطاء وما الذي لا يشتريه

تضع رواية إعانة أهل العلم المال إلى جوار الوقت: حاجة تستنفد جهد رجل، وإعانة يراد بها أن يتسع له بعض يومه. لكن العلم الذي يحمله يظل عمله ومسؤوليته. ليس في الخبر عقد يجعل اختياراته العلمية ملكاً لمن يعينه.

وحول ابن المبارك رجال أخذ عنهم وانتفع بصحبتهم. لهذا لا تستقيم صورة معط يقف فوق الآخرين جميعاً؛ في سيرته مواضع كان هو فيها المحتاج إلى ما عند غيره. يحتاج إلى عالم يصحح له، ورفيق يراجع معه، وناقل يحفظ قوله. قد يملك مالاً يعين به واحداً منهم، ويظل لهذا الواحد فضل لا تقاس قيمته بمقدار الصلة.

أخبار ينبغي فصلها: وليلة بعد الرجوع ضمن رواية علي بن الحسن، ثم دعوة أخرى في آخر سفره يرويها خادم غير مسمى، ثم قول للفضيل جاء بصيغة البلاغ. وليس سماع الابن من أبيه تصريحاً بأن الأب عاين جميع ما حكى. هذا الفصل يصحح قراءة النص، لكنه لا يزيل ضعفاً في طريقه الأعلى.

في الحوار المروي، وفي طريقه ضعف، يسأل الفضيل صاحبه عن المال. فيجيء التعليل بعد السؤال، ويبقى الصديق حاضراً برأيه واعتراضه. كانت صحبة أهل العلم تتسع للنصح كما تتسع للإعانة. وفي أخبار عونه يظهر أصحاب الحاجة بأعمالهم: طالب يحمل علماً، وصاحب يقطع طريقاً، وبيت ينتظر نفقة. يصل إليهم المال فيعينهم على ما يقومون به؛ ويعرف المعطي أن لكل واحد حياةً أوسع من حاجته إليه.

كلفة لا تحملها الأرقام

في حكاية رفقة الحج، بما فيها من ضعف تقدم بيانه، لا تصف النفقة مالاً دفع ثم انتهت صلته بصاحبه؛ تصف رفقة تتحرك، وحاجات تؤدي، وأهلاً ينتظرون العائدين. إن صحت تفاصيل مثل هذا العمل، كانت له كلفة في التنظيم والوقت إلى جانب كلفة المال.

تحفظ الرواية رفقةً ونفقةً وصحبة طريق. وفي هذا القدر يلتقي المال بالناس الذين انتفعوا به، ويبقى حساب الرحلة وتفصيل نفقاتها خارج ما وصل من الخبر.

وكذلك تجارة البز: معرفة اسم السلعة لا تكشف مقدار النقد المتاح في كل وقت، ولا صفة العقود أو الشركاء أو دورة الربح. نقرأ ما سماه الخبر، ونمتنع عن استكمال دفتر لم يصل. ليست القيمة

في أن نخرج بصورة تاجر تفسر كل تفصيل؛ القيمة أن نرى أين ينتهي الخبر ويبدأ ما نتصوره نحن.

وثمة أشخاص يذكّرهم نص رواية التجارة قبل العطايا الخارجية: العيال. يلفت حضورهم، مع بقاء الطريق غير ثابت بما يعتمد عليه في تفاصيله، إلى أشخاص قد لا يسميهم المدح. أما تقدير كفايتهم وكيفية أدائها فليس عندنا خبر مفصل عنه. وحين ننقل سؤال العطاء إلى حياتنا سنحتاج إلى معرفة حقوق أهلنا فعلاً، وإلى وعد نستطيع الوفاء به، قبل أن نستحسن حجم ما نبذله للبعيد.

عندما يصير المال حجة في الحكاية

تزداد جاذبية السيرة حين تظهر فيها مبالغ كبيرة: رأس مال ضخّم، ونفقة سنوية واسعة، وعطايا تدهش السامع. لكن للرقم أثراً في الخيال قد يسبق أثره في الدليل. نرى منه سعة القدرة، ثم نتصور بسهولة سعة الأعمال التي كانت ممكنة بها. ولهذا كان الامتناع عن اعتماد المقادير غير المحققة ضرورة لفهم الرجل، لا تشدداً في تفصيل هامشي.

وفي النهاية لا تتحدد قيمة المال في حياة الإنسان بحجمه وحده. قد يتسع المورد ويضيق نفعه، وقد يكون محدوداً ويقع في حاجة مناسبة. لكن الحكم على حالة معينة يحتاج إلى واقعها. لذلك نترك ابن المبارك عند الأخبار التي وصلتنا، وننتقل نحن إلى فحص ما

نملكه ونستطيع أداءه؛ هناك تكون الحسابات مسؤوليتنا، لا أرقاماً
ننسبها إلى ماضٍ لم يحفظها.

العطاء الذي يعرف حدّه

تحفظ أخبار المال وجوهاً من عمله، وتفاوت في قوة ثبوتها. لم
يصل إلينا حساب يجمع مقدار تجارته وإنفاقه؛ لكن ما صح من

صلته بأصحابه يبين رجلاً يجعل من قدرته مورداً يعين به على العلم والعمل.^{51 52 53 54}

خرج المال من يد المعطي إلى من ينتفع به. ومع العطاء بقي سؤال الاستعمال: ما الذي يقوم به هذا المال، وأي حق يحفظه لمن أخذه؟⁵⁵

٥١ - لا يثبت بهذا الطريق تقسيم دائم للأرباح. انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٣٨). تجاور في هذا الفصل خمسة أنواع من المادة: تجارة البز في طريق لم يستكمل رجاله، وتعليل حبان للعطاء، وحوار الفضيل الذي يلتقي فرعاه عند إبراهيم بن بشار، وحكاية رفقة الحج وفي أعلاها راو ضعفه الخطيب، ثم مقادير متأخرة لم يثبت لها حساب متصل. لا تصير هذه الأخبار مؤسسة مالية واحدة بمجرد أن البطل واحد.

٥٢ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٤٢).

٥٣ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٤١).

٥٤ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٤٣).

٥٥ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٤٤). سبق نص خبر التجارة وتمته كاملاً في هذا الفصل عند أول مناقشة للبز والقوت للعيال

حفظت الأخبار كسباً ونفقة وصلات بأهل العلم، متفاوتة في قوة طرقها. يظهر فيها المال وهو يدخل حياة العيال والأصحاب، ثم نمضي إلى ما حمله صاحبه من علم في الأجوبة والكتب.

والخمسة، مع بيان علل الطريق واعتراض الذهبي على تركيب ذيل ابن عليّة زمنياً. لا نعيد المتن هنا؛ والمقصود أن خروج المال من يد المعطي لا يعفينا من السؤال عن طريقة استعماله وحق من يتلقاه.

حين يأخذ العلم طريقه إلى الناس

أربعة أحاديث عادت إلى صاحب التوصية

قال أبو الوليد: «أفادني ابن المبارك عن محمد بن جابر أربعة أحاديث، فأتيته فسألته، فحدثني بها عن غير الذي أفادني عنه ابن المبارك. فرجعت إلى ابن المبارك فأخبرته، فقال: ليس بشيء، غلط فيها». قال أبو الوليد: «فمحوتها».⁵⁶

ذهب أبو الوليد وكتب، ثم عاد بما سمع، فظهر الاختلاف. هكذا امتدت الدلالة على الشيخ إلى مراجعة ما أخذ عنه؛ لكل رجل فعله في الخبر، ولكل حديث حكمه الذي يحتاج إلى النظر فيه.

هذه المرة حملت العودة اختلافًا. فالوجه الذي رواها به محمد بن جابر لم يوافق ما ذكره ابن المبارك. قال ابن المبارك إنه غلط، ومحا أبو الوليد الأحاديث التي كتبها. يسجل الخبر فعل المحو لأبي الوليد؛ أما ابن المبارك فله التوصية أولاً، ثم الحكم الذي نقله عنه صاحبه. بين الدلالة والمحو جهد لم يستقر على صورته الأولى: سؤال، وكتابة، وعودة بما كُتب. لم تكن التوصية وحدها نهاية العمل. ولولا أن

أبا الوليد رجع بما تلقاه، لما حفظت لنا هذه الرواية موضع الاختلاف ولا جواب ابن المبارك عنه.

عادت الأحاديث الأربعة إلى صاحب التوصية، فعاد النظر فيها. يظهر هنا علمٌ يحتمل المراجعة، وصاحب علم لا يغنيه رأيه الأول عن النظر فيما يبلغه بعده.

لقد كان لمن تلقى العلم عمل يؤديه. يذهب، ويسأل، ويثبت ما يسمع، ثم يعرضه. وفي هذا الموضع من السيرة نرى أبا الوليد يؤدي ذلك العمل، ونرى ابن المبارك يتعامل مع ما عاد به. يصل العلم إلى الناس عبر هذه الأيدي المتعددة، ويحمل كل واحد منها قدراً من مسؤولية ما يصل.

جواب يلتفت إلى صورة المسألة

ترد أجوبة ابن المبارك عند الترمذي داخل أبواب عملية قريبة من حياة السائل، وفي أثناء اختلاف الفقهاء. سنقرأ بعد قليل نماذج من النوم والشك والمغتسل ومال اليتيم. تحفظ هذه المواضع حضوراً فقهياً، ولا تصف طريقة نومه أو معاشه الشخصي.^{57، 58}

٥٧ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٤٦).

٥٨ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٤٧).

موضع بين الفقهاء

وحين نتابع حضوره في أبواب أخرى، نراه يوافق سفيان الثوري في مال اليتيم وصدقة الفطر من البر، ويجتمع مع عدد من الأئمة في مسائل أخرى، ويفترق عن بعضهم في مسائل سبق أن اجتمع معهم في غيرها.⁵⁹

لا تقصد السيرة إلى ترجيح تلك الأقوال للقارئ اليوم. ما يهمنا أن فقهه يظهر في خريطة حية من الاختلاف؛ لم يكن اسماً يضاف دائماً إلى مجموعة واحدة. وعبرة «قال فلان وفلان» عند الترمذي تحفظ موضع اتفاق في المسألة، ولا تروي تلقائياً مجلساً اجتمعوا فيه أو مدرسة ذات إدارة واحدة.

وهذه التعددية تكشف دور من جاء بعده أيضاً. فالترمذي يجمع الرواية والاختلاف، ويبين بعض علل الأخبار، ويضع قول ابن المبارك حيث يراه من خريطة الفقه. بذلك يكون حفظ الأثر عملاً شارك فيه المصنف اللاحق، لا امتداداً تلقائياً لشهرة السابق.

الفقيه داخل السؤال الصغير

ليس كل ما يحتاج إليه الناس سؤالاً واسعاً عن غاية الحياة. أحياناً يحتاج المرء إلى معرفة ما يلزمه بعد نوم، أو كيف يفهم شكاً عرض له، أو ما الذي يتغير في الحكم إذا تغيرت هيئة المكان. وفي أجوبة ابن المبارك التي حفظها الترمذي نرى هذا المستوى القريب من الممارسة.

نص النقل: قال أبو عيسى: «وسمعت صالح بن عبد الله يقول: سألت عبد الله بن المبارك عن نام قاعداً معتمداً، فقال: لا وضوء عليه».⁶⁰

القيد جزء من المسألة؛ السؤال عن نوم القاعد المعتمد، لا عن النوم مطلقاً. ثم يعرض الترمذي اختلاف العلماء وصوراً أخرى، فلا يحمل حكم صدر الباب على هذا الطريق.

دخل فقهه في فعل يتكرر بين الناس. يحمل العالم الخبر، ويعرف السؤال، ثم يبين ما يفهمه في صورته المعينة. وفي هذه الصلة يظهر من علمه ما لا تقوله قوائم الروايات وحدها.

والسائل شريك في دقة الجواب. لو اختصر وصفه إلى «رجل نام»، لغاب عنا قيد اتصل بما قاله المفتي. في هذه الصلة يتحمل

٦٠ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٤٩).

الطرفان عملاً: السائل يصف، والعالم يفهم الوصف ويجب في حدوده. ثم يأتي الناقل فيحفظ القيد، فيستطيع من بعده ألا يوسع الجواب إلى ما لم يسأل عنه.

وبذلك نفهم جانباً من حضور ابن المبارك في كتب الفقه: لا يبقى اسمه بسبب الثناء عليه وحده، بل بسبب رأي يمكن تعيينه ومقارنته. قد يوافقه القارئ المتخصص أو يرحح غيره؛ يظل الرأي شاهداً على مشاركة علمية محددة. أما قارئ هذه السيرة فلا يحتاج إلى أن يتخذ كل رأي فيها فتوى لحاله، بل إلى أن يرى كيف كانت المعرفة تستعمل في سؤال الناس.

وصف المكان يغير صورة المسألة

نص النقل: قال أبو عيسى: «وقال ابن المبارك: قد وسع في البول في المغتسل إذا جرى فيه الماء». قال أبو عيسى: «حدثنا بذلك أحمد بن عبدة الآملي، عن حبان، عن عبد الله بن المبارك».⁶¹

٦١ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٥٠). هذا موضع صغير يجمع وظيفتين. بصفته راوياً حمل خبراً عن معمر. وبصفته فقيهاً نسب إليه قول يراعي حال المغتسل. لا يجوز أن ننقل حكم المصنف على إسناد الحديث الأول إلى الطريق الذي حمل القول الثاني، كما لا يجوز أن نجعل ورود القول بعد الحديث تفسيراً نطق به النبي صلى

يظهر ابن المبارك في الصفحة من جهتين منفصلتين: في سند الحديث المرفوع أولاً، ثم في قول فقهي ينقله المصنف بطريق أحمد بن عبدة الآملي عن حبان. لكل من الرواية والقول الفقهي طريقه في هذا الموضع.

ولا نستخرج من هذا القول وحده نظرية كاملة في المصلحة أو العلة. قد يجد الفقيه المتخصص له موضعاً في أصول أوسع بعد جمع النصوص، لكن السيرة تنتفع أولاً بالقدر الذي أمامها: حكم مقيد بوصف، ومصنف يحفظ القيد. متى غاب الوصف صار القول أوسع مما نقل، ومتى نسبنا إليه تعليلاً لم يذكره زدنا صوت الكاتب على صوت صاحبه.

بهذه القراءة يبقى عمل العالم قريباً من الواقع، من غير أن يتحول الماضي إلى إجابات جاهزة على كل صورة معاصرة. تختلف مرافق الناس وعاداتهم وأسئلتهم، وتحتاج الوقائع الجديدة إلى من يحققها. الذي نستفيده في صحبته هنا هو أن وصف المسألة ليس عملاً ثانوياً يسبق الفقه ثم ينسى؛ إنه جزء مما يحفظ معنى الجواب.

الله عليه وسلم. قرب الأسطر لا يلغي اختلاف المتكلمين ولا اختلاف الطرق.

حين لا تكفي قوة الشعور

نص النقل: قال عبد الله بن المبارك: «إذا شك في الحدث، فإنه لا يجب عليه الوضوء حتى يستيقن استيقاناً يقدر أن يحلف عليه». وقال: «إذا خرج من قبل المرأة الريح وجب عليها الوضوء».⁶²

نقل الترمذي القولين متتابعين. الأول يفرق بين الشك والاستيقان في محل المسألة، فلا يجعل مجرد الاحتمال موجباً للوضوء؛ والثاني حكم مستقل في صورة أخرى. ويبقى كل قول في المسألة التي ورد فيها.

في جواب الطهارة دقة تعين السائل على أن يقف عند ما يلزمه، بدل أن يسترسل مع كل احتمال. والفقهاء الذين يبين الحد قد يرفع عن الإنسان تعباً يزيده التردد.

والثبوت الذي نراه في نقد الأخبار ليس صورة واحدة في جميع المجالات. في الخبر المنقول يسأل عن طريق النسبة؛ وفي الواقعة التي يشك فيها صاحبها ينظر إلى ما ثبت له من حاله. لا ندمج المجالين حتى يضيع اختلافهما. يجمعهما، في قراءتنا، انتباه إلى ما يحمله الدليل فعلاً، لكن لكل واحد أدلته وأحكامه ومحل استعماله.

هذا مهم حين نحب أن نصف صاحب السيرة بكلمة عامة مثل «الدقة». لا تؤدي الكلمة عمل الشواهد. الدقة في سؤال راوٍ عن سماعه تختلف عن الدقة في وصف نوم سائل، وتختلف عن حفظ الفرق بين قول المصنف وتعليق ناقله. كل موضع يضيف إلى الصورة وظيفية جديدة، بدل أن يكون مجرد مثال آخر على صفة نكرر اسمها.

رأي بين آراء

نص النقل: قال أبو عيسى: «وقد اختلف أهل العلم في هذا الباب، فرأى غير واحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في مال اليتيم زكاة، منهم عمر وعلي وعائشة وابن عمر، وبه يقول مالك والشافعي وأحمد وإسحاق. وقالت طائفة من أهل العلم: ليس في مال اليتيم زكاة، وبه يقول سفيان الثوري وعبد الله بن المبارك».⁶³

٦٣ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٥٢). هنا تفيدنا طريقة المصنف بقدر ما يفيدنا اسم صاحبنا. إنه لا يكتفي بسرد متن ثم يفترض أن جميع العلماء فهموه على وجه واحد. يعرض نقداً للطريق، وخلافاً في المسألة، وأسماء لأصحاب الأقوال. وقد تكون بين هذه الطبقات صلات يستقصيها الفقيه، لكن لا يصح أن نختصرها إلى أن من خالف القول المفضل عندنا خالف الحديث الصحيح عمداً.

يضع الترمذي قول ابن المبارك داخل خلاف مسمى الأطراف،
وينبه قبل ذلك إلى مقال في إسناد الحديث الذي صدر به الباب.
من هذا العرض نعرف موضع رأيه بين الأقوال التي جمعها
المصنف.

وافق سفيان في هذه المسألة، وخالفه في غيرها مما تقدم. كانت
الصحبة واسعة، وكانت لكل مسألة حجتها واختيارها.

والمال في هذا الباب مال يتيم، لا مال الفقيه نفسه. هذا فرق
يضيف وجهاً آخر إلى فصل الموارد. فالرجل لا يفكر في المال من
موقع صاحب تجارة ومعط فقط؛ يرد اسمه أيضاً في خلاف على ما
يجب في مال شخص لا يستقل بالتصرف فيه. لا ثبت بذلك أنه
تولى أموال أيتام، وإنما نرى اتساع الأسئلة التي نقل عنه النظر فيها.

تظل هذه العينة محدودة. ليست حصراً لفقهه، ولا مفاضلة بين
اجتهاداته واجتهادات غيره، ولا دليلاً على أن كل نقل في كتب
الخلاف قد استوفى هنا تحقيقه. لكنها تمنع صورة ناقصة تجعل
المحدث صاحب ذاكرة فحسب. أماننا رواية، وفهم، وسؤال،
ورأي يتداوله مصنف بعده؛ وهذه وظائف متميزة اجتمعت في
أثره العلمي.

كتاب يحمل أصواتاً كثيرة

ثم نفتح الزهد والرقائق. يدخل القارئ من عنوان قد يتوقع وراءه كلاماً متصلًا لابن المبارك عن تجربته، لكنه يجد روايات وأقوالاً وطرقاً، ويتغير المتكلم من خبر إلى آخر. من الخطأ أن نحول كل ما فيه إلى اعتراف من مؤلفه أو يومية من حياته.

في عينة باب الإخلاص والنية يروي حديث الأعمال بالنيات، ثم يرد قول لجعفر بن حيان في شأن النية، وتأتي أقوال أخرى في العمل والمظهر ومحاسبة النفس.⁶⁴ تقارب المعاني لا يجعلها صوتاً واحداً. لرواية الحديث صفتها، وللقول المنقول قائله، ولجمع هذه المادة دلالة التي يجب أن تبقى في حدود ما وصل من النص. حمل كتابه أسئلة النية والعمل والصحة والمال. نعرف منه ما جمعه ورواه، ونجد في أخبار حياته ما يبين أفعاله هو.

وفي الكتاب أبواب عن صلاح أهل البيت والصحة وطلب الحلال. يعطي هذا التنوع للزهد معنى أوسع من الانصراف عن الطعام والمال؛ ففي مادته صلوات بين الإنسان وأهله وجليسه وعمله. غير أن خبراً عن أثر صلاح الآباء لا يثبت عدد أبناء ابن

٦٤ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٥٣).

المبارك، كما أن خبراً عن الصدقة لا يثبت أنه فعل كل صورة رواها.⁶⁵

حمل ابن المبارك أقوال غيره، وأبقى أسماءهم معها. انتقل المعنى في روايته إلى من لم يدرك قائله؛ خدمة للعلم يشترك فيها من قال ومن حفظ ومن بلغ.

عمل صغير يستطيع أن يبقى

في الصفحات الأولى من عينة الإخلاص في الزهد والرقائق قول منسوب إلى عبد الله بن عمرو، يفضل فيه قدراً من العمل يثبت عليه على قدر مضاعف لا يطمئن إلى ثباته. يرويه الكتاب في باب تجتمع فيه أسئلة النية والعمل. ليس المتكلم ابن المبارك، ولا يصف النص مقدار عبادته أو جدوله؛ إنما يضع أمام قارئ مادته سؤال الدوام.⁶⁶

لهذا السؤال وجه لا يظهر في عدد الأعمال وحده. يستطيع الإنسان أن يكثر في زمن قصير، ثم يجد نفسه بعده عاجزاً عن الوفاء بما التزم. وقد يكون الفعل الأقل جزءاً من حياة مستقرة،

٦٥ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٥٤).

٦٦ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٥٥).

يؤدي مع حقوق أخرى، فيبقى أثره أطول. لا يقدم الخبر معادلة حسائية نفضل بها القليل في كل حال؛ فالقدرة والحاجة وطبيعة العمل تختلف. لكنه يمنع مساواة الزيادة الظاهرة بالنفع المحقق على نحو آلي.

ويأتي القول في لغة تقارن بين أحوال أزمنة، كما يراها قائله. لا نأخذه إحصاءً يصف كل أهل زمن أو دليلاً على أن ابن المبارك نفسه مر بتحول نفسي معين. فالمصنف الناقل يتيح لنا النظر في حكمة منقولة، ولا يطلب من القارئ أن يدخل شخصية الراوي في كل ضمير فيها.

تتغير قراءةنا للزهد إذا انتبهنا إلى هذا اللون من الأسئلة. قد يتوقع القارئ كتاباً لا موضوع له إلا ترك الممتلكات، ثم يجد فيه وزناً للعمل ومراجعة للنية ونظراً في دوام القدرة. يصبح سؤال التعلق بالدنيا جزءاً من مجال أوسع: كيف يعيش المرء وهو يعرف ما يفعل ولماذا يفعله، وما الذي يبقى من قوله حين يمتحنه الفعل؟

لا يعني هذا أن كل معنى حديث في إدارة الوقت موجود في النص القديم. إن حاجاتنا التنظيمية ولغتنا في قياس الأداء ليست هي لغة الأثر. نستطيع أن نستفيد من السؤال الذي يفتحه، ثم نصوغ وسائلنا ونختبرها نحن. بذلك نحفظ للنص زمنه، ونحفظ لحياتنا مسؤولية اختيار ما يلائمها.

حين يكون عيب غيرك أسهل من عيبك

بعد صفحات قليلة يروي الكتاب قولاً لعبد الله بن عروة يشتهي فيه إلى الله من عيبه ما لا يتركه، ومن نعيه على الناس ما لا يأتيه هو. تنقل العبارة التوتري إلى الداخل: يستطيع اللسان وصف الخلل، بينما يبقى صاحبه واقعاً في بعضه أو مقصراً عن بعض ما يدعو إليه.⁶⁷

ليس المطلوب من وجود هذا التوتري إسكات كل نصيحة حتى يبلغ الناصح الكمال؛ لم يقرر الأثر هذا الحكم. الذي يعرضه هو إمكان أن تكون معرفة العيب أسبق من معالجة صاحبه لنفسه. من هنا تصبح القدرة على تسمية الخطأ بداية للمراجعة، لا شهادة بأن المتكلم خرج منه.

ثم تتجاوز في العينة أقوال عن العين والقول والفعل، وصور تضرب مثلاً لظاهر يوحى بالغنى وباطن لا يوافقه. تختلف أسانيدنا وقائلوها، ولا تجعلها الطبعة فصلاً من اعتراف شخصي لابن المبارك. لكنها تكشف موضوعاً متكرراً في المادة: التباعد الممكن بين العلامة التي يراها الناس والحال التي ينبغي أن تحملها تلك العلامة.

يمكن للقارئ أن يسأل عندئذ: ما الأمر الذي أحسن وصفه في غيري ولا أحسن أدائه؟ يحتاج الجواب إلى مثال صغير واضح. قول «أنا مقصر في كل شيء» لا يحدد فعلاً، وقول «سأصلح نفسي كلها» لا يحدد بداية. أما ملاحظة تأخير جواب التزمت به أو نقل خبر لم أثبت منه فتتيح إصلاحاً يراه صاحبه ومن تأثر به. هذه الاستفادة اقترأنا المعاصر، ويبقى الأثر في الكتاب شاهداً على سؤال قديم. لا نختلق لابن المبارك جلسة كان يكتب فيها هذه الأسئلة، ولا نعطيه ألفاظاً صغناها نحن. تكفينا صحة النص في الموضع الذي يفتح فيه النظر.

الكلام والسكوت حين يصبحان صورة

من اللافت في العينة نفسها خبر يوجه المتكلم إلى السكوت إذا أعجبه كلامه، ويوجه الساكت إلى الكلام إذا أعجبه سكوته. تحفظ طرق هذه المجموعة ما فيها من إبهام واختلاف، فلا يبنى عليها حكم شرعي مفرد دون التحقيق. لكن صورة السؤال فيها جديرة بالتأمل بوصفها من مادة الرقائق المنقولة.⁶⁸

لم يجعل انخبر الكلام عيباً دائماً ولا السكوت فضيلة دائمة. فقد يتعلق الإنسان بصورة المتحدث الذي يعجب الناس، وقد يتعلق

٦٨ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٥٧).

بصورة الصامت الذي يظنه الناس أعمق منهم. يتبدل الفعل الظاهر، ويبقى طلب المنزلة ممكناً في الوجهين. ولهذا لا تكفي هيئة واحدة للحكم على ما وراءها.

أما معرفة ما في القلوب فليست حقاً للقارئ. لا نطبق هذه الصورة على سكوت ابن المبارك في خبر بعينه، فنقول إنه سكت لأنه أعجب بكلامه، أو تكلم لأنه قاوم عجباً بسكوته. لم تنقل الأخبار هذا الربط. الذي يمكن أن يتعلمه القارئ هو الاحتراز من استسهال تفسير الظاهر، ومن تحويل هيئة يعجب بها إلى معيار لا يخطئ.

وفي المجالس المعاصرة تظهر حاجة عملية قريبة: ربما كان المطلوب منك جواباً تعرفه، فلا يكون السكوت دائماً تواضعاً؛ وربما كنت لا تعرف، فلا يكون الكلام دائماً مشاركة نافعة. يتحدد الفعل بما يحتاجه المقام وبما تملكه من معرفة، لا بالصورة التي تريد أن يخرج بها الناس عنك. هذه قاعدة عمل نقترحها، وليست استنباطاً فقهيًا ملزماً من طريق لم يكتمل تحقيقه.

ونتصل بها صورة أخرى في العينة: رسائل منقولة عن عائشة إلى معاوية في طلب رضا الله. تتنوع صيغ النقل بين المرفوع والموقوف، فلا نذيتها في قول واحد ولا نجعلها رسائل كتبها ابن المبارك.

وجودها في الوعاء يبين أن سؤال رضا الناس حاضر فيه، وأن الكتاب يستدعي أصواتاً أقدم لمعالجته.⁶⁹

يحمل الكتاب أسئلة عن دوام العمل ومحاسبة النفس وفتنة الصورة. تتنوع أصوات رواته، ويتسع بذلك ما بلغنا من العلم الذي جمعه ابن المبارك وحمله إلى من بعده.

ما يستطيع الترتيب أن يقوله

حين تتجاوز هذه النصوص في صفحات قليلة، يستطيع القارئ أن يلاحظ علاقة بينها. غير أن العلاقة الملحوظة ليست دائماً خطة مؤلف يمكن الجزم بها. قد تدخل في الصورة رواية الكتاب وترتيب النسخة وعمل المحقق؛ وقد يبقى موضع بعض العناوين محتاجاً إلى مقابلة مخطوطاته. لذلك نقول إن هذا هو التابع في الطبعة المقروءة، ثم نتوقف عن نسبة قصد تفصيلي لا دليل عليه. لا يسلب هذا الاحتراز الكتاب فائدته. فأنت تقرأ نصوصاً لها مواضع وطرق، وتستطيع أن تعقد بينها مقارنة معلنة. يكفي أن يكون الاستنتاج بحجم ما فحصت: هذه العينة تحمل سؤال النية والعمل من وجوه مختلفة. أما أن الكتاب كله بني على نظرية

٦٩ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٥٨).

واحدة بهذه المصطلحات، أو أن كل ما ورد فيه يعبر عن اختيار نهائي للمصنف، فدعوى أوسع تحتاج إلى فحص آخر. وهذا الفرق مهم في كتاب عن صاحب أثر. قد نريد أن نعثر له على فكرة مركزية تجمع كل حياته، ثم نضغط الأخبار حتى توافقها. لكن الحياة والكتب أوسع من عنواننا. ربما تتجاوز معان متكاملة، وربما توجد توترات لا تخل، وربما لا يبقى من بعض الأعمال إلا اسم. ينصفه الكتاب حين يظهر ما استطاع معرفته ويترك الباقي على قدره.

وما نخرج به من هذه القراءة ليس جدولاً سرياً لحياة ابن المبارك، بل فهم لعمل الناقل: يستطيع أن يحمل للناس أسئلة لا تنتهي بانتهاء زمانه. قد تتغير وسائل العمل ومقاديره، ويبقى الفرق بين قوله وفعله، وبين الصورة والمنفعة، وبين ما يطلب لنفسه وما يؤدي لغيره، محتاجاً إلى نظر. هنا يستمر أثر الكتاب من غير أن نستبدل صوت صاحبه بصوتنا.

كتاب يفتح باب البيت

لا تنتهي المعرفة التي حملها ابن المبارك عند مجالس الرواية وأبواب العبادات. ثمة مادة تصل إلى الوالدين والأولاد والجيران، وتعيدنا إلى البيت من باب آخر: باب ما كان يروى عن حقوق الناس، لا باب ما نستطيع إثباته من تفاصيل بيته الخاص.

يحمل كتاب البر والصلة، في رواية الحسين بن الحسن المروزي عن ابن المبارك وغيره، هذا الاتساع. وعنوانه نفسه يحتاج إلى انتباه. الحسين ليس ناقلًا عن شيخ واحد في جميع الكتاب؛ وقد سمع من رجال آخرين وجمع من رواياتهم فيه. فإذا وجد القارئ اسم ابن المبارك على غلاف طبعة أو في تعريف مختصر بالكتاب، ثم نسب إليه جميع ما تحت الغلاف، ضاع منه دور الحسين وشيوخه، وتبدلت نسبة أقوال وأفعال كثيرة.⁷⁰

ويمكن أن نبدأ من صفحة صغيرة بدل أن نبدأ بحكم كبير على الكتاب. في الأخبار المتجاوزة عن دعاء الوالدين، تمر رواية بابن المبارك والفضل بن موسى معاً، وتأتي أخرى من طريق ابن المبارك، ثم تأتي ثلاثة عن يزيد بن زريع. يجمعها الموضوع، وتختلف الطرق التي حملتها. وبعض الكلام فيها لمجاهد أو للحسن، فلا يصير قولاً شخصياً لابن المبارك لمجرد أنه رواه.⁷¹

وراء كتاب البر شيخ يروي، وتلميذ يسمع، وأسانيد تحمل المعنى من رجل إلى رجل. صار للعلم طريق يبقى بعدما يغيب أصحاب المجالس، وبلغ من لم يدر كههم شيء مما سمعوه.

٧٠ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٥٩).

٧١ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٦٠).

والفرق يمس فهمنا لابن المبارك نفسه. روايته كلاماً في الدعاء للأولاد تكشف عن مادة حملها إلى من بعده. أما القول إنه كان يقول تلك الكلمات لأبنائه في كل صباح، أو إنه طبقها في حادثة عائلية بعينها، فيحتاج إلى خبر عن حياته. الطريق إلى الفكرة غير الطريق إلى اليوميات. نستطيع أن نرى كيف وصل معنى تربوي عبره، دون أن نصنع له بيتاً من التفاصيل التي نحبها.

ولا يعني هذا أن الرواية عمل محايد لا قيمة له. من يختار مجالاً للتلقي، ويحفظ فيه مادة، ثم يؤديها إلى غيره، يشارك في إبقاء الأسئلة حية. لكن مقدار ما نعلمه من اختياره يحتاج إلى ضبط: قد تكون الوحدة مما سمعه في مجلس ضمن مواد أخرى، وقد يكون تبويبها الذي نراه من عمل جامع أو محقق. لذلك يصبح تقدير عمله أدق عندما نتبع ما فعله بالفعل، بدل أن ننسب إليه كل قرار في الصورة المطبوعة.

الجار يدخل إلى الكتاب

حين يفتح هذا الوعاء باب الجوار، تتسع دائرة القرب. يمر بابن المبارك عن معمر خبر تفسيري في الجار والصاحب وابن السبيل،

وتأتي في المواضع القريبة أخبار عن تقديم الجار الأقرب باباً،
وحسن الصحبة، وإيصال النفع إلى من يعيش إلى جوارك.⁷²
لا نرى في هذه الصفحات خطة لتوزيع أحياء مرو، ولا سجلاً
بأسماء جيرانه. نرى شيئاً مختلفاً: أن المادة التي حملها لم تجعل
الأخلاق علاقة بين العالم وطلابه وحدهم. هناك قريب لا يجلس
مجلسه، ورفيق سفر لا يشاركه كل علمه، وإنسان تتصل حاجته
بمكان إقامته. حضور هؤلاء في المادة المروية يمنع أن نختزل عالمه
في علاقة الشيخ بتلامذته.

ويختلف سؤال الجوار عن سؤال الإحسان إلى شخص بعيد. فالجار
يراك في تكرر الحياة: عند الحركة والسكون، وعند حاجتك
وحاجته. قد يبلغه أثر ما تفعل وإن لم تقصد مخاطبته، وقد يحتاج
إلى دفع أذى قبل أن يحتاج إلى هدية. هذه دلالة عامة لمعنى
الجوار، وليست وصفاً لحوادث ثبت أنها وقعت بين ابن المبارك
وجيرانه. أهميتها في قراءة الكتاب أنها ترد الأخلاق إلى علاقات
مستمرة، لا إلى لحظات بذل لافتة وحدها.

٧٢ — 219 لا يصحح 220، و221 استمرار بسنده لا متابعة مستقلة. انظر ملحق

مصادر الحواشي، رقم (٦١).

ويحفظ باب العطاء مثلاً آخر على ضرورة نسبة الفعل إلى صاحبه. في خبر يمر بابن المبارك، الفاعل الذي يعطي الجارة هو الحسن البصري، والمقدار متردد بين ستة وسبعة دراهم. الفعل للحسن، والتردد محفوظ في الرواية. لا نرجح شيئاً حين نجعل ابن المبارك هو المعطي أو نحذف أحد العددين لتستقيم الجملة.⁷³

ومن هنا نستطيع أن نقرأ مادة البر بوصفها جزءاً من تاريخ نقل الأخلاق. يتناقل رجال أخباراً في الأبوة والجوار والمساعدة، ويختلفون في طرقها، ثم تصل في وعاء واحد. أما تحويل الوعاء إلى سيرة شخصية لجميع ما فيه فيحجب هذا التاريخ. إننا نحتاج إلى ابن المبارك الراوي هنا كما نحتاج في مواضع أخرى إلى ابن المبارك السائل أو المنفق؛ لا يلزم أن يكون الفاعل في كل قصة حتى يبقى صاحب أثر.

حين يصنع الهامش فرقاً

قد تبدو حاشية صغيرة تحت الرواية عملاً متأخراً لا يدخل في صحة صاحبها. لكنها تغير أحياناً ما يجوز أن نستنتجه من النص. ففي بعض أخبار البر والصلة تعدد في شيوخ الحسين الذين رروا

المعنى نفسه، ومع ذلك ينبه المحقق إلى إرسال الخبر. ثلاثة ناقلين في طبقة قريبة لا يعوضون حلقة مفقودة في طبقة أخرى.⁷⁴ لفهم ذلك، يكفي أن نتصور الطريق على حقيقته: إذا تلقى ثلاثة رجال خبراً من المصدر نفسه، ثم لم يسم هذا المصدر من حدثه عن الواقعة، فإن اتفاق الثلاثة قد يثبت ما قاله مصدرهم، لكنه لا يكشف الاسم الذي تركه. نحن لم نكسب ثلاثة شهود رأوا الواقعة؛ كسبنا ثلاثة ناقلين لمادة ذات فجوة مشتركة. هذا شرح للعلاقة، لا حكم جديد على كل رواية تشبهها.

وفي بعض المواضع يأتي خبر تال استمراراً لما قبله، بصيغة لا تعيد السند كاملاً. إذا فصل عن سياقه بدا كأنه خبر مستقل يحتاج إلى طريق جديد، وقد يعدّ شاهداً ثانياً وهو قائم على الطريق الأول نفسه. وفي مواضع أخرى يغير المحقق عنوان الباب أو يزيد عنواناً توضيحياً؛ فيعين القارئ على الوصول، لكن عمله لا يصير جزءاً مما كتبه المؤلف القديم.

ذكر محقق هذا الكتاب أن العناوين الأصلية عشرة، عامة مجملة، وأنه وضع تراجم أوضح وجمع المتقارب موضوعياً. وشرح أنه رقم الروايات وخرجها وترجم رجالها وفهرسها. لهذه الأعمال قيمة

حقيقية؛ فهي مما يجعل الكتاب مقروءاً ومراجعاً اليوم. غير أن تقديرها يبدأ بنسبة كل عمل إلى صاحبه، لا بإخفائها تحت اسم قديم.⁷⁵

بين المؤلف والنسخة التي وصلت

وللنص الباقي حياة بعد صاحبه. فالطبعة التي نقرأ فيها الزهد والرقائق تميز رواية الحسين المروزي من زيادات رواية نعيم بن حماد، وفي حواشيها كلام لناقلين ومحققين. وقد يحفظ الهامش اختلافاً في لفظ أو طريق لم يظهر في السطر الأعلى.⁷⁶

الأمر نفسه يحتاج إليه القارئ حين يفتح المسند. ففي وصف إحدى طبعاته بين المحقق أن تبويب الفهرس من صنعه، وأنه رتب المداخل من معاني الأحاديث، وقد يورد الخبر في أكثر من موضع لدلالاته المختلفة.⁷⁷ لا يصح أن نقرأ هذا الفهرس ثم نقول إن ابن المبارك صمم أبواب كتابه كلها على هذه الهيئة.

٧٥ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٦٤).

٧٦ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٦٥).

٧٧ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٦٦).

هذا الفرق يؤثر في صورة «المشروع». إذا نسبنا إليه ما فعله النساخ والرواة والمحققون، صنعنا له عملاً أكبر من الذي يثبتته الدليل، ثم أخفينا من أسهموا في وصوله. أما حين نميز طبقات الكتاب، فإننا نرى جهد صاحب الرواية وجهد من حملها وحفظها وأتاحها للقارئ.

إلى الثغر ومعه سؤال العمل

لم يكن حضور الغزو في حياته مستفاداً من عنوان كتاب الجهاد وحده. فترجمة ابن سعد ثبتت وفاته عائداً من الغزو، وتوجد أخبار أخرى عن وجوده بأرض الروم، متفاوتة في طرقها وتفصيلها.⁷⁸ وفي مادة كتاب الجهاد نلتقي، قبل صور القتال، بسؤال مطابقة القول للعمل، وبأخبار في صلاح العمل والمواساة والإنفاق وتعدد أغراض الخارجين. من هذه المادة ما يرويه عن أبي الدرداء وابن عمر وابن مسعود؛ فلا تكون أقوالهم كلمات ألفها ابن المبارك عن نفسه.⁷⁹

٧٨ — انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٦٧).

٧٩ — انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٦٨).

يظهر في هذا الوعاء أن الحضور في الثغر لا يلغي سؤال الأخلاق والحقوق. من أنفق؟ ومن حمل؟ وكيف عامل الرجل صاحبه؟ وما الغرض الذي خرج من أجله؟ وهي أسئلة تحول دون أن نجعل مجرد المشاركة الخارجية حكماً على كل ما في باطن المشاركين.

ومن جهة أخرى، تكشف مسائل السير لأبي إسحاق الفزاري، القريب من هذا العالم، أن الأموال والأرض والإذن وحق الجماعة كانت من قضايا الثغر. هذه مسائل للفزاري وفي كتابه؛ ليست خصوصاً لابن المبارك ولا سجلاً بتطبيقها في حملة رافقها.⁸⁰ لكنها تمنعنا من تصوير الميدان مغامرة فردية تخلو من الحقوق والقيود ومن مشاركة أناس كثيرين.

ما الذي لا تكتبه اليد؟

ليست كل رحلة إلى شيخ وعداً بكتابة كل ما عنده. سمع الحسن بن عيسى ابن المبارك ينهى عن كتابة مواد بعينها من رواية جرير بن عبد الحميد: حديث السري بن إسماعيل، ومحمد بن سالم، وعبيدة بن معتب.⁸¹ ثلاثة أسماء داخل رواية رجل آخر؛ هنا يضيق الحكم حتى يصير محددًا بما ينبغي تركه.

٨٠ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٦٩).

لا يقول الخبر إن كل ما عند جرير مردود، ولا يسرد مجالس امتحنه فيها ابن المبارك. يضع أماننا نتيجة موجزة، في موضع محدد. ولو محونا أسماء الرجال الثلاثة، وحفظنا اسم جرير وحده، لقلبنا الحكم من تمييز بين مواد إلى حكم شامل على صاحبها. فرق صغير في العبارة، كبير فيما سيحمله الطالب إلى دفتره.

وللطالب في هذا الخبر مسؤولية تتجاوز الوصول إلى العالم. عليه أن يفهم حدود ما يسمع: عمن يروي؟ وما المادة المقصودة؟ وهل وقع الاعتراض على الرجل نفسه أم على روايات مخصوصة يحملها؟ قد يملأ دفتره اسم مشهور، ثم يحتاج إلى أن يفتح ذلك الاسم ليرى ما تحته من طرق متفاوتة.

حفظ الحسن بن عيسى هذا التوجيه، وأثبتته عبد الله بن أحمد. وصلت الكلمة عبر رجلين، وبقيت في الكتب شاهدة على ما أراد صاحبها حفظه وما أراد تركه.

يحفظ في رقعة ما يريد أن يسأل سفيان عنه، وفي خبر آخر يحدد ما لا يرى كتابته. ظهر الاختيار في سؤاله وفي أوراقه؛ كان يتعلم، ثم يراجع ما يحمل.

العمل الذي يتجاوز صاحبه

يروى ويحيى، ويحمل عنه الناس كتباً ومواد، وتظهر في أخباره وجوه أخرى من العمل. اتسعت حياته لهذه الأبواب، وترك كل باب منها أثراً يحفظ شيئاً من صورته.

يحمل السائل السؤال، ويحفظ الراوي الجواب، وينقل التلميذ الكتاب. حول ابن المبارك رجال شاركوه الطريق، ولكل منهم فعل يظهر في خبر من أخباره.

الذين كانوا في الصورة

جلس أبو إسحاق الفزاري بين يدي ابن المبارك يسأله، وكان أكبر منه بعشر سنين أو أكثر. حفظ المسيب بن واضح هذا اللقاء: الأكبر يسأل، والأصغر يجيب، والعلم يقرب الرجلين.⁸²

لن تمضي السيرة من شيخ إلى تلميذ في خط واحد. ابن مهدي شريك سؤال، ومعمّر طرف في قراءة متبادلة، ورجل يفتح باب شيخ لغيره. إذا اختفى هؤلاء خلف اسم ابن المبارك، فقدنا بعض تفسير ما استطاع أن يتعلمه وما استطاع غيره أن يحمله عنه. نتيح لنا أخبار الصحبة أن نسأل سؤالاً يتجاوز الأسماء: كيف يظل للآخرين فضلهم الحقيقي في حكاية إنسان كبير؟

القرن الذي يحمل السؤال معك

مر بنا ابن مهدي في سؤال عبيد الله بن النضر. كان وجوده في ذلك الخبر جزءاً من الفعل، لا اسماً تجميلياً بجانب ابن المبارك. ومر بنا معمّر في قراءة التفسير المتبادلة. وفي الحلية خبر السندي بن أبي

هارون يختلف مع ابن المبارك إلى المشايخ ويسأله عن استفيدان،
فيجيء الجواب مشيراً إلى الكتب.⁸³

بين هؤلاء رفيق طلب، وشيخ يقرأ عليه ويقرأ عليه الشيخ،
وصاحب يرجع معه إلى مسألة. كانت حياة العلم تقوم بهذه
الصلات، ويحيى نفع كل واحد منها في خبر يخصه.

وهناك وسطاء محلون يفتحون باب اللقاء. يذكر بقية إدخاله ابن
المبارك على صفوان وأبي بكر بن أبي مريم، ويذكر توجيهاً إلى
الأخذ عنهما.⁸⁴ لولا أن الخبر سمي من أدخله، ل بقي في السيرة
لقاء بين عالم وعالم، وغاب الرجل الذي يسهل الوصول.

يسر الواسطة لقاءً يحتاجه القادم، وفتحت له باباً عند أهل
العلم. وفي طريق الطلب مكان لمن يدل ويعين، إلى جانب من يعلم
ومن يتعلم.

٨٣ - لا يدل ضمير «كتبنا» على تأليفهما كل ما في الكتب. انظر ملحق مصادر
الحواشي، رقم (٧٢).

٨٤ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٧٣).

لا يختفي أصحاب العلم خلف صاحب المال

وحين يذكر الخبر إعانة رجال من أهل العلم، يسهل أن تقع السيرة في ظلم لطيف: أن ترى العلم الذي بثوه أثراً لمال معطيهم وحده. لكن المتعلم الذي تفرغ بعض الوقت لم يكن وعاءً فارغاً. له ما تعلمه، وما عاناه في ضيقه، وما اختاره من أداء، وله من أعانه قبل هذه الصلة وبعدها.

خرج من ماله عون لبعض أهل العلم، وعاد إليه منهم علم ونصح. كان يعرف فضل وهيب ومكانة سفيان، ويذكر ما انتفع به عندهما؛ فالعطاء في هذه الصحبة أحد وجوهها.

ويحفظ حوار المنقول مع الفضيل، الذي مر في فصل المال، للصاحب دور السائل والمعتز أيضاً.

من يسأل في مجلس العالم؟

وفي خبر مجلس بالكوفة تذكر الترجمة حضور إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة وعلي بن صالح، وتوجيه عبد الرحمن بن شكيل إلى السؤال. يوصف عبد الرحمن بأنه أضعف أهل المجلس في ذلك

الخبر، مع أن ترجمته في كتب الرجال لا تتيح تحويل هذا الوصف مباشرة إلى جرح في صدقه.⁸⁵

لا يلزم أن يكون الرجل ضعيف الرواية لأن غيره أرسخ منه في مجلس بعينه. والتمييز مهم لفهم ما وقع: يوجد تفاوت بين الجالسين، ومع ذلك يوجه السؤال إلى واحد منهم أو يطلب منه أن يتقدم به. يبقى التفصيل تابعاً لطريق الحكاية، ولا نستخرج منها نظاماً تربوياً عاماً، لكننا نرى أن الحاضرين لم يكونوا نسخة واحدة من القدرة والمرتبة.

وكان للمجلس أن ينفع بما يجري بين أهله أيضاً، كما سبقت الإشارة إلى استفادة الطلاب بعضهم من بعض. لا يكون المعلم أقل أثراً لأن أثره أتاح للآخرين أن يفيدوا؛ بل قد يكون من تمام النفع أن يخرج من عنده متعلم يعرف كيف يسأل قرينه وكيف يراجع معه.

الأسماء التي حفظت السيرة

ثمة شراكة أخرى لا تظهر إلا حين نقراً بعد انقضاء العمر: شراكة الشاهد في بقاء الخبر. الحسن بن عيسى يحفظ من السفر والمجلس

٨٥ - طريق المجلس مرجح مبدئياً لا مصحح هنا تصحيحاً مستقلاً. انظر ملحق مصادر

الحواشي، رقم (٧٤).

ما رآه أو سمعه. وعلي بن الحسن بن شقيق يحمل أخباراً وأقوالاً. والحسن بن الربيع يرد في أخبار آخر العمر. ثم يجيء من يجمع رواياتهم، ومن يفحصها، ومن يبين اختلافها.⁸⁶

لا تصبح الأخبار صحيحة كلها لأننا سمينا ناقليها. لكن أسماءهم تخرجها من وهم الراوي العليم الذي يرى كل شيء. لكل واحد مجال معرفة؛ قد يشهد رحلة ولا يشهد حياة كاملة، وقد يسمع قولاً ولا يعرف سببه، وقد يخطئ في بعض ما حفظ.

وبقي في أخبار الرفقة أناس لم تحفظ الرواية أسماءهم: من شاركوا الطعام، وحضروا المجلس، وحملوا مؤونة الطريق. يتسع لهم معنى الصحبة، وإن ضاقت عن أسمائهم صفحات التراجم.

وجه للقاء، ويد للنفع، وحد للأذى

نص النقل: حدثنا أحمد بن عبدة الضبي، حدثنا أبو وهب، عن عبد الله بن المبارك، أنه وصف حسن الخلق فقال: «هو بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى».⁸⁷

٨٦ — انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٧٥).

٨٧ — انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٧٦).

في هذا القول المنسوب إليه يصير حسن الخلق عملاً يلقاه الناس: بشر في الوجه، ومعروف يصل، وأذى يكف. وحين نمضي إلى أخبار صحبته نبحث عن هذه المعاني في الأفعال التي حفظها من عاشروه. والقول هنا من كلام ابن المبارك في جامع الترمذي، لا حديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

الثلاثة قصيرة في اللفظ، لكنها لا تجري كلها في اتجاه صاحبها. الوجه يلقاه آخر، والمعروف يصل إلى آخر، والأذى يقع على آخر. هنا لا يكفي أن يشعر الإنسان بأنه حسن الخلق؛ يدخل في الصورة من يعامله.

قد يستقبل طالباً بلطف ثم يترك حاجته بلا جواب يستطيع تقديمه. وقد يقدم خدمة نافعة لكن تصحبها إهانة تثقل على من تلقاها. لذلك لا يقوم واحد من الأفعال مقام الباقيين. هذه قراءة معاصرة للعناصر الثلاثة، وليست شرحاً تفصيلياً نقلناه عن ابن المبارك أو شهادة بأن كل موقف في حياته وافقها.

مكان يتسع لنفع القرن

حدثني حسن بن عيسى، قال: سمعت ابن المبارك، وذكر مهدي، فقال: «ذاك رجل منذ عرفناه يزداد كل يوم خيراً».⁸⁸

عرفه من قبل، ثم رأى فيه زيادة. لا يصف الخبر نوعها، لكنه يحفظ هذه الشهادة من رجل لصاحبه. وقد رأيناها معاً يعودان إلى عبيد الله بن النضر بالسؤال؛ لكل واحد منهما مكانته وعلمه، وبينهما هذه الصحبة التي بقي بعض حديثها.

حدثني حسن بن عيسى، قال: حضرنا باب سفيان بن عيينة ليلاً، ونحن ننتظره، وهذا عند عشاء الآخرة؛ فقائل يقول: هو عند يحيى بن خالد، وقائل يقول: هو عند جعفر بن يحيى. فقال رجل منهم: يا رب، أما ينبغي أن تقر عيني برجل واحد يسوي هذا العلم بين الناس؟ فقال رجل: طيب، إنه كان من أهل البصرة؟ قال: بلى، عبد الله بن المبارك الخراساني. فقال آخر: هات غيره. فسكت. فقدمت الكوفة، فحدثت بهذا ابن المبارك، إلا أنني لم أقل له: سميت أنت، سمو رجلاً، فكأنه فطن، ثم قال: أفلا قالوا فضيل بن عياض؟ قلت: لم يقولوا. فسكت.⁸⁹

كان الحسن بن عيسى هو الذي نقل ما جرى عند الباب إلى ابن المبارك؛ لم يكن ابن المبارك حاضراً في ذلك المجلس. ثم جاء سؤاله فدخل اسم آخر في الحديث. نقف عند هذا القدر الذي حفظته الرواية، ويظل معنى السؤال متعلقاً بموقفه كما نقل، دون أن نزيد عليه حديثاً عن نية لم يذكرها.

كان الفضيل صاحب رأي ونصح، وكان لابن مهدي والفزاري علمهما ومنزلتهما. يدخل هؤلاء إلى السيرة عند مواضع اللقاء، ويزيد حضورهم معرفتنا بالرجل وبالعالم الذي عاش فيه.

الاسم الغائب من الثناء

حين نقرأ أثراً ناجحاً بعد انقضاء زمنه، يسهل أن ننسبه إلى أشهر اسم فيه. يحمل الغلاف اسماً، وتذكر المجالس رجلاً، وتضيق الذاكرة عن أسماء كثيرة. غير أن ما رأيناه في هذا الفصل يعترض على هذه السهولة: وسيط يعرف، وقرين يسأل، وشاهد ينقل، ومتعلم يعود بما كتب. كل واحد منهم يغير شيئاً في الطريق الذي يصل به العلم.

من هنا كان التفريق في خبر الأحاديث الأربعة ضرورياً: أبو الوليد هو الذي ذهب وكتب وعاد، وهو الذي محاب، وابن المبارك هو الذي دله ثم حكم على الاختلاف المنقول إليه. لو اختصرنا الخبر في أن ابن المبارك صحح أربعة أحاديث لضاعت حركة المتعلم، ولصار العمل المشترك إنجازاً فردياً كاملاً في صياغتنا.

تحفظ بعض الأخبار فعل الرفقة دون أسمائهم. ويبقى لهم من الصورة ما حفظه ذلك الفعل: خدمة طريق، أو مشاركة طعام، أو عون في حاجة.

يتسع مجلس ابن المبارك في هذه الأخبار لرجال أسهم كل منهم
بشيء: سؤال، أو تعليم، أو نقل، أو تعريف بصاحب علم. يقوم
أثره بينهم، وتبقى لهم أسماؤهم وأعمالهم.

من العلاقات إلى الحياة

تكتمل أمامنا الآن شبكة من الأفعال: سؤال وتعلم ووساطة وإعانة
واعتراض ورواية. وبعض العلاقات يبقى متوتراً أو غير واضح،
وسيكون له موضعه في فصل الاختبارات. أما أن نسمي كل من
خالفه خصماً، وكل من صحبه تابعاً، فذلك يبسط الحياة على
حساب حقيقتها.

كان له شيوخ وأصحاب وكتب ورحلات. وفيما بقي من يومه
باب منزل وطعام وكتاب يقرأ عنده وضيء يأتيه؛ من هذه
الأخبار نقرب منه في الحجم الذي تعاش فيه الحياة.

مشاهد من أيامه

بين بابين

نص النقل: قال الحسن: «كانت دار ابن المبارك بمرو كبيرة، صحن الدار نحو خمسين ذراعاً في خمسين ذراعاً، فكنت لا تحب أن ترى في داره صاحب علم أو صاحب عبادة أو رجلاً له مروءة وقدر بمرو إلا رأيته في داره، يجتمعون في كل يوم خلقاً يتذاكرون حتى إذا خرج ابن المبارك انضموا إليه. فلما صار ابن المبارك بالكوفة نزل في دار صغيرة، وكان يخرج إلى الصلاة ثم يرجع إلى منزله لا يكاد يخرج منه ولا يأتيه كثير أحد، فقلت له: يا أبا عبد الرحمن، ألا تستوحش هاهنا مع الذي كنت فيه بمرو؟ فقال: إنما فررت من مرو من الذي تراك تحبه، وأحببت ما هاهنا للذي أراك تكرهه لي؛ فكنت بمرو لا يكون أمر إلا أتوني فيه، ولا مسألة إلا قالوا: اسألوا ابن المبارك، وأنا هاهنا في عافية من ذلك».⁹⁰

بيت في مرو يجتمع فيه الناس، وإقامة أهدأ في الكوفة يذكر فيها العافية من كثرة الرجوع إليه. تتسع حياته للصورتين؛ يقصده الناس بعلمه، ويجد في بعض البعد عنهم راحة عبر عنها بكلمته.

٩٠ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٧٩).

سأله صاحبه، وقد عرف الحالين: ألا تستوحش؟ ينسب الخبر إليه جواباً يصف قلة رجوع الناس إليه في المسائل بأنها عافية. لا يخبرنا النص أنه اعتزل الناس أو توقف عن تعليمهم، ففي الكوفة نفسها خبر كتاب يُقرأ عليه. لكنه يتيح أن نرى كلفة أن يصير اسم الإنسان وجهة دائمة للأسئلة.

تتفرق الأخبار بين بيته في مرو وإقامته في الكوفة وأسفاره. حفظت الروايات مواقف من هذه الأيام، وبعضها منقول بطريق لم يستكمل التثبت؛ نقف عند ما تحكيه، ونصحه من مجلس إلى طريق ورفقة.

البيت الذي يأتيه الناس

في وصف دار مرو مساحة ظاهرة قبل أن يظهر صاحبها: صحن واسع، وأناس يتذاكرون، وبينهم أصحاب علم وعبادة ومروءة. يجتمعون، فإذا خرج ابن المبارك انضموا إليه.⁹¹

يبدأ التذاكر بين أهل المجلس قبل أن يخرج إليهم. للمعرفة هنا صفة، وللبيت حياة تتسع لأكثر من صاحبه. وحين يخرج، ينضم المجتمعون إليه؛ يحفظ الخبر حركتهم نحوه، ولا يحفظ وجهتهم بعد ذلك.

٩١ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٧٩).

وكان لهذا القرب وجه آخر يحكيه ابن المبارك نفسه في جواب صاحبه: «فكنت بمرو لا يكون أمر إلا أتوني فيه، ولا مسألة إلا قالوا: اسألوا ابن المبارك». تتكرر الإحالة إلى رجل واحد، حتى يغدو اسمه أول جواب قبل أن يعرف الناس جوابه. وراء منزلة كهذه أسئلة تنتظر، وحاجات يقصد أصحابها من يثقون به. وقد ترك لنا قوله أثر هذا الإقبال عليه، من غير أن يصف لنا يوماً كاملاً من أعبائه.

ثم نراه في الكوفة. البيت أصغر، والقاصدون أقل. يخرج إلى الصلاة ويعود، ولا يحمل الخبر عنه شكوى من هذا الهدوء. وحين يسأله صاحبه عن الوحشة، يجيب بأنه في عافية من كثرة رجوع الناس إليه. لا يلزم من ذلك أن باب العلم أغلق؛ ففي المدينة نفسها يرد خبر قراءة كتاب عليه. إنما تختلف هيئة الصحبة: هناك جماعة تنسح حوله، وهنا مجال أهدأ يمر فيه العلم أيضاً.

عبارة في كتاب

وتحكي رواية مختصرة الطريق أن كتاب المناسك كان يُقرأ عليه بالكوفة. مضت القراءة حتى بلغت عبارة فيها اسمه: «قال عبد الله وبه نأخذ».

نص النقل: قال: «وبينا هو بالكوفة يقرأ عليه كتاب المناسك، انتهى إلى حديث وفيه: قال عبد الله وبه نأخذ. فقال: من كتب

هذا من قولي؟ قلت: الكاتب الذي كتبه. فلم يزل يحكه بيده حتى درس، ثم قال: ومن أنا حتى يكتب قولي؟»⁹².

رأى قوله في هذا الموضوع فاعترض على تدوينه فيه. يحفظ الخبر هذه الوقفة المحددة؛ أما أن يكون قد منع كتابة آرائه كلها أو رجع عن حكم بعينه، فلا يدل عليه وحده. ومن معرفة موضع الاعتراض نفهم الكلمة على قدرها.

في هذه الرواية الصغيرة حركة تغني عن مديح طويل: يد تحو كلاماً يرفع قول صاحبها إلى موضع اعتماد. كان السؤال عن عبارة بعينها، وكان الرد فعلاً في الكتاب الذي يقرأ عليه. وكأن الصفحة، بما هي منها، حفظت من شأن صاحبها شيئاً آخر.

قارئ وكتاب ورجل يُقرأ عليه؛ ثم كلمة توقف عندها المجلس. كانت منزلة ابن المبارك تدعو غيره إلى كتابة قوله، وكان هو، في هذا الخبر، يسأل عن الموضوع الذي وضعه فيه.

ولعل هذا المشهد يذكّرنا بالمسافة التي كان يقطعها الطالب قبل أن يجلس إليه الناس. ففي خبر أقدم يرويه عن نفسه، كان يأتي سفيان فيسمع مع الناس، ثم يتبعه، ولا يبتدره بالأسئلة بعد

٩٢ - محو عبارة «قال عبد الله وبه تأخذ» لا يثبت منع تدوين آرائه كلها، ولا يثبت رد الكتاب كله أو رجوعاً عن حكم معين. انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٨٠).

قيامه. يميل سفيان إلى بعض المساجد، وينام، ثم يقوم ويسأله عما عنده؛ فيخرج ابن المبارك رقعة أعدها، فيها أحاديث يريد سماعها منه.⁹³

ذلك مشهد من صحبته لسفيان، لا تتمه ليوم الكوفة. لكنه يرد إلى صورة العالم أصلاً لا ينبغي أن يغيب: جلس هو أيضاً مع السامعين، وانتظر، وحمل ما يريد تعلمه في رقعة. وللشيخ في المشهد راحته، وللطالب صبره واستعداده، ثم تأتي الإفادة حين يفتح صاحبها بابها. أما وصف هذه الملازمة في الخبر، فلا نمده إلى كل يوم من عمر ابن المبارك.

في المنزل حق لغير صاحبه

نص النقل: قال الحسن: «ورأيت في منزل ابن المبارك حماماً طيارة، فقال ابن المبارك: قد كنا ننتفع بفراخ هذه الحمام فليس ننتفع بها اليوم. قلت: ولم ذلك؟ قال: اختلطت بها حمام غيرها فتزاوجت بها، فنحن نكره أن ننتفع بشيء من فراخها من أجل ذلك».⁹⁴

٩٣ — انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٨١).

٩٤ — انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٨٢).

دخل في منفعة البيت حق محتمل لغيره، فكان هذا الاحتياط في الخبر. ومن التفاصيل الصغيرة نرى كيف يحضر حق الإنسان الغائب في تصرف من بيده الشيء، مع بقاء الواقعة في حدودها ودرجة نقلها.

يدور التعليق المنقول حول اختلاط الحمام والتزاوج، ثم كراهة الانتفاع بالفراخ. لا يسمي الخبر مالك الحمام الآخر، ولا يصف اتفاقاً معه أو نزاعاً على الطيور. وما يصلح هنا للتأمل في مراعاة حق الغير لا يكفي وحده لاستنباط حكم فقهي تفصيلي.

ويقف الخبر عند ذلك، فلا يخبرنا بما صنعوا بالطيور بعده.

وصلت من البيت أخبار حفظها الزوار والأصحاب. عند هذه النوافذ نقترّب من حياته الأسرية، ثم تعود الروايات الأكثر إلى العلم والرحلة والصحبة.

على الطريق إلى بغداد

أخبرنا أحمد بن قريش بن عبد العزيز، حدّثنا إبراهيم بن محمد الذهلي، عن الحسن بن عيسى بن ماسرجس، قال: «صحب ابن المبارك من خراسان إلى بغداد، فما رأيته أكل وحده».⁹⁵

من خراسان إلى بغداد امتدت صحبة الراوي له، وفيها حفظ مشاركة الطعام. هذا هو السفر الذي رآه؛ ومن يومياته وصلتنا هذه النافذة، دون أن نجعلها حكماً على كل أيام ابن المبارك. وفي الحاشية ما يتعلق بثبوت الطريق.

في العبارة المنقولة التفت إلى مشاركة الطعام، ذلك الفعل المعتاد الذي قد لا نتوقف عنده أخبار المجالس والكتب. يختار الراوي أن يذكر من صحبته هذا التفصيل، ويبقى قبول نسبته إليه متعلقاً بفحص الطريق الذي حمل كلامه.

نقرأ هذه الصورة بحدودها: خبر عن صحبة بعينها، لا جدولاً لأسفاره ولا نظاماً تاريخياً لإطعام الناس. وفي الحاشية موضعه وما بقي في تحقيقه.

٩٥ — فلا يصح الخبر بوجود النص أو بتعيين اثنين من رجاله. انظر ملحق مصادر

الحواشي، رقم (٨٣).

ضعف ينهض

نص النقل: قال: «وزوج النضر بن محمد ولده، دعي ابن المبارك، فلما جاء قام ابن المبارك ليعخدم الناس، فأبى النضر أن يدعه وحلف عليه حتى جلس».⁹⁶

وهكذا تبدل مواضعه في الأخبار: يقصده الناس في بيت، ويقرأ قارئ عليه في بيت آخر، ويسمع هو من شيخ، ويأكل مع رفقة، ويحيى مدعوا إلى وليمة. العالم الذي يعرفه الناس باسم واحد يظهر في علاقات كثيرة، ولا تستغرقه صورة المجلس الذي يتصدره.

عند السقاية

نص النقل: قال: «وكنت مع ابن المبارك يوماً، فأتينا على سقاية والناس يشربون منها، فدنا منها ليشرب ولم يعرفه الناس، فزحموه ودفعوه، فلما خرج قال لي: ما العيش إلا هكذا، يعني حيث لم نعرف ولم نوقر».⁹⁷

زاحمه الناس وهم لا يعرفونه، فبقيت في الخبر هذه اللحظة التي غاب فيها توقيع الاسم. وأما عبارة «يعني حيث لم نعرف ولم نوقر»

٩٦ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٨٤).

٩٧ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٨٥).

فتفسير في الرواية؛ نحفظها كذلك، ونجعل كلام ابن المبارك هو الكلام المنقول عنه.

وفي هذا الخبر لم يفتح له اسمه طريقاً بينهم.

دار يجتمع فيها الناس، وبيت صغير اختار فيه العافية من كثرة السؤال، وسقاية دخلها مع الرفقة. حملت الأخبار متفاوتة الطريق هذه الوجوه من حياته، وأبقت حوله أصحاباً وزواراً وأناساً لا يعرفونه.

حين يعود الميزان إلى صاحبه

راجع أهل الحديث ما حمّله ابن المبارك كما راجع هو ما حمّله عن غيره. عند لفظ أو اسم أو رواية يعود العالم موضع سؤال، ويظهر من هذه المراجعة باب آخر من حياته العلمية.

نص النقل: قال ابن حجر: «(تنبيه): قوله: ينوبه هو بالنون، أي يرد عليه نوبة بعد أخرى، وحكى الدارقطني أن ابن المبارك صحفه فقال: يثوبه بالثاء المثلثة».⁹⁸

يحفظ النص لفظي المقابلة ومعنى قراءة النون، ويسمي الدارقطني في طبقة النقل التي وصلتنا عن ابن حجر. أما حكم أحمد في الموضع نفسه فمرجع مستقل في الحاشية؛ لا يدمج اللفظان.

هنا تبلغ صحبتنا له موضعاً تحتاج إليه كل سيرة قدوة. رأينا يسأل ويختبر ويقارن؛ وما نحن نرى ما رواه يدخل الميزان نفسه. إذا أعجبنا حذره من خطأ غيره، فلا يستقيم أن نضيق بمن سأل عن خطئه.

وليس في الخبر الذي بين أيدينا مشهد عودة إلى مجلس اعتذر فيه أو صحح نسخته. نستطيع أن نروي النقد؛ أما التراجع الشخصي فله

خبر آخر لو وجد. تظل الصورة أقل إرضاء لمن يريد خاتمة محكمة لكل موقف، لكنها أصدق: نقل عالم، واعترض ناقد، وبقي عمل المقابلة مفتوحاً لمن جاء بعدهما.

اعتراض لا يستأثر بالكلمة الأخيرة

وللقضية وجه أشد تركيباً في خبر حفظه يعقوب الفسوي. قابل رواية ابن المبارك برواية الحميدي عن سفيان، ثم سأل صدقة بن الفضل عن اختلافهما. نسب صدقة الغلط إلى ابن المبارك. غير أن الفسوي لم يقف عند الجواب؛ قابل ذلك بما سمعه علي بن الحسن بن شقيق عن سفيان على الوجه نفسه. وأجاب صدقة باحتمال اتكال الراوي على سماع غيره.⁹⁹

يمكن أن تضيع هذه المحاورة إذا اقتطنا أولها. عندئذ سيخرج قارئ بخطأ محسوم، ويخرج آخر، إذا اقتطع جواب الفسوي وحده، ببراءة محسومة. أما الصفحة فتحفظ شيئاً أدق: اعتراضاً، ودليلاً مقابلاً، ومحاولة لتفسير هذا الدليل.

لم يكن ابن المبارك حاضراً في هذا النقاش كما يرويه الكتاب. الذي حضر روايته واسمه، ومعهما روايات رجال آخرين. وهذا بعض الثمن الذي يدفعه من يضع معرفة في العالم: ستغادر مجالسه،

ويختبرها من لم يعرف وجهه، وقد لا يتاح له أن يبين ما أراد أو كيف سمع.

والإنصاف هنا عمل له كلفة. يقتضي أن نحفظ الحجة التي لا توافق النتيجة التي نحجها. فالفسوي ليس مجرد ناقل لشهادة صدقة، وصدقة لا يصير خصماً ينبغي إسقاطه لأنه اعترض، وابن المبارك لا يرح من حذف المشكلة. يرح القارئ حين يرى حدود ما أمكن إثباته، ويتعلم أن الثقة بالرجل لا تعفي خبره من المقابلة.

جملة قصيرة، وأصوات حولها

سئل ابن المبارك عن عبد السلام بن حرب، فقال: «قد عرفته». لم تزد عبارته المنقولة على ذلك. ثم شرح الحسن بن عيسى، ناقل الجواب، ما كان يفهمه من هذه العبارة إذا قالها ابن المبارك: إنها عنده جرح شديد.¹⁰⁰

وفي الخبر التالي يتكلم أحمد بن حنبل عن عبد السلام، فيصف تحفظه في استعمال لفظ «حدثنا»: لم يسمعه يصرح به إلا في حديث أو حديثين. ويعلق محقق الكتاب، بعد قرون، بأن هذا لا يلزم منه جرح، بل قد يدل على التثبت والورع.¹⁰¹ هذا التعليق

للمحقق؛ ليس تمة من كلام أحمد، ولا جواباً تاريخياً سمعه ابن المبارك.

تجتمع في صفحة واحدة، إذن، عبارة ناقد، وتفسير صاحبه، وملاحظة ناقد آخر، وقراءة المحقق. ليس علينا أن نصهرها في حكم واحد كي نواصل السيرة. كيفينا هنا أن نعرف أن مجال النقد لم يكن كلاماً متجانساً، وأن الرجل الذي زافقه كان واحداً من رجاله، له حكمه، ولغيره نظر قد يوافقه أو يختلف عن مقتضى عبارته.

ومن هذه النافذة نعود إلى صعوبة الجواب القصير. قد يصل إلى المتأخر لفظ محدود، ويغيب عنه المجلس الذي قيل فيه، والسؤال بتمامه، وما كان يعرفه السائل قبل السؤال. وعندئذ تصبح الأمانة في مقدار ما نضيف: نذكر تفسير الشاهد مع نسبته إليه، ونبين اختلاف النظر، ونتوقف قبل أن نخترع للأول سبباً لم يذكره. لا تنتقص هذه الحدود من خبرة ابن المبارك، لكنها تمنع اسمه من أن يصير بديلاً عن الدليل. ففي الكتاب نفسه الذي حفظ نقده حفظت ملاحظات الآخرين؛ وبقاء تلك الأصوات إلى جواره بعض ما يجعل صحبته صحة إنسان يعمل داخل عالم من المعرفة، لا صورة تقف وحدها خارج كل سؤال.

ما ضُرب عليه في الكتب

حدثني محمد بن أبي عتاب الأعين، نا إبراهيم بن شماس، قال: صحبت ابن المبارك في السفينة، فقال: «اضربوا على حديث أبي حنيفة». قال: قبل أن يموت ابن المبارك ببضعة عشر يوماً.¹⁰²

حفظ صاحبه في السفينة هذا الأمر المتعلق بالحديث، وذكر قربه من الوفاة. يبقى الخبر عند فعل في الكتب وقع في أواخر العمر، وتأتي أخبار الرحيل الأخرى لتكمل ما حفظ من آخر أيامه. وقع هذا التغير في أواخر العمر، وبقي الخبر محدود التفصيل فيما شمله من الكتب والمادة. تحفظ الحاشية طرقة، ويظهر في السيرة بما يدل عليه من مراجعة.

راجع مادة كانت في الكتب، وأمر بما يغير حضورها. كان للمراجعة ثمن في عمل طال فيه الجمع؛ وظلت أمانة ما يحمل مقدمة على إبقاء ما سبق أن كتبه.

بقيت لأبي حنيفة صلته بتاريخ تعلمه، وبقيت لاختلافه معه أخبارها. اتسعت حياة أهل العلم للأخذ والمراجعة، وحفظ النقل ما اتفقوا فيه وما اختلفوا عنه.

حين يدخل المال في الخلاف

مر في خبر التجارة اسم ابن عليّة بين من قيل إن ابن المبارك كان يصلهم. وتربط تمة الحكاية قطع الصلة بتولية القضاء، ثم تصف طلبه الإعفاء وعودة المال إليه. غير أن الذهبي أنكر تركيب هذه الحكاية: رويت عن الحمادين، وهما عنده قد ماتا قبل القصة بمدة؛ واحتمل أن بعض الكلام أدرج فيها. فلا نروي هذا التسلسل بوصفه واقعة راجحة لمجرد اتساقه في الحكاية. وللعتاب الشعري عند تولي صدقات البصرة روايات أخرى عند ابن حبان والخطيب، لا تحمل ذلك التسلسل كله؛ ولا يكفي اختلاف طرقها للحكم بصحتها. فالصدقات والقضاء والمظالم أعمال ترد بأسماء مختلفة في الأخبار، ولا نجعلها في واقعة واحدة دون دليل.¹⁰³

ترد في المصادر أخبار عتاب ابن عليّة، لكن نقد الحكاية واختلاف تفاصيلها يمنعان وصل المال والشعر وترك المنصب في قصة واحدة ثابتة. ويقف خبر العتاب عند القدر الذي حفظه كل طريق.

١٠٣ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٤٤).

كان للمال أثر في صلته بأهل العلم، وكان للرأي والنصح موضع آخر. هنا تضيق الأخبار عن تفصيل العلاقة، فتظل الحكاية المنقودة في حدود ما يدل عليه نقلها.

حين تظهر شدة الخلاف

لم تكن صلوات العلم كلها صحيحة هادئة. يحكي عبد الرزاق بن عمر أنه كان عند ابن المبارك، فسأله رجل مسألة فأجابه. ثم أخبره السائل أن أبا يوسف أفتاه بخلافه. وفي الخبر أن ابن المبارك تجاوز جواب المسألة إلى أمره بإعادة صلوات يتذكر أنه صلاها خلف أبي يوسف.¹⁰⁴

تظهر في هذا الخبر شدة في الخلاف. لم يسم الراوي المسألة، ولم ينقل جواب أبي يوسف، فبقي موقفاً مروحياً محدود التفاصيل إلى جانب ما حفظ من بذل ابن المبارك ولين صحبته.

حين تكون الحكاية أجمل من شاهدها

تروي حلية الأولياء خبراً عن والي مرو طلب الحديث من ابن المبارك ليلاً، وفي إحدى صيغ الحكاية ما يوحي بأنه أبي أن يذهب

١٠٤ — تعدد الأوعية مع الالتقاء عند شاهد الواقعة لا يثبت استقلال الشهادات.

انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٩٠).

بعلمه إلى الوالي ثم مشى معه. يسهل أن تتحول الصورة إلى مشهد مكتمل: رجل يكرم علمه، وسلطان يطلبه، وعبارة لامعة تجمع المعنى.

لكن في الصفحة نفسها تصحيحاً للحكاية. يراجع محمد بن أبي شيبة، ابن أخت ابن المبارك، ما رواه أحمد بن أبي الحواري، وينكر فهم المشي مع الوالي، ويبين أن خروجه كان لحاجة أخرى.¹⁰⁵

حفظ ابن أخته تصحيح الحكاية، فعاد الخروج إلى غرضه الذي بينه. بقيت للرواية حيويتها، وبقي للقريب الذي راجعها صوته.

نص الخبر كما أورده ابن عساكر: أنبأنا أبو الغنائم محمد بن علي بن ميمون، أنا محمد بن علي بن الحسن بن عبد الرحمن العلوي، أنا أبو الفضل محمد بن عبد الله بن المطلب الشيباني، قال: أُملي علينا أبو محمد عبد الله بن سعيد بن يحيى الكريزي بنصيبين حفظاً، ح، وأخبرنا أبو الحسن علي بن المسلم الفرضي، أنا نجا بن أحمد، أنا أبو طاهر محمد بن نصر الخطيب السمنجاني، أنا أبو نصر أحمد بن شاه المروزي، أنا أبو الفضل محمد بن عبد الله الشيباني، قال: أُملي علينا أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن يحيى القاضي بنصيبين في

١٠٥ - الراوي المبهم باقٍ، وتصحيح المتن الداخلي لا يصحح الطريق كله. انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٩١).

مسجد الرمان، قال: أملاه على محمد بن إبراهيم بن أبي سكينه، قال: أملى علي عبد الله بن المبارك هذه الأبيات بطرسوس وودعته للخروج، وأنفذها معي إلى الفضيل بن عياض في سنة سبعين ومائة، وفي حديث أبي الغنائم سنة سبع وسبعين: «يا عابد الحرمين لو أبصرتنا، لعلمت أنك في العبادة تلعب؛ من كان يخضب خده بدموعه، فنحورنا بدمائنا تتخضب؛ أو كان يتعب خيله في باطل، نخيولنا يوم الصبيحة نتعب؛ ريح العبير لكم ونحن عبيرنا، رجع السناكب والغبار الأطيب؛ ولقد أتاننا من مقال نبينا، قول صحيح صادق لا يكذب؛ لا يستوي وغبار خيل الله في أنف امرئ ودخان نار تلهب»¹⁰⁶.

ترد الأبيات في خبر يلتقي فرعاه عند أبي المفضل، مع اختلاف في سنة الإملاء. لذلك تبقى نسبة الرسالة إلى ابن المبارك محتاجة إلى ما يثبتها، مهما اشتهرت الأبيات وحسن وقعها. وما نعرفه من حياته نرده إلى الأخبار التي تحملها طرقها، دون أن نجعل الشعر وحده حجة على تفصيل من سيرته.

لم يثبت خطاب عابد الحرمين بالقدر الذي تقوم عليه حكاية متصلة. تبقى لعبادة الفضيل منزلتها، ولجهد ابن المبارك أخباره الأخرى؛ وقد جمعتهما حبة يعرف كل منهما بها فضل صاحبه.

الصعوبة التي لم تتحول إلى جواب سهل

وحفظ الفسوي عنه عبارة في حديث حماد بن سلمة: «أعياني حديث حماد بن سلمة». لا يبين هذا اللفظ وحده سبب المشقة، ولا يساوي اتهام حماد بالكذب أو طرح حديثه كله.¹⁰⁷

وصف مشقة واجهها، كما وصف في خبر سابق الفرق بين أن يسمع وأن يتقن. بقي للتعلم تعب يعرفه صاحبه، وإن عرف الناس منزلته في العلم.

وقد يكون أكثر ما ينفع في صحبة العلماء أنهم لم يتعاملوا مع كل مادة على درجة واحدة. بعض ما وصلهم وضخ، وبعضه استدعى السؤال، وبعضه أثقل النظر. لا تخرج قيمة الإنسان من كثرة ما يدعي أنه حسمه؛ وقد تدل الحدود التي يصرح بها على جدية العمل أكثر مما تدل عبارة واسعة مطمئنة.

وحدثني محمد بن عبد الله، عن إبراهيم بن أبي بكر بن عياش، قال: قلت لابن المبارك: من أين جئت بهذا القول في كراحتك النبذ ومخالفتك المشايخ وأهل المصر؟ فقال: «هو شيء اخترته لنفسى».

قلت: فتعيب من شربه؟ قال: «لا». قلت: فأنت وما اخترت
لنفسك.¹⁰⁸

فرق في الجواب المروي بين اختياره لنفسه وعيبه على غيره. وفي
طريقه راو غير معين، فلا يحسم زمن هذا القول؛ يبقى معناه في
حدود الخبر الذي حمله.

وقف ابن المبارك تحت الميزان الذي حمله إلى غيره. صحح واختلف
معه غيره، وحفظ الناقلون قوله والاعتراض عليه. يبقى قدر العالم
فيما أدى من أمانة، وفي استعداد أهل العلم لأن يقابلوا خبره بما
عرفوه.

انتهى سفره في هيت، وبقي ما كتبه ورواه في أيدي أصحابه.
يحملون عنه، ويسألون عن ألفاظه وطرقه، ثم يبلغ الاسم والمادة
أجياً لم تلقه.

حين انتهت الرحلة وبقي الطريق

نص النقل: قال محمد بن سعد في ترجمة ابن المبارك: «عبد الله بن المبارك. ويكنى أبا عبد الرحمن. ولد سنة ثمانى عشرة ومائة، وطلب العلم، فروى رواية كثيرة، وصنف كتباً كثيرة في أبواب العلم وصنوفه، حملها عنه قوم، وكتبها الناس عنهم، وقال الشعر في الزهد والحث على الجهاد، وقدم العراق والحجاز والشام ومصر واليمن، وسمع علماً كثيراً، وكان ثقة مأموناً إماماً حجة كثير الحديث، ومات بهيت منصرفاً من الغزو سنة إحدى وثمانين ومائة، وله ثلاث وستون سنة»¹⁰⁹.

تنتهي الرواية به إلى هيت، راجعاً من الغزو، سنة إحدى وثمانين ومئة، وقد بلغ ثلاثاً وستين سنة. أما اليوم من رمضان فتختلف فيه أخبار أخرى، ونترك للسفينة خبرها المنفصل، إذ لا يذكر هذا النص أنها كانت موضع وفاته.

من كان يريد أن يسأله بعد تلك اللحظة لم يعد يستطيع. بقيت أجوبة في ذاكرة الرجال، وكتب في طرق نسخها، وخلافات على بعض ما نسب إليه. هكذا تبدل شكل الأثر: لم يعد مجلساً يمكن

الرجوع إلى صاحبه، بل مسؤولية من يحمل قوله ويميزه من الزيادة عليه.

لن يكون السؤال في هذا الفصل: هل بقي اسمه؟ لقد بقي. السؤال الأدق: أي شيء وصل، وبأي طريق، ومن الذي أدى عمل الحفظ والاختيار؟

عمر في جواب قصير

في خبر يرويه الحسن بن الربيع، سأل ابن المبارك عن سنه قبل موته، فأجابه بأنه ابن ثلاث وستين. تجتمع في هذا العدد أعوام السفر والمجالس والعمل؛ رحلة طويلة يقول صاحبها الآن مقدار ما مضى منها.¹¹⁰

وبين مولده ووفاته تغيرت الدولة، وتبدلت وجوه في مجالس العلم، وظهر تلامذة سيحملون ما تلقوا إلى من بعدهم. لم يكن هذا التحول كله من صنعه. عاش فيه، وتأثر بفرصه وحدوده، وشارك بعمله في بعض مساراته. هكذا يحتفظ الإنسان بحجمه: لا يتضاءل حتى يصير أثراً للظروف وحدها، ولا يتضخم حتى تغيب الظروف والناس من حوله.

١١٠ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٩٦).

ولمن شهدوا موته فضل آخر غير فضل النقل عنه في حياته. فقد حفظوا خبر النهاية، وإن اختلفت بعض تفاصيله. لا يبطل اختلاف اليوم اتفاقاً أوسع على سنة الوفاة وشهرها وموضعها؛ لكنه يمنع أن نختار يوماً لمجرد أنه يخدم ترتيب الحكاية.

الكتاب لا يحمل نفسه

مات صاحب الاسم، وبقيت أوراق وأصوات وصلات بين رجال. وكان على الأثر، لكي يبلغ قارئاً جديداً، أن يجد من يؤدي عملاً.

بعد قرون، دون ابن خير الإشبيلي في فهرسته طرقاً لكتاب الرقائق المنسوب إلى ابن المبارك. يصل أحدها عبر نعيم بن حماد، وآخر عبر الحسين بن الحسن المروزي. وبين ابن خير وهذين الراويين أسماء وبلدان ووسائل تلقي مختلفة.¹¹¹

ليست الأسماء حاشية زائدة على حكاية البقاء. إنها الطريق نفسه. فحين يقول رجل إنه قرأ على شيخ، أو سمع منه، أو ناوله كتاباً وأجاره، فإنه يصف صلة لها حد. القراءة غير مجرد الإذن بالرواية،

١١١ - وصف طرق الرواية ووسائلها لا يصحح آلياً كل حلقة أو كل متن في النسخ

المتداولة. انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٩٧).

والنسخة التي تنتقل من يد إلى يد تحتاج إلى من يصون نسبتها ويقابل نصها.

يذكر ابن خير قراءته على أبي بكر يحيى بن موسى بن عبد الله في مسجده. لا يعين هذا القيد وحده مدينة المسجد، لكنه يعيد إلى تاريخ الكتاب فعلاً بشرياً واضحاً: قارئاً وشيخاً وموضعاً يجتمعان فيه. لم يكن بقاء النص نتيجة تلقائية لجودته؛ لقد احتاج إلى من يخصص له وقتاً ويؤديه إلى غيره.

وفي طرق الفهرسة قراءة مؤرخة بسنة 384هـ، وسماع مؤرخ بسنة 398هـ، ورد فيه ذكر الوقت بين المغرب والعشاء.¹¹² هذان التاريخان من حياة من نقلوا الكتاب بعد ابن المبارك، لا من حياته. ومع ذلك فلهما مكان في سيرته: إنهما يرياننا العمل بعد أن غاب صاحبه بأكثر من قرنين.

بقيت مادة باسمه تقرأ وتروى، وحفظ الرواة أسماء من أخذوا عنهم. من هذه المجالس والطرق نعرف شيئاً من الأثر الذي تجاوز زمنه.

عنوان يصل وطريق يختلف

وفي الفهرسة نفسها قيد لكتاب فضل الجهاد. يمر طريقه بآبن وضاح
عن عبد الملك بن حبيب البزاز المصيصي. وقد احتيج إلى تمييز
هذا الرجل من عبد الملك بن حبيب الأندلسي الذي يشبهه في
الاسم؛ فالاشتباه بينهما يدل تاريخ الطريق.¹¹³

ما يبدو للقارئ تفصيلاً صغيراً يحمي معنى كبيراً. فالكتاب الذي
بين أيدينا اليوم له طريق نشر ورواية، والقيد القديم قد يحفظ طريقاً
آخر. لا يكفي اتفاق العنوان لنقول إن النسختين متطابقتان، أو إن
طريقاً يثبت جميع ما في الآخر.

ومثل ذلك النسخ الموصوفة في خزائن الكتب. يمكن لوصف
مخطوط أن يخبرنا عن زمن نسخته وبعض حاله؛ لكنه لا يساوي
مشاهدة جميع أوراقه ولا مقارنة نصه كاملاً. وكلما اقتربنا من
تاريخ البقاء وجدناه مؤلفاً من أعمال صغيرة: نسخ جزء، وتسجيل
سماع، وتصحيح اسم، وحفظ ورقة أصابها الزمن.

١١٣ - تمييز عبد الملك المصيصي من الأندلسي منصوص في القيد، ولا يصحح ذلك
الطريق كله أو يطابق تلقائياً مطبوع الجهاد بطريق سعيد بن رحمة. انظر ملحق مصادر
الحواشي، رقم (٩٩).

لا يشبه هذا المجد السريع الذي تمنحه عبارة «خلّدته كتبه». فالبقاء نفسه قابل للفقد. قد تسقط أوراق، وتختلف نسخة عن أخرى، وتبقى زيادة في رواية دون رواية. لهذا لا يكتمل شكر صاحب الأثر حتى نرى أيدي الذين حملوه، ومنهم من لم يبق له عند الجمهور من الشهرة ما بقي للعنوان.

حين يكون التلميذ صاحب اختيار

في الطريق الذي أبقي روايات ابن المبارك يظهر الحسين بن الحسن المروزي قريباً من القارئ، وإن لم يتقدم اسمه غلاف كل طبعة. أخذ عنه مادة كثيرة، لكنه لم يتلق عنه وحده. وتتيح مقدمة البر والصلة أن نرى بعض اتساع هذه الشبكة: سفيان بن عيينة، وعبد الرحمن بن مهدي، والهيثم بن جميل، وغيرهم حاضرون إلى جانب ابن المبارك في مادة الحسين.¹¹⁴

سمع التلميذ من شيوخ عدة، وحمل كتاباً تتعدد فيه الأصوات. كان لابن المبارك حضور واسع في هذا العلم، وبقي لغيره من الشيوخ ما وصل من روايتهم.

تصف الأعداد المادة التي وصلت في الكتاب. وفي أخبار المجالس والصحبة نتضح صلوات أخرى، يضيف كل منها إلى معرفتنا بالرواة ومعلمهم.

هذه الحدود تجعل تاريخ الكتاب أغنى من تسلسل الأسماء. في كل انتقال سؤال: ما المادة المنقولة؟ وكيف نسبت؟ وهل يتكلم الراوي من كتاب أم من حفظ؟ وهل يروي عن شيخ واحد أم يجمع طريقين؟ قد لا تجيب النسخة الباقية عن كل ذلك، لكنها تعلمنا أين نضع السؤال بدل أن نتخيل انتقالاً صافياً لا يعتره احتمال. ومع الحسين تمتد الصورة إلى من أخذوا عنه. تذكر ترجمته أسماء من أصحاب المصنفات، منهم الترمذي وابن ماجه ويعقوب الفسوي وبقي بن مخلد. لا يثبت ورودهم في تلامذته أنهم جميعاً رَوَوْا البر والصلة، ولا أن كل ما أخرجوه من مادة ابن المبارك مر بهذا الطريق. الذي يثبت أولاً هو صلة تعلم ورواية بين أشخاص؛ أما صلة كل كتاب بكتاب فتحتاج إلى تتبع نصوصه وأسانيده.¹¹⁵

ومع ذلك تكفي هذه الصلوات لرؤية ما لم يره ابن المبارك في حياته: رجل أخذ عنه يحمل ما سمع إلى طبقة أخرى، ثم يدخل بعض ذلك في مصنفات لها أغراضها. لا يستطيع صاحب الأثر

أن يقرر وحده الصورة الأخيرة لكل ما سيؤخذ عنه. يعمل في زمانه، ويترك مادة يستطيع غيره أن يستفيد منها أو ينتقدها أو يرتبها في سؤال جديد.

النسخة ليست الطريق كله

تصف مقدمة تحقيق البر والصلة نسخة محفوظة في دار الكتب الظاهرية، بخط يوسف بن عبد الهادي، وتذكر حال خطها وسقطها وقلة نقطها وخلوها من السماعات. وعرضت المقدمة عينات من أوراقها. هذه معرفة مهمة بالنسخة التي اعتمدتها الطبعة، لكنها لا تجعل القارئ شاهداً على كل مرحلة سبقتها.¹¹⁶ حفظت الفهارس عناوين كتب وطرق روايتها، وأتاحت النسخ الباقية قراءة ما فيها. يضيء كل شاهد موضعاً من طريق المادة، فتتصل أسماء الكتب بما وصل من نصوصها.

وفي تداول العناوين مشكلة أخرى. عنوان «الرقائق» قد يوافق جانباً من كتاب نسميه اليوم «الزهد والرقائق»، وقد يرد قيد «فضل الجهاد» بينما يحمل المطبوع عنواناً أقصر. لا يكفي التشابه للحكم بالتطابق، كما لا يكفي اختلاف كلمة للحكم بأنهما كتابان لا علاقة بينهما. يحتاج الأمر إلى مقارنة الطريق والمادة وحدود النسخة.

١١٦ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (١٠٢).

لهذا حفظنا في الحاشية اختلاف طريق فضل الجهاد عن طريق المطبوع بدل أن نسويهما من أجل حكاية أسهل.

ما الذي يبقى حين يغيب الاسم

وفي هذه الوجوه فضل لمن لم يؤلف كتاباً يحمل اسمه. الذي نقل سماعاً وضبط لفظه، أو حفظ اعتراضاً على رواية يحب صاحبها، أسهم في وصول معرفة أصدق. ليست شهرة الاسم آخر معيار للعمل. وربما كان العمل الذي جعل الاستفادة ممكنة أقل ظهوراً من العمل الذي استفاد منه الناس.

بهذا تنتهي الرحلة على صورة أوسع من رجل مات وبقي ذكره. بقيت مادة قابلة للتداول، وأناس قاموا بما تحتاجه من نقل وفحص. بعضهم عرفه، وبعضهم ولد بعد موته بقرون. لا يملك المتأخر أن يعرض المجلس الذي فاتته، لكنه يستطيع أن يحفظ حد ما وصل إليه وألا يزيده من عنده. وهذا جزء من الوفاء الذي لا يُرى في عبارات الثناء الطويلة: أن يبقى الخبر بحجمه، وصاحبه بحجمه، وفضل من حمله ظاهراً معه.

حضور يتغير موضعه

لم يبق ابن المبارك حاضراً من خلال الكتب التي تحمل اسمه وحدها. فقد دخلت رواياته كتباً أوسع، وصار أحد الرجال الذين يعتمد عليهم مصنف لاحق في بناء باب أو مناقشة مسألة.

في جامع الترمذي، مثلاً، يمر طريق خبر سفيان الثقيفي في الاستقامة وحفظ اللسان بمعمر ثم ابن المبارك. وفي مواضع أخرى يذكر الترمذي قوله الفقهي إلى جانب أقوال غيره.¹¹⁷ هنا يتغير موضع الأثر: لا نقرأ ترجمة له، بل نجد عمله جزءاً من معرفة لها موضوع يتجاوز شخصه.

وهذا وجه مهم من النفع؛ أن يخدم الإنسان شيئاً يبقى أهم من اسمه. فقد يأتي القارئ طالباً جواباً عن سلوك أو عبادة، فينتفع بمادة مر بها ابن المبارك من غير أن يقف طويلاً عند سيرته. وربما عرف العالم من أثره قبل أن يعرف خبر مولده ووفاته.

إحالة داخلية: راجع نص قول ابن المبارك «الإسناد من الدين» كاملاً وتعليق مدارج في فصل «لمن يحمل الإنسان ما تعلم؟» عند

الحاشية 35. أما مقدمة ابن خير فتستعمل الطريق نفسه في بيان قيمة رواية الكتب، ولا تنشئ شاهداً مبكراً مستقلاً.¹¹⁸

ما يبقى من الإنسان في صورته

وبقيت، إلى جانب الرواية والكتب، صورة ابن المبارك في الأدب والوعظ. جمع اللاحقون أخباره، وانتقوا ما يدل على الجمع بين العلم والعبادة والمال والبذل. وبعض ما أحبه الناس من تلك الصورة أقوى إسناداً من بعض.

عاد الناس إلى أخباره يلتمسون علماً يحملونه وخلقاً يعملون به. وبقي للمصادر أن تحفظ ما وصل، ولمن يقرأ بعده أن يختار من تلك الصحبة فعلاً صالحاً في يومه. يرحل الرجل، ويجد غيره في أثره ما يبدأ به.

انتهى عمر ابن المبارك في هيت. أما ما تلا ذلك فليس حياة سرية أخرى عاشها؛ إنه تاريخ عمله بين أيدي الأحياء. لهم فيه أمانتهم وأخطاؤهم، واختياراتهم وما فقدوه وما حفظوه. وحين يصل إلينا شيء منه، نكون قد دخلنا نحن أيضاً في هذه الصحبة الطويلة.

سلك هذا الطريق، وسلك غيره من علماء عصره طرقاً يلتقون فيها ويفترقون. بين هذه الصلوات نتضح خصوصيته: ما طلب، وما أنفق، وما حمله عنه الذين صحبوه.

أكثر من طريق إلى النفع

اجتمع في حياة أهل العلم سؤال وكتاب ورحلة. لكن لكل واحد منهم أبواباً عرفها وأعمالاً قدر عليها. نرى ابن المبارك هنا بين رجال عصره، فتظهر الصلوات وتظهر الفروق.

قرأ معمر مع ابن المبارك وتبادلا العلم. وصحب الفضيل، فبقي من أقواله وأفعاله ما يصل المعرفة بحاسبة النفس. ومع الفزاري يقترب من حقوق الناس ومسؤولية القوة في الثغور. لكل واحد من هؤلاء مكان في حياته، ولكل صحة ما تكشفه من الرجل.^{119 120 121}

سنقارن وجوه العمل التي تحملها هذه الشواهد، لا قيمة الناس عند الله ولا قائمة فضائلهم كلها. قد تحتاج اليوم إلى معرفة يحملها رفيق، أو إلى تصحيح في السلوك، أو إلى عمل يتجاوز حدود الفرد. اختلاف القدوات يوسع مجال الاختيار المسؤول.

١١٩ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (١٠٥).

١٢٠ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (١٠٦).

١٢١ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (١٠٧).

معمر وفضل الطريق الذي جاء منه العلم

مر معنا مشهد القراءة المتبادلة بين ابن المبارك ومعمر. نعود هنا إلى معناه من غير أن نعيد الحكاية: المعرفة التي تلقاها ابن المبارك لم تبدأ به. كان هناك معلم يحمل مادة، وتلميذ يقرأ، ووقت مشترك يتيح النظر فيها.

وحين نفتح جامع معمر في رواية عبد الرزاق نجد أقوالاً وأخباراً متعددة المتكلمين. لا يصح أن ننسب كل معنى فيه إلى فعل شخصي لمعمر، كما لم يصح أن نفعل ذلك في زهد ابن المبارك. وقد يكون للكلام الذي يرويهِ أثر في موضوع الكتاب، من غير أن يكون يومية من حياة راويه.¹²²

تمنحنا هذه الموازنة طريقة أعدل للنظر إلى العمل العلمي. فاختيار مادة وحملها وإتاحتها يختلف عن إنشاء كل ما فيها. ومن يروي عن غيره لا يفقد فضله، لكن فضل القائل الأول لا يختفي عنده. كذلك لا يصير التلميذ مالكاً وحيداً للطريق لأنه اشتهر في مرحلة لاحقة.

ومن هنا يظهر أحد وجوه ابن المبارك: كان متلقياً في شبكة واسعة، ثم صار من تحمل عنه شبكة أخرى. موضعه بين الطرفين

مهم؛ إذ انتقل عبره شيء مما تلقاه، وقد حفظ أحياناً صفة تلقيه وحدود إتقانه. أما قياس كل ما انتقل، أو نسبة كل ما جاء بعده إليه، فيحتاج أكثر مما تمنحه عينة من أخبار التعلم. علمه شيوخ، وقرأ عليه أصحاب، وحمل روايته تلاميذ. بقيت هذه الأسماء في طرق العلم، وبقي فضلها في حياة الرجل الذي جمع من أبوابهم ما انتفع به.

الفضيل الذي لا تختصره العزلة

وقد يقع اختزال آخر حين نضع ابن المبارك في جانب الحركة والإنفاق، والفضيل في جانب الانقطاع والابتعاد عن الناس. تسمح بعض الصور الشائعة بهذه المقابلة السريعة؛ أما الأخبار فتجعلها أكثر صعوبة.

في ترجمة الفضيل يرد قوله في تفضيل أن يمنح الطالب ما لا على أن يحدثه، ثم حجاج الطالب معه في طلب الحديث. ويرد كلامه في أثر المدح والذم في المتكلم.¹²³ لا تعطينا هذه المواضع إنساناً بلا صلة بالآخرين. إنها تكشف سؤالاً عن النفع الذي يقدمه لهم، وعن الخطر الذي يمكن أن يدخل على من يتصدر بالكلام.

احتاج بعض الناس إلى علم، واحتاج بعضهم إلى مال يتيح له طلبه. عرف ابن المبارك الوجهين، فحملت حياته تعليمًا وإعانة، وتبين أخبار كل عطاء من انتفع به.

وفي كلام آخر للفضيل تظهر عنايته بصلاح السلطان لما يرجوه من أثر ذلك في أمن الناس وإمكان تعلمهم. ويذكر تصويراً لجمع متعلمين في البيت.¹²⁴ الصيغة المقترحة لا تثبت أنه أنشأ مدرسة أو نفذ برنامجاً بميزانية وعدد منتظم. لكنها تكفي لنقض صورة رجل لا يرى وراء نفسه أحداً.

وهنا تصبح المقارنة أعمق من مشهد رجلين في مكانين. فابن المبارك، في الشواهد التي قرأناها، يستعمل التعلم والنقد وبعض موارد المال؛ والفضيل يلح في بعض أقواله على امتحان الدافع ومسؤولية الكلام، ويفكر في شروط يستطيع الناس معها أن يتعلموا. توجد أسئلة مشتركة، وتختلف مداخل معالجتها. وقد يجتمع المدخلان في إنسان واحد على نحو لا تصفه المقابلة الحادة.

وتبقى صلتهم في ما ثبت منها أوسع من عتاب شعري لم يصح طريقه. إن إعفاء العلاقة من تلك القصيدة يتيح أن نقرأها من

أخبارها، وأن نرى الاحترام وتبادل النظر حيث تدل عليهما النصوص، بدل أن نوزع على الرجلين دور المنتصر والمغلوب.

الفزاري وما يتجاوز الفرد

أما أبو إسحاق الفزاري فيفتح نافذة أخرى. في مادة السير أسئلة عن الحقوق والأموال وما يقوي الجيش وينفع جماعته. هذه قضايا لا تحلها فضيلة شخص واحد؛ إنها تتعلق بكيفية استعمال موارد مشتركة وما يجوز فيها ومن يستفيد منها.¹²⁵

لا ننسب هذه الأجوبة إلى ابن المبارك لمجرد أنه عرف الفزاري أو كان له حضور في الثغور. للفزاري عمله ونقوله، ولكل مسألة صاحبها. غير أن وضع هذا العمل إلى جانب أخبار الإنفاق الفردي يكشف مستويين يجب ألا يختلطا: أن يساعد إنسان آخر بماله، وأن ينظم حقاً تتعلق به جماعة.

في المستوى الأول يستطيع المتبرع أحياناً أن يقرر من ماله في نطاق حقه. وفي الثاني لا تكفي حرارة الرغبة في الخير؛ لأن المال والسلطة والنتيجة تمس حقوق غيره. وهذه قراءة مقارنة نصوغها نحن من اختلاف نوع المسائل، وليست عبارة نقلها عن أحد الرجلين.

١٢٥ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (١٠٧).

وعند هذا الحد نستطيع فهم قيمة الشركاء والمؤسسات من غير أن نختلق لابن المبارك مؤسسة. فقد ينتفع العمل الفردي بطريقة آمن وسوق ومجلس ومكان إقامة، ويظل عاجزاً وحده عن توفير هذه الشروط كلها. يستطيع السخي أن يخفف حاجة، لكنه لا يصبح بذلك صاحب الفضل الوحيد في كل ما أمكن للمستفيد أن ينجزه. لهذا لا ينبغي أن نقرأ تاريخ الأثر باعتباره سباقاً بين أفراد معزولين. بعض النفع ظاهر يحمل اسم صاحبه، وبعضه موزع بين من يوفر مورداً، ومن يحفظ حقاً، ومن يعلم، ومن يتعلم ثم يؤدي إلى غيره. ومتى ظهرت هذه الصلات اتسع ما يمكن للقارئ أن يتعلمه من السيرة.

ماذا تعني المقارنة العادية

قبل أن نسأل أي الرجال كان أكثر أثراً، ينبغي أن نسأل عن نوع الأثر الذي نقارنه. فمن حفظ مادة وروى طريقها يؤدي عملاً يختلف عن عمل من أجاب عن مسألة أو أعان محتاجاً. قد تجتمع الأعمال في إنسان، لكن اجتماعها لا يجعلها قابلة للجمع في مقياس واحد. كثرة الرحلات لا تقوم مقام دقة الرواية، وكثرة الرواية لا تثبت كثرة ما أنفق صاحبها.

في المقارنة التي سبقت بين ابن المبارك ومعر والفضيل والفزاري، اخترنا شواهد لكل واحد. وهذا الاختيار مفيد بقدر ما يبقى معلن

الحدود. معمر ليس مجرد حامل كتب، والفضيل ليس مجرد صاحب محاسبة، والفزاري ليس مجرد صاحب مسائل في الحقوق. لكل واحد حياة أوسع من الجزء الذي احتجناه هنا. لو جعلنا نافذتنا الضيقة تعريفاً كاملاً به ظلمناه وأضعفنا المقارنة نفسها.

ولذلك يمكن أن نعيد النظر من أربعة مواضع، دون إضافة حوادث إلى حياة أحد. الأول هو الفعل: ماذا صنع كل رجل في الشاهد المعين؟ والثاني هو المورد: ما العلم أو المال أو الصلة التي كانت متاحة له؟ والثالث هو الطرف الآخر: من شارك في الفعل أو تأثر به؟ والرابع هو ما بقي: هل وصل قول، أم كتاب، أم خبر عن عمل؟ بهذه الأسئلة نقارن أشياء يمكن تسميتها، بدل أن نقارن صفات واسعة لا نعرف حدها.

في خبر القراءة مع معمر، الفعل قراءة متبادلة، والمورد مادة علمية، والطرفان معروفان، والذي بقي خبر حمله عبد الرزاق. هذه الصورة تفسر شيئاً عن التعلم. وفي الحوار المنسوب مع الفضيل، الفعل سؤال عن التجارة وتعليل مشروط، والمال داخل السؤال الأخلاقي، لكن درجة طريق الخبر لا تساوي قوة الخبر الأول بمجرد أن الرجلين مشهوران. وفي مسائل الفزاري، الذي نقرأه مادة فقهية في الحقوق، لا شاهداً حاضراً يصف فعل ابن المبارك.

لو محونا هذه الفروق، أمكن أن نبني جدولاً جميلاً لا يقيس شيئاً:
الأول للعلم، والثاني للقلب، والثالث للعمل. أما حين نحفظها، فإن
المقارنة تفتح أسئلة عملية: أين يفيد تبادل القراءة؟ متى تحتاج
الوسيلة النافعة إلى مساءلة؟ وما الذي يتغير حين يتعلق القرار بحق
جماعة؟ هذه أسئلة تنشأ من اختلاف نوع الدليل، ولا نطلب
ترتيب الرجال في سلم واحد.

المورد الذي لا يظهر في العنوان

في عنوان السيرة يظهر ابن المبارك. وفي أخبار التكوين تظهر موارد
لم يصنعها وحده: معلم يده، وشيخ يسمح بالقراءة، ورفيق يحمل
السؤال، وراو يحفظ الجواب. وفي تاريخ الكتاب تظهر موارد
أخرى: نسخة بقيت، وقارئ سجل سماعه، ومحقق بين اختلاف
اللفظ. ليست هذه مقدمات صغيرة يمكن حذفها بعد أن نصل إلى
الرجل المشهور؛ هي بعض ما جعل أثره ممكناً.

ملك بعض أهل العلم وقتاً للتعليم، وملك آخرون مالا يعين طالباً،
وحفظ رجال ما حمله غيرهم من الضياع. اتسعت أبواب النفع،
وعمل كل واحد منها بما بين يديه.

يتبين وجه المقارنة من القدرة والفرصة والحقوق والظروف التي
تحفظها الأخبار. عند هذا القدر يظهر ما أتيح لكل رجل، وما
اختاره مما استطاع.

وبين الشخصيات المذكورة في هذا الفصل صلوات حقيقية لا تقوم على المنافسة وحدها. هناك أخذ وسؤال وتقويم ونقل. إذا قرأناها باعتبارها سباقاً على لقب أكبر فقدنا معنى التبادل. يستطيع رجل أن يكون معلماً لصاحبه في موضع ومستفيداً منه في موضع آخر. وقد رأينا أن كبر السن لم يمنع السؤال، وأن منزلة الشيخ لم تمنع اختلافاً في رأي مخصوص.

هذه الصلوات تفسر لماذا تكون القدوة النافعة أحياناً في العلاقة نفسها، لا في طرف واحد منها. فالمتعلم الذي يبين حد معرفته والمعلم الذي يقبل سؤالاً دقيقاً يشتركان في حفظ العلم. والمعطي الذي يحترم قدرة غيره، والمستفيد الذي يؤدي عمله، يشتركان في النفع على وجه لا تختصره يد المال. والناقد الذي يحفظ الدليل المقابل يصون معرفة قد ينتفع بها من خالفه.

ما الذي نستطيع حمله إلى زمننا

تنتقل بعض الأسئلة من زمن إلى زمن بسهولة أكبر من انتقال الوسائل. سؤال الأمانة في النقل قريب من قارئ اليوم، وإن اختلفت أدوات النسخ والبحث. وسؤال الوفاء بحقوق الناس حاضر، وإن تغيرت أشكال المعاش. أما صورة رحلة أو مجلس أو ولاية، فتتعلق بعالم له شروطه، ولا تنتقل لمجرد أن اسمها جميل.

لذلك لا يكون الانتفاع المعاصر ترجمة حرفية للحياة الماضية. إذا أردت أن نتعلم من حفظ الطريق، فقد يكون فعلك أن تذكر مصدر المعلومة وتبين ما لم تتحقق منه. وإذا أردت أن نتعلم من دور الوسيط، فقد يكون فعلك أن تصل شخصاً بخير بعد استئذانهما. وإذا أردت أن نتعلم من بقاء الكتاب، فقد يكون فعلك أن تسلم عملك بوضوح لمن يتولاه بعدك. هذه أمثلة من عند الكاتب، وليست أوامر تاريخية مستخرجة بلفظها من السيرة. والانتقال الأمين يحتاج إلى حد آخر: لا تجعل المثال المعاصر برهاناً على أن الواقعة القديمة صحيحة. قد يكون اقتراحك نافعاً في نفسه وتبقى الرواية التي أثارت سؤالك غير ثابتة. النفع المحتمل للتطبيق لا يعود إلى الماضي فيقوي إسناده. كما أن ضعف خبر معين لا يبطل كل معنى عام تشاركه فيه أدلة أخرى.

هنا تظهر فائدة الحواشي في صحبة القدوة. ليست دعوة إلى أن ينشغل كل قارئ بتفاصيل الرجال، بل حماية للصلة بين ما ثبت وما نريد صنعه. يستطيع القارئ أن يحب معنى، وأن يعرف في الوقت نفسه أن نسبته في خبر مخصوص لم تحسم. يستطيع أن يعمل بالمعنى حين يثبت من وجهه المناسب، من غير أن ينشر الحكاية بوصفها حقيقة مؤكدة.

وعندما تستقر هذه المسافة، تصير المقارنة باباً إلى اختيار وإع. لا نعود نسأل من الرجل الذي يغني عن جميع الرجال، بل ما المعرفة التي أحتاجها، ومن أين آخذها، وأي جزء أستطيع أن أؤديه بصدق. بذلك ينتهي فصل المقارنة إلى حياة القارئ دون أن يستولي عليها، وتبقى السيرة صحبة تفتح له النظر ولا تكتب بدلاً منه كل قرار.

أين تقع أنت من هذه الطرق؟

قد تدخل الكتاب محباً للعلم فتقف طويلاً عند دقة السماع. وقد تدخل من باب العمل والمال فتنتبه إلى ما يصنعه مورد محدود إذا بلغ موضع حاجته. وربما يستوقفك أكثر من ذلك كله رجل يؤثر جوابه، أو يعترف بحد إتقانه، أو يرد الفضل إلى غيره.

ليس علينا أن نختار سيرة واحدة ثم نغلق ما سواها. تستطيع أن تصحب ابن المبارك في جانب، وتتعلم من حياة أخرى ما لا تكفي هذه الأخبار لتفصيله. المهم ألا تكون الصحبة جمعاً للأسماء التي تعجبك؛ بل فهماً لما ثبت، ولظروفه، وللجزء الذي تستطيع أن تعمل به في حياتك.

فالمهنة وحدها لا تعين موضع الانتفاع. قد يكون التاجر أحوج إلى أدب التعلم من حاجته إلى قصة مال، ويكون الطالب أحوج إلى معرفة حق أهله ووقته من حاجته إلى رحلة أخرى، ويجد صاحب

المسؤولية في حفظ الدليل المقابل ما ينفعه في حكم يصدره كل يوم.

لكن بين الفهم والفعل مسافة. لا تختصرها حرارة القراءة الأخيرة، ولا الجملة التي نضع تحتها خطأ. تحتاج إلى حاجة تسميها، وعمل تختاره، وحق تحفظه، ثم إلى مراجعة صادقة لما تغير وما لم يتغير. وهذا العمل التالي لن ننسبه إلى ابن المبارك؛ سنبنيه نحن، بما يناسب زماننا وقدرتنا، مستندين إلى وقائع ميزنا حدودها. انتهى الطريق الذي حفظته أخبار حياته، وبقي ما يقدر القارئ على البدء به في يومه. إليه يتجه القسم التالي: علم يتعلمه، وأمانة يؤديها، ونفع يحمله إلى غيره.

باب: الأقوال والوصايا المأثورة

تتوزع كلمات ابن المبارك بين مجلس الحديث، وصحبة العلماء، والتجارة والنفقة، والرباط، ومحاسبة النفس. يجمع هذا الباب ما أمكن الوقوف عليه من حكمه ووصاياه وأجوبته وشعره، مرتبا بحسب المعاني، مع إبقاء سياق الكلمة حين يغير حذفه معناها. المأثور هنا ما نسبته المصادر إلى صاحب السيرة، ولا تعني الإحالة إلى كتاب تصحيح جميع أسانيده. ذكر ما ظهر من اختلاف النسبة أو تنبيه الناقل، وجمعت الصيغ المتقاربة من الخبر الواحد قدر الإمكان. هذا استقصاء موسع في المصادر الميينة، لا دعوى الإحاطة بكل ما روي في جميع الكتب والمخطوطات. ولم تدخل الأحاديث النبوية التي رواها صاحب السيرة في عداد كلامه، ولا ثناء الآخرين عليه.

العلم والرواية والتثبت

١ - «ليكن الذي تعتمدون عليه هذا الأثر، وخذوا من الرأي ما يفسر لكم الحديث.»¹²⁶

٢ - سأله رجل عن صرف فضل يومه في تعلم القرآن أو طلب العلم، واستثبت أولاً أنه يقرأ ما يقيم به صلاته.

«فاجعله في طلب العلم الذي يعرف به القرآن»¹²⁷

٣ - جوابه للسندي بن أبي هارون حين سأله: ممن نستفيد؟

«من كتبنا»¹²⁸

٤ - لمن سأله عن حديث وهو يمشي، برواية بشر بن الحارث.

«ليس هذا من توقير العلم»¹²⁹

٥ - لفظ الحلية، وفي السير: «أول منفعة العلم»؛ جمعت الروایتين في موضع واحد.

«أول منفعة الحديث أن يفيد بعضهم بعضاً»¹³⁰

٦ - جواب سؤال عن التشدد في الإسناد عند إرادة وجه الله.

«إذا كان يطلب الحديث لله فهو أولى أن يشتد في سنده»¹³¹

١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١ - أبو نعيم، حلية الأولياء، ترجمة عبد الله بن المبارك، ١٦٥/٨-١٦٦.

٧ - عن الانقطاع بين المجاج بن دينار والنبي ﷺ؛ بعد أن استثبت أسماء الرواة.

«بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المجاج مفاوز تنقطع فيها أعناق الإبل»¹³²

٨ - وصيته لرجل في القضاء.

«إن ابتليت بالقضاء فعليك بالأثر»¹³³

٩ - جوابه لمن سأله: بقي من ينصح؟

«فهل بقي من يقبل؟»¹³⁴

١٠ - «في صحيح الحديث شغل عن سقيمه»¹³⁵

١٣٢، ١٣٣، ١٣٤ - أبو نعيم، حلية الأولياء، ترجمة عبد الله بن المبارك، ٨/١٦٥ -
٠١٦٦

١٣٥ - الذهبي، السير، ٨/٤٠٣.

دوام الطلب وأدواته

١١ - رواية المسيب بن واضح فيمن يؤخذ عنه العلم.
«قد يلتقى الرجل ثقة وهو يحدث عن غير ثقة، وقد يلتقى
الرجل غير ثقة يحدث عن ثقة، ولكن ينبغي أن يكون: ثقة
عن ثقة.»¹³⁶

١٢ - جواب: إلى متى تكتب العلم؟
«لعل الكلمة التي أتفنع بها لم أكتبها بعد.»¹³⁷
١٣ - جوابه لأبي صالح الفراء عن كتابة العلم.
«لولا الكتاب ما حفظنا.»¹³⁸

١٤ - رواه أبو صالح الفراء؛ الخلق ضرب من الطيب.
«الحبر في الثوب خلوق العلماء.»¹³⁹
١٥ - وردت في السياق نفسه؛ في قيمة المعرفة المتكررة بحال
الإنسان، ولا تنقل منها أحكام القضاء بلا تفصيل.
«تواطؤ الجيران على شيء أحب إلي من شهادة عدلين.»¹⁴⁰

١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠ - الذهبي، السير، ترجمة عبد الله بن المبارك،

١٦ - «من استخف بالعلماء ذهب آخرته، ومن استخف بالأمرء ذهب دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهب مروءته.»¹⁴¹

الأدب وحسن الصحبة

١٧ - «يكون مجلسك مع المساكين، وإياك أن تجلس مع صاحب بدعة.»¹⁴²

١٨ - من حديثه في الصحبة.

«وما أعياني شيء كما أعياني أني لا أجد أخا في الله.»¹⁴³

١٩ - «طلبنا الأدب حين فاتنا المؤدبون.»¹⁴⁴

٢٠ - يرويه أبو أمية الأسود؛ في محاسبة نفسه والتواضع، لا في تزكية الناس على الإطلاق.

«أحب الصالحين ولست منهم، وأبغض الطالحين وأنا شر منهم.»¹⁴⁵

١٤١ - الذهبي، السير، ترجمة عبد الله بن المبارك، ٤٠٩-٨/٤٠٤.

١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥ - أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٦٨-٨/١٧١، ترجمة عبد الله بن المبارك.

٢١ - قالها لعاطس لم يحمد الله؛ فلما أجاب: «الحمد لله»، قال له: «يرحمك الله».

«إيش يقول العاطس إذا عطس؟»¹⁴⁶

٢٢ - وصفه لحسن الخلق؛ هو من كلام ابن المبارك، لا حديث مرفوع.

«هو بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى»¹⁴⁷

كلمات في الأدب نقلتها كتب السلوك

٢٣ - أورده ابن القيم منسوباً إليه دون إسناد في هذا الموضع.

«نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم»¹⁴⁸

١٤٦ - أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٦٨/٨-١٧١، ترجمة عبد الله بن المبارك.

١٤٧ - الترمذي، الجامع، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، رقم ٢٠٠٥، أثر ابن المبارك.

١٤٨ - ابن القيم، مدارج السالكين، منزلة الأدب، فصل أنواع الأدب، ٢/٣٥٦-٣٦٠.

٢٤ - منقول في مدارج السالكين؛ وله لفظ أقصر في باب الأدب من الرسالة القشيرية.

«قد أكثر الناس القول في الأدب ونحن نقول: إنه معرفة النفس ورعوناتها، وتجنب تلك الرعونات.»¹⁴⁹

١٤٩ - ابن القيم، مدارج السالكين، منزلة الأدب، فصل أنواع الأدب، ٢/٣٥٦ -

٢٥ - أورده ابن القيم منسوباً إليه؛ يُقرأ في سياق التحذير من التهاون، ولا نجم من وروده وحده بصحة إسناده.

«من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن، ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض، ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة»¹⁵⁰

النية ومحاسبة القلب

٢٦ - أثبتنا «تكثره» كما في هذا الموضع من السير.

«رب عمل صغير تكثره النية، ورب عمل كثير تصغره النية»¹⁵¹

٢٧ - «حب الدنيا في القلب، والذنوب فقد احتوشته، فمتى يصل الخير إليه؟»¹⁵²

١٥٠ - ابن القيم، مدارج السالكين، منزلة الأدب، فصل أنواع الأدب، ٢/٣٥٦ - ٣٦٠.

١٥١، ١٥٢ - الذهبي، السير، ترجمة عبد الله بن المبارك، ٨/٣٩٩ - ٤٠٠.

٢٨ - في كسر العجب ومحاسبة النفس؛ ليس إذنا بإهانة إنسان.
«إذا عرف الرجل قدر نفسه، يصير عند نفسه أذل من
كلب»¹⁵³

٢٩ - في التحذير من التفات النية إلى نظر الناس؛ استعمال
«الشرك» في سياق الرياء هنا، فلا يحمل على حكم على شخص بعينه.
«لو أن رجلين اصطحبا في الطريق، فأراد أحدهما أن يصلي
ركعتين فتركهما لأجل صاحبه كان ذلك رياء، وإن صلاهما
من أجل صاحبه فهو شرك»¹⁵⁴

الخوف والعجب وقصر الأمل

٣٠ - ورد بهذا السياق في السير؛ أبقينا عبارته في عد المخاوف.
«إن البصراء لا يأمنون من أربع: ذنب قد مضى لا يدرى ما
يصنع فيه الرب عز وجل، وعمر قد بقي لا يدرى ما فيه من
الهلكة، وفضل قد أعطي العبد لعله مكر واستدراج، وضلالة
قد زينت يراها هدى، وزيف قلب ساعة فقد يسلب المرء دينه
ولا يشعر»¹⁵⁵

١٥٣ - الذهبي، السير، ترجمة عبد الله بن المبارك، ٣٩٩/٨-٤٠٠.

١٥٤ - أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٧١/٨.

٣١ - تفسيره للكبر، جواباً لأبي وهب المروزي.

«أن تزدرى الناس»¹⁵⁶

٣٢ - جوابه حين سأله أبو وهب عن العجب.

«أن ترى أن عندك شيئاً ليس عند غيرك، لا أعلم في المصلين

شيئاً شراً من العجب»¹⁵⁷

الخشية والورع وإصلاح النفس

٣٣ - فسئل: وما أطيب ما فيها؟ فقال: «المعرفة بالله عز وجل».

«أهل الدنيا خرجوا من الدنيا قبل أن يتطعموا أطيب ما

فيها»¹⁵⁸

٣٤ - يرويه عنه الفضيل بن عياض.

«أكثر كم علماً ينبغي أن يكون أشد كم خوفاً»¹⁵⁹

٣٥ - قالها للفضيل بن عياض.

«استعد للموت ولما بعد الموت»¹⁶⁰

١٥٥ - الذهبي، السير، ٤٠٦/٨-٤٠٧.

١٥٦، ١٥٧ - الذهبي، السير، ٤٠٦/٨-٤٠٧.

١٥٨، ١٥٩، ١٦٠ - أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٦٧/٨-١٦٩.

٣٦ - رواه عبيد بن جناد في خبر تعظيم ابن المبارك لأصحابه.

«الرفيع من يرفعه الله بطاعته، والوضيع من وضعه.»¹⁶¹

٣٧ - نقل ابن أبي جميل جوابه لسؤال عن الرباط؛ في لزوم النفس للحق، مع بقاء الجهاد المعروف ظاهرا في سيرته.

«رابط بنفسك على الحق حتى تقيمها على الحق، فذلك أفضل الرباط.»¹⁶²

الكسب والإنفاق ونفع الناس

٣٨ - جوابه للفضيل عن الجمع بين التجارة والدعوة إلى الزهد.

«يا أبا علي إنما أفعل ذا لأصون وجهي وأكرم عرضي وأستعين به على طاعة ربي.»¹⁶³

٣٩ - من كتبه لو يكله حين راجعه في عطاء من سأله قضاء دينه.

«إن كانت الغلات قد فنيت فإن العمر أيضا قد فني، فأجزله ما سبق به قلبي.»¹⁶⁴

١٦١ - أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٦٧/٨-١٦٩.

١٦٢ - أبو نعيم، حلية الأولياء، ١٧١/٨.

١٦٣، ١٦٤ - الذهبي، السير، ترجمة عبد الله بن المبارك، أخبار تجارته وإنفاقه على إخوانه.

٤٠ - تعليله تخصيص بعض أهل العلم بالعطاء خارج بلده.

«إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق طلبوا الحديث فأحسنوا طلبه لحاجة الناس إليهم، احتاجوا، فإن تركناهم ضاع علمهم، وإن أعانهم بثوا العلم لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، لا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم.»¹⁶⁵

٤١ - قالها لمن استعظم ما رده إليه من نفقة السفر.

«وما تنكر أن يبارك الله للغازي في نفقته؟»¹⁶⁶

٤٢ - في تعظيم حق من تلزم نفقته؛ لا يغني هذا الأثر عن تفصيل أحكام تراحم الواجبات.

«لا يقع موقع الكسب على العيال شيء ولا الجهاد في سبيل الله.»¹⁶⁷

٤٣ - مع أربعة آلاف درهم بعثها إلى أبي بكر بن عياش، في رواية المسيب بن واضح.

«سد بها فتنة القوم عنك.»¹⁶⁸

١٦٥، ١٦٦ - الذهبي، السير، ترجمة عبد الله بن المبارك، أخبار تجارته وإنفاقه على إخوانه.

١٦٧ - الذهبي، السير، ٣٩٩/٨-٤٠٠.

١٦٨ - الذهبي، السير، ٨/٤١٠.

مجالسة الكتب وحرمة العلماء

٤٤ - لما سئل عن كثرة جلوسه في بيته؛ يريد صحة أخبارهم وعلمهم.

«كيف أستوحش وأنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه؟»¹⁶⁹

٤٥ - جوابه لأبي داود: من تجالس بخراسان؟ وفسره الراوي بالنظر في كتبهما.

«أجالس شعبة وسفيان.»¹⁷⁰

٤٦ - بيانه لمن سأله عن ذهابه لمجالسة الصحابة والتابعين بعد الصلاة.

«أذهب أنظر في علمي فأدرك آثارهم وأعمالهم.»¹⁷¹

٤٧ - أدبه مع حماد بن زيد حين طلب منه التحديث بحضرته؛ فلما ألح عليه روى عنه.

«سبحان الله يا أبا إسماعيل، أحدث وأنت حاضر؟»¹⁷²

١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢ - الذهبي، السير، ترجمة عبد الله بن المبارك؛ وأبو نعيم،

حلية الأولياء، ١٦٤/٨-١٦٥.

السنة والصحابة

٤٨ - رواية نعيم بن حماد.

«السيف الذي وقع بين الصحابة فتنه، ولا أقول لأحد منهم هو مفتون.»¹⁷³

٤٩ - جوابه في معرفة الرب، برواية علي بن الحسن بن شقيق؛ من ألفاظ الجدل العقدي في عصره.

«على السماء السابعة على عرشه، ولا نقول كما تقول الجهمية: إنه هاهنا في الأرض.»¹⁷⁴

٥٠ - قاله عقب تلاوة شيء من القرآن؛ يورد هنا لبيان مذهبه في مسألة خلق القرآن، مع إبقاء سياقه التاريخي.

«من زعم أن هذا مخلوق فقد كفر بالله العظيم.»¹⁷⁵

من الشعر الذي أنشده أو نسب إليه

٥١ - مقطوعة سمعه ابن سهم الأنطاكي ينشدها؛ لا يجزم من مجرد الإنشاد بأنه ناظمها.

«فكيف قرت لأهل العلم أعينهم / أو استلذوا لذيد النوم أو
هجعوا

والنار ضاحية لا بد موردها / وليس يدرون من ينجو ومن يقع
وطارت الصحف في الأيدي منشرة / فيها السرائر والجبار
مطلع

إما نعيم وعيش لا انقضاء له / أو الحميم فلا نبقي ولا تدع
تهوي بساكنها طورا وترفعه / إذا رجوا مخرجا من غمها قمعا
لينفع العلم قبل الموت عالمه / قد سال قوم بها الرجعى فما
رجعوا»¹⁷⁶

١٧٦ - الذهبي، السير، خاتمة ترجمة عبد الله بن المبارك؛ وأبو نعيم، حلية الأولياء،

٥٢ - نسبت إليه في السير من طريق السراج؛ المقصود نقد طلب الغنى بمعصية.

«يا عائب الفقر ألا تزدجر / عيب الغنى أكثر لو تعتبر
من شرف الفقر ومن فضله / على الغنى لو صح منك النظر
أنك تعصي لتنال الغنى / وليس تعصي الله كي تفتقر»¹⁷⁷

٥٣ - روى الذهبي أن بعضهم سمعه ينشدهما على سور طرسوس؛
صيغة الراوي مبهمة.

«ومن البلاء وللبلاء علامة / أن لا يرى لك عن هواك نزوع
العبد عبد النفس في شهواتها / والحريشيع مرة ويجوع»¹⁷⁸

٥٤ - من أبيات قال الراوي إنه أنشأها بعد حديثه عن الصالحين؛
أوردنا مطلعها.

«الصمت أزين بالفتى / من منطلق في غير حينه
والصدق أجمل بالفتى / في القول عندي من يمينه
وعلى الفتى بوقاره / سمة تلوح على جبينه»¹⁷⁹

١٧٧، ١٧٨، ١٧٩ - الذهبي، السير، خاتمة ترجمة عبد الله بن المبارك؛ وأبو نعيم،
حلية الأولياء، ٨/١٧٠.

أواخر الوصايا

٥٥ - قلها في مرض موته لمن أكثر عليه من التلقين؛ وفي صدر كلامه خوفه أن يؤذي الرجل مسلماً آخر بإلحاحه.

«إذا لقنتني فقلت لا إله إلا الله ثم لم أحدث كلاماً بعدها فدعني، فإذا أحدثت كلاماً فلقيني حتى تكون آخر كلامي.»¹⁸⁰

أمانة الحديث والإسناد

٥٦ - رواه مسلم من كلام ابن المبارك، وليس حديثاً مرفوعاً.
«الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء.»¹⁸¹

٥٧ - فسر الراوي «القوائم» بالإسناد.
«بيننا وبين القوم القوائم.»¹⁸²

١٨٠ - الذهبي، السير، خاتمة ترجمة عبد الله بن المبارك، رواية أحمد بن عبد الله العجلي عن أبيه.

١٨١ - مسلم، مقدمة الصحيح، باب أن الإسناد من الدين والرواية لا تكون إلا عن الثقات، ١٥/١-١٦، رواية عبدان بن عثمان.

٥٨ - جوابه في خبر الصلاة والصيام عن الأبوين؛ سأل عن رجاله حتى ظهر انقطاع الطريق. والمفاوز جمع مفازة، وهي القلاة. «يا أبا إسحق، إن بين المجاج بن دينار وبين النبي صلى الله عليه وسلم مفاوز تنقطع فيها أعناق المطي، ولكن ليس في الصدقة اختلاف»¹⁸³

العلم والزهد ومعايير الناس

٥٩ - سئل: من الناس؟ فأجاب بهذه الكلمة. وقيل له: فمن الملوك؟ قال: «الزهاد». وقيل: فمن الغوغاء؟ قال: «خزيمة وأصحابه»؛ يعني من أمراء الظلمة. وقيل: فمن السفلة؟ قال: «الذين يعيشون بدينهم»¹⁸⁴ «العلماء».

ثبت الأجوبة حوارا واحدا؛ والمراد بالآخيرة ابتذال الدين للدنيا، لا ذم كل رزق للعالم.

١٨٢ - مسلم، مقدمة الصحيح، باب أن الإسناد من الدين والرواية لا تكون إلا عن الثقات، ١/١٦، رواية العباس بن أبي رزمة.

١٨٣ - مسلم، مقدمة الصحيح، باب أن الإسناد من الدين والرواية لا تكون إلا عن الثقات، ١/١٦، رواية إبراهيم بن عيسى الطالقاني.

١٨٤ - الذهبي، السير، ٨/٣٩٩.

أخبار لم تدخل في متن الجمع

«لو اتقى الرجل مائة شيء ولم يتق شيئا واحدا...»؛ لم يدخل في متن الأقوال المعتمدة هنا؛ حكم الذهبي على إسناده بأنه لا يصح، ثم شرح المراد المنقول. المصدر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٨، ص ٣٩٩.

الآيات التي مطلعها «اغتنم ركعتين زلفى إلى الله»؛ حكى الذهبي أنها تنسب أيضا إلى حميد النحوي؛ فلا يجزم بقائلها من مجرد ورودها في الترجمة. المصدر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ترجمة عبد الله بن المبارك، في أخباره الشعرية.

خبر شرب ماء زمزم لعطش القيامة؛ وصف الذهبي هذا الخبر بأنه فرد منكر؛ فلا يساق هنا على أنه قول ثابت. المصدر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٨، ترجمة عبد الله بن المبارك.

والآن... ماذا ستصنع بهذه الصحبة؟

قسم عملي مستقل — اقتراحات الكاتب للقارئ اليوم
أغلق الكتاب لحظة، وفكر في شخص واحد ينتظر منك شيئاً تستطيع فعله. ربما ينتظر جواباً أدق، أو وقتاً وعدته به، أو اعترافاً بعمل شارك فيه. لن يعرف هذا الشخص كم أعجبتك السيرة؛ سيرى ما يتغير في تصرفك.

اختر مشهداً بقي معك: شيخ يقول إن حفظه لم يعد كما كان؛ سائل يعود إليه الخبر بطريق ناقص؛ مال يرد فيه ذكر قوت البيت؛ رفيق يراجع ما كتبه. ما المشكلة القريبة في حياتك التي جعلت هذا المشهد يلمسك؟ سمّها قبل أن تختار مشروعاً واسعاً.
كل ما يلي اقتراح من كاتب يعيش في زمنك، لا برنامج وضعه ابن المبارك. ستجد في كل مسار واقعة بدرجتها، وفعلاً تبدأ به، ومن يتأثر به، ومورداً تحتاجه، وطريقة ترى بها النتيجة، وخطة حين نعتثر. قد تغيّر السيرة اتجاهك، لكن حماسة الصفحة الأخيرة لا تثبت شيئاً ما لم يلحظ من حولك أثراً يمكن وصفه.

حين تصطدم القدوة بخبر لا يعجبك

قد تنتهي من هذه السيرة ثم تصادف رواية تنقد لفظاً أداه ابن المبارك، أو خبراً عن مال لم يستقم طريقه، أو قولاً له يخالف

اختيار عالم آخر تحترمه. ماذا تفعل حين يحدث هذا؟ السؤال عملي؛ لأن القارئ الذي لا يعرف إلا صورتين، رجلاً معصوماً أو رجلاً سقط كله بخطأ واحد، يصعب عليه أن ينتفع بأحد.

في فصل المحنة العلمية رأينا اعتراضاً على كلمة في حديث الماء، ورأينا كيف قوبل الاعتراض بوجه آخر من السماع.¹⁸⁵،¹⁸⁶ ليست مهمة القارئ غير المتخصص أن يصدر حكماً جديداً في الحديث. لكن يستطيع أن يتعلم طريقة التعامل مع التعارض: يمسك لفظ الخبر ومصدره، ويسأل عما ثبت فعلاً، ويفرق بين نقد رواية معينة وتقويم العمر كله. كان ابن المبارك واحداً ممن فحصوا روايات غيرهم؛ ومن الوفاء لطريقة الفحص ألا نرفع رواياته فوق السؤال.

إذا كان الخبر في شاشتك الآن: لا تشاركه فوراً لتدافع عن الرجل ولا لتدينه. اكتب في سطر واحد الادعاء المحدد: «أخطأ في هذه الكلمة»، أو «نسبت إليه نفقة بهذا المقدار»، أو «وصف فلاناً بكذا». اطلب الموضوع الأصلي والطبعة والطريق إن كان خبراً تاريخياً. ثم اقرأ الحاشية المقابلة في هذا الكتاب أو ارجع إلى من

١٨٥ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٨٦).

١٨٦ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٨٧).

يملك خبرة بالنص إن تعذر عليك وزن الرجال والطرق. قد لا تستطيع الوصول إلى حكم نهائي؛ اكتب «لم أتحقق» بدل ملء الفراغ بتأكيد جديد.

خذ مثلاً افتراضياً واضح الحدود. رأى قارئ في مجموعة رسالة تقول إن ابن المبارك كان ينفق مبلغاً ثابتاً كل سنة، ثم اختتمت بعبارة تلزمه أن ينفق النسبة نفسها من دخله. وجد القارئ أن أصل الرقم لم يثبت في المادة التي بين يديه. أمامه خياران متسرعان: أن يرسل الرقم لأنه مؤثر، أو أن يرفض كل معنى في العطاء لأنه شك في الرقم. الخيار الأدق أن يحذف الرقم غير المثبت، ويحافظ على سؤال قائم بذاته: ما حق من أعول، وما المورد الذي أستطيع به نفع شخص آخر؟ لا يحتاج أن يصطنع ميزانية تاريخية كي يراجع ميزانيته.

وقد يكون موضع الاصطدام حكماً علمياً أوسع من قدرتك. لا تبدأ بنشر خلاصة قاطعة من عنوان مثير أو مقطع قصير؛ احفظ السؤال مع إحالته، واطلب من قارئ متخصص أن يبين لك موضع النزاع وما يعتمد عليه كل طرف. تخصص غيرك مورد تستعين به، ووقته حق تتأدب معه: قدم نصاً محدداً وسؤالاً محدداً، واترك له حق الاعتذار. وإن بقي الخلاف بعد القراءة، لا تكره النص على خاتمة يريحك سماعها.

هناك أيضاً خيبة من نوع آخر: ترى صاحب السيرة قادراً على أعمال كثيرة، ثم تنظر إلى وقتك وصحتك ودخلك فتشعر بأن الاقتداء كله فوق طاقتك. لا تحوّل الفارق في الوسائل إلى حكم على قيمتك. كان له قرن مختلف، وشيوخ ورفاق ومجال حركة لا تستطيع نسخها. اختر فعلاً يمكن أن تؤدي حقه: مراجعة معلومة قبل نقلها، أو رد فضل صاحب إلى اسمه، أو مساعدة صغيرة لا تحرم بها من يعولونك. الاختيار المحدود الذي تفي به أصلح من التزام واسع يتكرر إخلافه.

اختبار الأسبوع الأول: اختر خبراً واحداً أعجبك أو أزعجك، واكتب تحته ثلاث خانات: ما اللفظ المنقول؟ ما الذي يثبتته المصدر الذي استطعت فحصه؟ ما الذي زدته أنت في تفسيره؟ إن لم تصل إلى الأصل، سجل ذلك. ثم اختر فعلاً واحداً متعلقاً به لا يتوقف على تفصيل مختلف فيه. إذا كان الخبر عن رقم مال متنازعا فيه، فابدأ بمراجعة حق قائم لشخص تعرفه. وإذا كان عن تصحيح لفظ، فراجع معلومة أنت مسؤول عن نشرها. لا تحوّل التجربة إلى فحص علني لأخطاء الآخرين.

في نهاية الأسبوع، اسأل ثلاثة أسئلة يمكن الإجابة عنها: هل امتنعت عن إعادة خبر لم تتحقق منه؟ هل صححت شيئاً سبق أن نقلته؟ هل أدى فعلك حقاً محمداً لمن يتأثر به؟ قد تكون الإجابة «لا» في واحد منها. دوّن السبب: استعجال، أو عجز عن الوصول

إلى أصل، أو خوف من الاعتراف بالخطأ. اختر بديلاً أصغر
للأسبوع التالي: سؤالاً واحداً بدل عشرة مصادر، وتصحيحاً خاصاً
لمن أرسلت إليه بدل إعلان واسع لا يلزم في كل حال. وحين
يمس الخبر حق إنسان أو سلامته، استعن بجهة مختصة ولا تؤخر
إجراءً لازماً باسم التثبت النظري.

القارئ الذي يستطيع أن يقول «لا أعلم» عن رواية يجهبها، ثم يبقى
قادراً على فعل خير ثابت، قد خرج من السيرة بأكثر من انبهار
عابر. هكذا تصير القدوة علاقة تعلم ومحاسبة، لا امتحان ولاء
لصورة كاملة.

سمّ الأمر الذي تريد إصلاحه

قبل أن تضع خطة، عدّ إلى موقف واحد من أيامك القريبة.
هل احتجت إلى مهارة، فعرفت أسماء الكتب والدروس التي
تناولها، ثم عجزت عن استعمالها؟ هل نقلت حكماً على إنسان،
واكتشفت أنك لم تسمع منه؟ هل وعدت أحداً بعون حسن، ثم
بقي ينتظرك لأن الوعد كان أوسع من وقتك؟ هل أنجزت مع
آخرين عملاً، وخرجت الحكاية كأنك أنجزته وحدك؟

اختر موقفاً يتكرر ويترك أثراً تستطيع وصفه. اكتب جملة تبدأ بما
يحدث، لا بالصفة التي تمنى أن تحملها. بدل «أريد أن أصبح
نافعاً»، اكتب مثلاً: «تسألني أختي عن درس أتقنه، فأؤجلها حتى

يمر وقت حاجتها». وبدل «أريد أن أكون طالب علم»، قل: «أتابع دروساً كثيرة، ولا أستطيع إنجاز المهمة التي أتعلم من أجلها».

ثم أضف: من يتأثر بهذا؟ وما التغير الذي سيلاحظه إذا تحسن الأمر؟ قد يلاحظ قريب أنك أوفيت بموعد صغير، أو زميل أن شرحك صار واضحاً، أو تلاحظ أنت أنك أمسكت عن حكم لا تعرف دليله. هذه بداية قابلة للامتحان. أما أن تضع حياتك كلها في كفة، وحياة رجل امتدت أعماله عقوداً في الكفة الأخرى، فلن يبين لك ذلك ماذا تفعل بعد ساعة.

اختر الآن مساراً واحداً من المسارات الآتية. ويمكن أن تدع البقية لوقت آخر.

إذا كنت تتعلم كثيراً ولا تتغير قدرتك

في خبر صحبته لسفيان، كان ابن المبارك يسمع مع الناس، ثم يعود إلى الإفادة الخاصة برقعة أعدها. لم يكن ما يريده من الشيخ سؤالاً مبهماً عن كل شيء؛ كان يحمل مادة محددة، وينتظر الوقت الذي يتيح فيه الشيخ سؤاله.¹⁸⁷

تأخذ من هذا الخبر فعل الاستعداد وتعيين المطلوب. أما طريقة تجربته في حياتك فابدأ فيها بمهمة تنتظرك بالفعل: كتابة خطاب واضح، وفهم مسألة من علم تدرسه، وإصلاح جزء من عمل نتقنه على نحو ناقص، أو تعلم مهارة منزلية يحتاجها من يعيش معك. اختر مهمة واحدة تستطيع معرفة الفرق بين أدائها قبل التعلم وبعده.

اكتب أولاً: «أريد أن أستطيع...». أكملها بفعل، مثل: «أن أشرح هذه الفكرة بكلامي، وأحل عليها مثلاً جديداً». ضع محاولة قبل أن تفتح مورداً آخر. قد تكون المحاولة ناقصة؛ احتفظ بها، لأنها ستريك موضع العجز الذي يغطيه أحياناً استمرار المشاهدة والقراءة.

اختر مورداً مناسباً لسؤالك: درساً موثقاً، أو فصلاً من كتاب، أو شخصاً يتقن المهمة ويقبل مساعدتك. لا تحتاج في البداية إلى بناء مكتبة جديدة. اقرأ أو استمع وأمامك سؤالك، ثم أغلق المورد وحاول العمل بنفسك. حين نتعث، حدد موضع التعثر: هل لم تفهم معنى؟ هل فهمته وعجزت عن تطبيقه؟ هل ينقصك أصل سابق؟ تختلف الخطوة التالية باختلاف الجواب.

وإذا استعنت بأحد، خذ إليه محاولتك وسؤالاً محدداً. قولك «أين أخطأت في هذه الخطوة؟» يعينه على إفادتك أكثر من طلب

مفتوح أن يعلمك الموضوع كله. اتفق معه على وقت يناسبه، واقبل
اعتذاره، وابحث عن طريق آخر إذا تعذر اللقاء. وقت من
يساعدك جزء من كلفة تعلمك، وإن لم تدفع مائلاً.

بعد التصحيح أعد المحاولة في مثال قريب غير مطابق. راقب ما
تستطيع إنجازه الآن دون مساعدة، وما لا تزال تحتاج فيه إلى
سؤال. وحين يعرض لك شخص يحتاج إلى ما أتقنته، اعرض عوناً
محدوداً: شرح خطوة أو مراجعة مثال، مع بيان حدود معرفتك.
قد يكون أجدى ما تقدمه أن تدله على من هو أعلم منك.

أول فعل: اختر مهمة واحدة، وأنجز محاولة قصيرة فيها اليوم أو في
أقرب فسحة متاحة، ثم اكتب سؤالاً واحداً كشفته المحاولة.
تحتاج إلى ورقة أو وسيلة كتابة، ومورد مناسب، ووقت يمكنك
الوفاء به. وفي المراجعة لا تسأل كم درساً أنهيت فقط؛ اسأل: ما
الذي صرت أستطيع فعله؟ وهل انتفع من احتاج إلى مساعدتي
بما قدمت، أم يحتاج طريقة أخرى؟

إذا كانت أحكامك تسبق معرفتك

سأل الحسن بن عيسى ابن المبارك عن رجلين، فسكت. ثم خاطبه
بعد أيام بعبارة ينسب فيها التقويم إلى أصحابه. يحفظ لنا الخبر تأخر

الجواب وحدود العبارة، ولا يتيح أن نجعل كل رأي في الرجلين محل اتفاق؛ فقد اختلف النقاد في تقويمهما.¹⁸⁸

الوجه الذي يمكن أن تنتفع به هنا هو المسافة بين السؤال والجواب، والدقة في بيان ما تعرفه ومن أين عرفته. جرب ذلك في موقف لا تزال قادراً على إصلاحه: رسالة عن زميل، أو تفسير لتصرف قريب، أو خبر يطلب منك أحد نقله.

قبل أن تجيب، فرق كتابةً بين ثلاثة أشياء: ما شاهدته أنت؛ وما نقله إليك غيرك؛ وما استنتجته من الاثنين. «تأخر عن الموعد مرتين» وصف يختلف عن «لا يحترم أحداً». قد يكون التأخر مؤذياً ويحتاج إلى معالجة، لكن العبارة الثانية تزيد حكماً على نيته وطبيعته كلها.

اسأل بعد ذلك: ما المعلومة الناقصة التي يمكن أن تغير فهمي؟ إذا أمكن سؤال صاحب الأمر دون تعريض أحد للأذى، فاسأله عن الواقعة نفسها. وإن لم يمكن، فاجعل لغتك بقدر علمك: «هذا ما وصلني ولم أتحقق منه»، أو «هذا ما رأيته، ولا أعرف سببه». وأحياناً تكون الإجابة الآمنة: «لا أعرف ما يكفي لأحكم».

لا تجعل التثبت ذريعة إلى تأخير حق ظاهر أو ترك من يحتاج إلى حماية. تستطيع معالجة فعل مشاهد ضمن مسؤوليتك، مع إبقاء ما تجهله مجهولاً. ويمكنك طلب مشورة من الجهة المختصة عندما تتجاوز المسألة قدرتك. المقصود أن يقل ما تضيفه من عندك إلى الواقعة، وأن تصل إلى قرار أعدل، لا أن تؤجل كل قرار إلى ما لا نهاية.

وإذا كنت قد نقلت كلاماً غير دقيق، فلا تكتف بأ أن تعرف في نفسك أنك أخطأت. صحح عند من بلغه كلامك، بقدر يناسب أثر الخطأ ويحفظ الخصوصية. سمّ المعلومة التي تغيرت بدل اعتذار عام لا يفهم منه أحد ما الذي يجب أن يصححه في فهمه. وقد يحتاج إصلاح الأثر إلى أكثر من رسالة؛ يحدد ذلك ما ترتب على كلامك، لا رغبتك في إنهاء شعورك بالخرج.

أول فعل: خذ حكماً واحداً لم تنشره بعد، وافصل فيه المشاهدة عن النقل والاستنتاج. وفي نهاية الأسبوع راجع موقفاً واحداً: هل صارت عبارتك أدق؟ هل استمعت إلى الطرف المعني؟ هل أصلحت معلومة خاطئة؟ لا تسجل أسماء الناس وأسرارهم في دفتر مكشوف؛ يكفي وصف لا يفضحهم. المنفعة لهم أن يقل الظلم الواقع عليهم، والمنفعة لك أن يصبح كلامك أقرب إلى علمك.

إذا أردت أن تنفع ولا تعرف ماذا تملك

إحالة داخلية: راجع نص رواية الحسن بن عيسى بن ماسرجس كاملاً وتعليق مدارج في فصل «على الطريق إلى بغداد»؛ فهو الأصل الذي تقوم عليه الملاحظة التطبيقية الآتية.¹⁸⁹

انظر إلى حياتك بهذه العين: ما الذي تفعله أصلاً، ويمكن أن يتسع نفعه لإنسان آخر من غير أن تضيع حقاً قائماً؟ قد تكون معرفتك بطريقة إنجاز إجراء، أو قدرتك على شرح فكرة، أو وقتاً تسمع فيه لقريب يريد الكلام، أو وصولك إلى شخص يستطيع حل مشكلة لا تعرف أنت حلها. وقد يكون ما تملكه قليلاً في عينك، مناسباً تماماً لحاجة شخص آخر.

اكتب ثلاث قوائم قصيرة: «أعرف»، و«أستطيع»، و«أصل إلى». ضع تحت الأولى مهارات أو معلومات تتقنها بالفعل؛ وتحت الثانية وقتاً أو مورداً تستطيع تخصيصه دون الإضرار بواجباتك؛ وتحت الثالثة أشخاصاً أو جهات يمكنك الاستدلال بهم بعد استئذانهم. هذه أداة مقترحة لك، وليست قوائم منسوبة إلى ابن المبارك.

ثم ابدأ بشخص أو حاجة قريبة، واسأل قبل أن تقرر شكل العون: «ما الجزء الذي يصعب عليك؟» و«هل تحب أن أساعد فيه؟». قد

تكتشف أن ما كنت تستعد لتقديمه لا يحتاج إليه، أو أنه يريد أن
ينجز الأمر بنفسه ويحتاج إلى تفسير خطوة واحدة. قبول هذا
الجواب جزء من حسن العون.

اتفق على شيء محدد تعرف متى يكتمل. «أراجع معك الفقرة
الأولى مساء الخميس إذا ناسبك» أوضح من «سأتولى مشكلتك».
وإذا لم يسمح وقتك إلا بمرة واحدة فقل ذلك من البداية. اترك
للطرف الآخر حق الاعتذار وتغيير الموعد، ولا تجعل قبوله
للمساعدة التزاماً بالإعجاب بك أو اتباع رأيك في بقية حياته.

وبعد التنفيذ، اسأل سؤالاً يمكن أن تتعلم من جوابه: «هل صار
بإمكانك إنجاز الخطوة وحدك، أم بقي شيء غير واضح؟». تجنب
الأسئلة التي لا تتيح له إلا شكرك. قد يقول إن الشرح كان
سريعاً، أو إن حاجته تغيرت، أو إن وسيلة أخرى أنسب له. عندئذ
يكون تعديل المساعدة تقدماً، ولو كان شعورك بالإنجاز أقل مما
توقعت.

إذا احتاج العون إلى مال، فابدأ بما يسمح به وضعك بعد الحقوق
والالتزامات القائمة. وإذا احتاج إلى وقت، فاحسب وقت أهل
بيتك وراحتك والعمل الذي أنت مؤتمن عليه. لا تدفع كلفة
عطاء جديد من حق إنسان آخر دون رضاه. ويمكن أن يكون

دورك تعريف المحتاج بجهة مناسبة، مع حفظ سره واستئذانه قبل نقل معلوماته.

أول فعل: اكتب مورداً واحداً تملكه، ثم اسأل شخصاً قريباً عن حاجة يمكن أن يلائمها ذلك المورد. لا تقدم وعداً حتى تعرف الحاجة وحدود قدرتك. وراجع أثر التجربة بما خفّ من مشقة أو زاد من قدرة عنده، لا بعدد من علموا بما فعلت. وقد تكون النتيجة النافعة أن تثبت أن اقتراحك لا يناسبه، فتدع له حرية اختيار غيره.

إذا كنت تعمل مع الناس وتضيق بنجاحهم

سبق نص الخبر كاملاً في «مكان يتسع لنفع القرن». وهنا نحتفظ بدلالته التطبيقية: في مجلس غاب عنه ابن المبارك، جرى ذكر من يسوي العلم بين الناس، وذكر اسمه. نقل الحسن بن عيسى إليه الحديث، لكنه لم يصرح له بأنه الرجل الذي سمّاه القوم. قال الحسن: «فكأنه فطن»، ثم روى جوابه: «أفلا قالوا فضيل بن عياض؟». بقي في الجواب اسم رجل آخر أعاد الانتباه إليه.¹⁹⁰ قد تحتاج إلى هذا الباب إذا كنت تخشى أن يقل قدرك حين يظهر فضل زميل، أو إذا اعتدت أن تحكي نجاح العمل من

١٩٠ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (١١٢).

الموضع الذي كنت أنت فيه وحده. ومن الممكن أن تبدأ بإصلاح طريقة وصفك للعمل قبل أن تنتظر زوال كل ما في نفسك من منافسة.

اختر عملاً شاركت فيه مؤخراً. اكتب من جهّز مادته، ومن راجع، ومن علّمك خطوة، ومن تحمل عملاً لم يره الآخرون. ثم انظر إلى وصفك السابق: هل بقيت مساهماتهم واضحة؟ عند أول موضع مناسب، انسب لكل شخص عمله المحدد بصدق، وبما يوافق رغبته في ذكر اسمه. وإذا كنت قد أخذت فضلاً ليس لك، فصحح نسبته في الموضع الذي وقع فيه الخلط.

ولا تجعل إنصاف الآخرين محواً لعملك أو قبولاً بسلب حقك. تستطيع أن تقول ما أنجزته، وتبين ما أنجزه غيرك في الجملة نفسها. وإذا كنت تقود عملاً، فاحص توزيع الفرص أيضاً: هل تتيح لمن أسهم أن يشرح ما صنع، أم تشكره ثم تبقي ظهوره كله من خلالك؟

أول فعل: في حديثك التالي عن عمل مشترك، أضف مساهمة حقيقية لشخص غاب اسمه عن الوصف. ثم اسأله، إذا ناسبت العلاقة، هل عبرت عن دوره بدقة. ويتبين أثر هذه الخطوة في وضوح الحقوق وتوزيع العمل، وفي قدرتك أنت على رؤية الفضل دون أن تحسب كل فضل لغيرك خسارة لك. ذلك تمرين معاصر

مستلهم من موقف، وليس حكماً على سريرة ابن المبارك أو على سريرتك.

حين تكون حاجتك إلى معلم أكبر من حاجتك إلى درس

قد تملك مصادر مناسبة، وتعرف موضع السؤال، ثم تبقى عاجزاً عن رؤية الخطأ في أدائك. هنا تكون حاجتك إلى شخص يلاحظ ما تفعل، لا إلى مادة جديدة تضيفها إلى ما عندك. تستضيء هذه التجربة بخبر القراءة على المعلم ورقة الأسئلة، وقد سبقت درجتهم؛ أما صورتها التالية فمن اقتراح الكاتب للحاضر.

ابداً بتعيين العمل الذي تستطيع عرضه. إذا كنت تتعلم الكتابة، فاعرض فقرة كتبتها. وإذا كنت تتعلم حرفة، فاعرض جزءاً آمناً من العمل يسمح صاحب المكان بمراجعته. وإذا كان سؤالك علمياً، فاكتب كيف فهمت المسألة وأين توقفت. لا تطلب من المعلم أن يخمن مستوى فهمك من عبارة «لم أفهم شيئاً» بينما تستطيع أن تريه محاولة محددة.

ثم اختر نوع المساعدة. قد تريد شرحاً، وقد تريد تصحيحاً، وقد تريد أن يشاهدك وأنت تعمل. يختلف المطلوب في الحالات الثلاث. الشرح يبين فكرة، والتصحيح يراجع نتيجة، والمشاهدة قد تكشف خطأ يقع أثناء التنفيذ ولا يظهر في النتيجة وحدها.

وضوح الطلب يحفظ وقت الطرفين ويقلل احتمال أن يقدمًا جهداً
لا يعالج أصل المشكلة.

لا تجعل شهرة المعلم هي معيارك الوحيد. اسأل: هل يتقن هذا
الجزء؟ هل يستطيع تفسيره لمن في مستواي؟ وهل يملك الوقت
ويرضى بالمساعدة؟ قد يكون الأقرب إلى حاجتك زميلاً أتقن
مهمة محددة، مع بقاء مسائل أخرى تحتاج إلى متخصص. معرفة
هذا الحد تحميك من رفع شخص واحد إلى منزلة المرجع في كل
شيء.

مثال افتراضي: عمر يتعلم إعداد جداول مناوبات لفريق صغير.
يعرف كيف يكتب الأسماء والمواعيد، لكنه لا ينتبه إلى تعارض
تكليف شخصين لهما المهمة نفسها في الوقت نفسه. جمع دروساً
كثيرة عن الجداول، ولم ينكشف له الخطأ؛ لأن المسألة ليست في
شكل الجدول بل في فهم القيد التشغيلي.

أعد عمر مثلاً تدريباً بأسماء مستعارة، ثم طلب من زميل ذي
خبرة أن يراجع تعارضاً واحداً. لم يرسل إليه بيانات الموظفين
الخاصة، ولم يطلب منه أداء العمل كله. عندما سأله الزميل عن
يغطي الاستراحة، أدرك أن الخلل سابق على ملء الخانات. عاد
إلى وصف ما يلزم تغطيته، ثم أعاد الجدول. صار لديه سؤال
أدق، لا مجرد جدول أجمل.

وفي التجربة الثانية ترك الزميل له مهمة اكتشاف التعارض بنفسه. لم ينجح عمر في كل المواضيع، لكنه استطاع أن يشرح قاعدة الفحص وأن يجد خطأ لم يكن يراه. هذا تحسن يمكن ملاحظته. أما القول إنه صار قادراً على إدارة جميع المناوبات فلا تدعمه محاولة واحدة، ولا حاجة إلى هذا الادعاء كي تكون التجربة نافعة.

قد نتعثر التجربة لأن المعلم يصحح بسرعة دون تفسير، أو لأن المتعلم يطلب تفسير كل شيء دفعة واحدة. عالج السبب قبل تغيير الشخص. اتفقا على جزء أصغر، واطلب مثلاً واحداً، ثم أعدّه بكلامك. وإذا لم تناسبك الطريقة بعد محاولة معقولة، فانتقل إلى مورد آخر دون تحويل اختلاف الأسلوب إلى انتقاص من صاحبه.

ومن حقوق المعلم أن يعرف حدود التزامه. لا يتحول قبوله بسؤال إلى استدعاء دائم في كل وقت. ومن حقوق المتعلم أن يقول إن الشرح لم يتضح له، وأن يعتذر عن طريقة لا تناسب حاجته. العلاقة المفيدة لا تقوم على إظهار الفهم مجاملةً، ولا على اعتبار كل سؤال جديد إثباتاً لتقصير المعلم.

بطاقة البداية: حدد عملاً واحداً تستطيع عرضه، وسؤالاً واحداً تريد فحصه، وشخصاً مناسباً يمكنك طلب عشر دقائق من وقته أو

موعد يختاره. احتفظ بمحاولتك قبل المساعدة وبعدها. وفي المراجعة
اسأل: ما الخطأ الذي صرت أراه بنفسى؟ وما الذي لا يزال
يحتاج إلى توجيه؟ إذا بقي اعتمادك كاملاً، فصغر المهمة بدل أن
تكرر طلب النتيجة جاهزة.

كيف تصحح خبراً سبقك إلى الناس

التثبت قبل الكلام أيسر من إصلاح كلام انتشر. لكن من فائته
الخطوة الأولى لا يفقد فرصة العمل. وقد مر بنا في السيرة أن
التعقيب المصحح قد يصل مع الحكاية نفسها، وأن حفظه يغير ما
يفهمه القارئ. التجربة هنا معاصرة: كيف تجعل المعلومة الجديدة
تصل إلى موضع أثر المعلومة القديمة؟

ابدأ من العبارة التي تحتاج إلى تصحيح، لا من الدفاع عن
صورتك. اكتب ما قلته كما بلغ الناس، ثم اكتب ما تبين لك
الآن، والقدر الذي لا تزال تجهله. قد يكون الخطأ في اسم
شخص، أو في سبب حدث، أو في نسبة فعل إلى طرف لم يفعله.
تحديد الخطأ يمنع الاعتذار العام من أن يترك الفهم الخاطئ قائماً.

ثم انظر إلى دائرة الوصول. من سمع منك مباشرة؟ وأين كتبت
العبارة؟ ومن اتخذ قراراً بناء عليها؟ لا يلزم أن تجمع قائمة واسعة
بأسماء الناس؛ المقصود أن تعرف المواضع التي تستطيع إصلاحها
دون نشر الخطأ على جمهور جديد. قد يكفي تصحيح في المحادثة

نفسها، وقد يحتاج الأمر إلى تعديل مستند، وقد يلزم إبلاغ شخص بعينه لأن قراره تأثر.

مثال افتراضي: كتبت هناء في مجموعة عمل أن تأخر تسليم ملف سببه عدم إرسال زميلها البيانات. ثم تبين أن الزميل أرسلها إلى العنوان الذي أعطي له، وأن الخلل وقع في توزيع الرسالة داخل الفريق. أمامها الآن أكثر من فعل: حذف كلامها، أو الاعتذار دون تفصيل، أو تصحيح نسبة السبب.

اختارت أن تكتب في الموضع نفسه: «صححت المعلومة: البيانات أرسلت في الموعد إلى العنوان المعتمد، والتأخر وقع في إحالتها داخل الفريق. نسيتي السابقة للتأخر إلى فلان غير صحيحة». هذه صياغة افتراضية توضح الفرق بين تصحيح الواقعة وبين الاكتفاء بقول «حصل سوء فهم». لا تحتاج إلى كشف رسائل خاصة أو نقل لوم شامل إلى شخص آخر كي ترفع النسبة الخاطئة.

بعد ذلك عدلت سجل المتابعة الذي كان يكرر السبب، وأبلغت صاحب القرار الذي قرأ النسخة الأولى. لم تطلب من زميلها أن يشهد بأنها حسنة النية، ولم تجعل قبول الاعتذار شرطاً لإصلاح السجل. حقه في دقة ما ينسب إليه قائم، سواء زال ضيقه فوراً أم احتاج إلى وقت.

وقد يكون التصحيح جزئياً. ربما يثبت أن السبب الذي ذكرته غير صحيح، ولا تعرف السبب الكامل بعد. عندئذ قل ما ثبت: «لا يصح إسناد التأخر إلى عدم الإرسال؛ السبب الآخر لا يزال قيد التحقق». لا تستبدل قصة غير مؤكدة بأخرى حتى يبدو الموقف مغلقاً. أحياناً يكون أصدق تصحيح أن تسحب تفسيرك وتبقي الواقعة بلا تعليل نهائي.

وقس الأثر بما تغير في الفهم أو الإجراء، لا بما تلقيته من عبارات تسامح. هل صحح المستند؟ هل وصل البيان إلى من اتخذ قراراً؟ هل توقفت عن استعمال العبارة الخاطئة؟ قد لا تستطيع محو كل أثر، لكنك تستطيع ألا تستمر في إنتاجه. وإذا ترتب على الخطأ حق أو ضرر يتجاوز قدرتك، فارجع إلى الجهة المختصة به؛ لا تجعل هذه البطاقة بديلاً من معالجة ما يلزم في واقعه.

إذا خشيت أن يضعف التصحيح مكاتك، فاختر هذا الخوف بسؤال أبسط: أي معرفة تريد للناس أن يبنوا عليها؟ لا يلزم أن تخفي المشاعر الصعبة قبل أن تؤدي العمل. تستطيع أن تشعر بالحرَج وأن تكتب تصحيحاً واضحاً في الوقت نفسه. الفرق بين القدرة على الفعل والراحة أثناء مهم في كل مراجعة للذات. بطاقة البداية: اختر معلومة واحدة أخطأت في نقلها، وحدد موضع وصولها، واكتب تصحيحاً يبين الخطأ والمعلومة البديلة

وحدودها. نفذه في أضيق دائرة تكفي لإصلاح الأثر. راجع بعد ذلك هل بقي مستند أو شخص يعتمد النسخة القديمة. لا تحول المراجعة إلى تتبع دائم للناس؛ قف عند نطاق مسؤوليتك وما يمكنك التحقق منه.

مورد صغير يزيل عائقاً محدداً

قد تعرض مساعدة كثيرة ولا تصل إلى موضع الحاجة. السبب أحياناً أن المورد اختير قبل فهم العائق. نتذكر هنا السؤال الذي فتحه تعليل إعانة أهل العلم في السيرة، مع بقاء درجة خبره كما بينت الحاشية. لا نعتمد الرواية وحدها لإثبات فاعلية الاقتراح التالي؛ إنما نجرب في الحاضر علاقة واضحة بين عائق معلوم وعون محدود.

أبدأ بوصف ما يريد المستفيد إنجازه، وما الذي يوقفه الآن. «يحتاج إلى دعم» عبارة واسعة. أما «لا يستطيع حضور الموعد لأن وسيلة الانتقال غير متاحة»، أو «لا يعرف كيف يرسل الملف»، أو «ينقصه مكان هادئ لساعة اتفق عليها»، فحاجات يمكن بحث ملاءمة العون لها. لا نتولَّ تعريف حاجة شخص دون أن نسمع منه متى كان قادراً على البيان.

اسأل عن الحلول الموجودة قبل إضافة حل جديد. قد تكون لديه طريقة أنسب تحتاج إلى خطوة صغيرة، وقد يكون ما تعرضه سيزيد

عليه عبثاً: موعد إضافي، أو التزاماً بالنقل، أو كشفاً لمعلوماته.
المساعدة التي تبدو سخية من جهة المعطي قد تكون صعبة
الاستعمال من جهة المتلقي.

مثال افتراضي: أرادت مجموعة أصدقاء أن تساعد طالباً في إعداد
عرض دراسي. اقترح بعضهم شراء دورة طويلة له. وبعد سؤاله
ظهر أنه يعرف المادة، لكنه لا يملك من يقرأ المسودة ويبين أين
ينقطع تسلسلها. اتفق معه شخص واحد على مراجعة قصيرة،
واستعمل مثلاً لا يتضمن بيانات خاصة. بقي مال الدورة في
مكانه؛ لأن العائق لم يكن نقص المحتوى.

قرأ المراجع العرض، وحدد فقرتين تحتاجان إلى وصل أوضح. ثم
ترك للطالب إعادة الصياغة. لو أعاد كتابة العرض كله بدلاً منه،
لحصل الطالب على نتيجة أسرع، لكنه ربما لم يتعلم موضع الخلل.
لذلك اتفقا من البداية على نوع العون: مراجعة وتمارين، لا تسليم
عمل جاهز ينسبه الطالب إلى نفسه.

وفي مراجعة ثانية ظهر أن الطالب لم ينفذ الملاحظات. لم يستنتج
المراجع فوراً أنه غير جاد. سأله عن السبب، فبين أن عبارة
«الانتقال غير واضح» نفسها لم تكن واضحة له. احتاج إلى مثال على
جملة تصل الحجة بما بعدها. تغير شكل المساعدة من ملاحظة عامة
إلى تفسير صغير، ثم عاد العمل إلى صاحبه.

لا تنجح كل تجربة بهذا الشكل. ربما يتغير موعد الطالب، أو يقرر أنه لا يريد المساعدة، أو يتبين أن المهمة تتطلب خبرة لا يملكها المتطوع. ضع مخرجاً محترماً من البداية: يمكن إيقاف التجربة، أو إحالتها إلى شخص آخر بعد الإذن، أو تقليل الجزء الذي ستتناوله. لا تجعل وعداً حسناً التزاماً مفتوحاً لا يعرف الطرفان حدوده.

وحين يكون المورد مאלأ، يبقى السؤال نفسه: ما الجزء الذي سيزيله؟ لا يلزم أن يملك المستفيد خطة طويلة تبرر إنسانيته أو استحقاقه لكل عون؛ فقد تكون الحاجة عاجلة ومباشرة. لكن إذا كان العرض متعلقاً بهدف محدد، فوضوحه يحمي الطرفين من توقعات لم يتفقا عليها. لا تجعل هديتك قرضاً مستتراً في الطاعة أو الشكر أو الظهور الإعلامي.

من حق المستفيد أن يحفظ خصوصيته وأن يرفض تصويره أو نشر قصته. ومن حق المعطي أن يحدد ما يستطيع وأن يمتنع عن وعد لا يقدر عليه. وإذا كان المال أو الوقت مشتركاً مع غيرك، فلا نتصرف فيه كأنه مورد شخصي خالص. استأذن من يملك الحق، وحدد كيف سينتهي الالتزام إن تعذر استمراره.

بطاقة البداية: اسأل شخصاً واحداً عن عائق واحد، واعرض مورداً يناسبه بعد موافقته، واتفقا على علامة تدل على اكتمال العون. في المراجعة افصل ما قدمته عما تغير عنده. قد تنفذ وعدك كاملاً

ولا تزول المشكلة؛ هذه نتيجة تدعو إلى فهم جديد، ولا تمنحك حق لومه على أن حياته لم تطابق خطتك.

عمل مشترك لا يقوم على ذاكرة شخص واحد

في تاريخ الكتب الذي مر بنا، لم يكن وجود مادة جيدة كافياً لبقائها. احتاجت إلى من يحملها ويضبط نسبتها ويعرف ما يدخل فيها وما يخرج عنها. ويمكن لقارئ يقود عملاً صغيراً أن يستفيد من هذا المعنى في سؤال عملي: ماذا يحدث للعمل إذا غاب الشخص الذي يعرف تفاصيله؟ هذه صلة في السؤال، وليست نسبة نظام إداري حديث إلى ابن المبارك.

اختر عملاً يتكرر في محيطك: إعداد نشرة، أو تنظيم لقاء، أو حفظ ملفات، أو تجهيز مادة تعليمية. لا تبدأ بمشروع ضخم لتطبيق الفكرة. اكتب النتيجة التي يحتاج إليها المستفيد، ثم حدد ما لا يستطيع غير المنفذ الحالي معرفته من الملفات المتاحة. قد تكون المشكلة في اسم النسخة الصحيحة، أو في مكان بيانات التواصل، أو في ترتيب إجراء لم يكتب.

مثال افتراضي: يتولى نادر تنظيم لقاء قراءة شهري. يرسل الدعوات ويجمع الأسئلة ويحجز الموضوع، لكن التفاصيل كلها في هاتفه. عندما اعتذر مرة، بقي زملاؤه يعرفون عنوان اللقاء ولا يعرفون ما اتفق عليه مع المكان أو أي نسخة من المادة أرسلت إلى

المشاركين. لم يكن النقص في الحماسة؛ كان في المعلومات اللازمة لاستمرار العمل.

اقترح الفريق ورقة تسليم من صفحة واحدة. كتبوا فيها الموعد، والنسخة المعتمدة من المادة، والالتزامات التي قطعت للناس، ومن يملك كل قرار، وما لم يحسم بعد. لم ينقلوا جميع المحادثات إلى ملف عام؛ احتفظوا بالقدر اللازم وأبقوا المعلومات الشخصية في نطاق أصحابها. المهم أن يستطيع البديل أداء المهمة، لا أن يرى كل ما في هاتف المنظم.

ثم اختبروا الورقة باختبار بسيط: تولى شخص آخر تجهيز اللقاء التالي اعتماداً عليها، وسجل ما اضطر إلى السؤال عنه. ظهر نقص في معرفة من يفتح القاعة، وغموض في آخر موعد لتغيير المادة. صححوا هذين الموضعين. لم يكتبوا دليلاً من خمسين صفحة ليظهر العمل محترفاً؛ كتبوا ما أثبت الاختبار أن غيابه يعطل الأداء. ولحفظ نسبة الجهد، ميزوا بين من أعد المادة ومن راجعها ومن نظم اللقاء. إذا ظهر خطأ، عادوا إلى موضعه دون إسناد جميع الأخطاء إلى آخر من أرسل الملف. وإذا جاء الثناء، لم يخفف من عملوا قبل الإرسال. لا تحتاج كل مساهمة إلى إعلان عام، لكن يحتاج الفريق إلى ألا يبني قراراته على صورة خاطئة لمن قام بالعمل.

قد تُتعثر التجربة إذا رأى المنفذ القديم أن التوثيق يقلل من أهميته، أو إذا استعمل البديل الورقة ذريعة إلى عدم السؤال عما لم يفهم. لا يعالج ذلك باتهام النيات. بينوا الغرض: تقليل اعتماد المهمة على حضور شخص بعينه، وحفظ التزام الناس عند غيابه. وأبقوا للخبرة مكانها؛ فالورقة لا تعوض جميع ما يعرفه صاحب العمل، لكنها تجعل انتقاله ممكناً بقدر أفضل.

وهناك حد ينبغي حفظه: لا تكتب أسراراً أو كلمات مرور في ورقة مشتركة، ولا تنقل صلاحية لا تملكها. قد يكفي أن تكتب اسم الجهة التي تطلب منها الصلاحية. التيسير لا يبرر إسقاط حقوق الوصول، كما لا يبرر جمع معلومات لا تحتاجها المهمة. بطاقة البداية: اختر مهمة متكررة، واكتب نسخة صحيحة واحدة لما يحتاجه من يتولاها بعدك: المطلوب، الموعد، والملفات، والالتزامات، والقرار المفتوح. اطلب من شخص مأذون له أن يجربها في نطاق صغير. قس عدد الأسئلة الضرورية التي كشفت نقصاً، ثم أصلح الورقة. النجاح أن يستطيع العمل أن يستمر مع حفظ الحقوق، لا أن يصبح صاحب الخبرة غير لازم في كل شيء.

مثال معاصر اقتراضي — تجربة نتابعها حتى نتعثر

لنجعل الخطوات أقرب إلى البيت. هذه الحالة اقتراضية بالكامل؛ أنشئت لشرح التطبيق، ولا تصف شخصاً حقيقياً أو نتيجة مضمونة.

كان عمر ينجز لوالده ما يحتاجه في الهاتف بسرعة: يفتح الموعد، ويختار التنبيه، ثم يعيد إليه الجهاز. لكنه انتبه إلى أن الطلب نفسه يعود في كل مرة. كان يفرح بأنه ساعد، بينما بقي والده محتاجاً إليه عند الخطوة التي ظن أنه انتهى منها.

اختار عمر حاجة واحدة وافق والده على تعلمها: إضافة موعد عائلي إلى التقويم وتغيير وقت التنبيه. لم يبدأ بتعليمه الهاتف كله، ولم يجعل التجربة امتحاناً لذاكرته. سأل أولاً عن الوقت الذي يناسبه، وعن الطريقة التي يفضلها: شرح مسموع أم خطوات مكتوبة أمامه. اختار الأب كتابة مختصرة يستطيع الرجوع إليها.

استوقف عمر في السيرة الطالب الذي يحمل رقعته وأسئلته؛ فأخذ من الواقعة معنى الاستعداد بسؤال محدد. كان سؤاله المعاصر: عند أي خطوة يتوقف والدي؟ وضعاً موعداً تجريبياً لا يتضمن معلومات خاصة، ثم ترك عمر الهاتف في يد أبيه. لأول مرة رأى أن موضع التعثر ليس ما كان يظن؛ كان أبوه يصل إلى صفحة الموعد، لكنه لا يميز بين وقت بدايته ووقت التنبيه.

لم يحتاج عمر إلى دورة جديدة أو جهاز آخر. احتاج إلى أن يتعلم الشرح ببطء وأن يحذف من ورقته الخطوات التي يعرفها أبوه. كتباً معاً عبارتين واضحتين، ثم جرباً موعداً ثانياً مختلفاً. استطاع الأب هذه المرة إتمام الإضافة، لكنه لم يجد طريق تعديلها. ظهرت حاجة صغيرة جديدة، ولم يعاملها عمر كدليل على فشل المحاولة كلها.

في الأسبوع التالي انشغل عمر عن وقت كان قد اقترحه. وكان من السهل أن يقول إن والده يستطيع انتظاره لأنه يساعده. لكنه اعتذر وحدد معه بديلاً مناسباً، بدل أن يتركه ينتظر كل مساء. اتفقا أن يقتصر اللقاء التالي على تعديل موعد واحد، وأن يتوقفا إذا شعر الأب بالتعب أو لم يرغب في المتابعة.

تعثر عمر نفسه في إحدى الخطوات بعد تغيير واجهة التطبيق. لم يغطّ جهله بالسرعة أو يأخذ الهاتف لينجز المهمة خفية. قال إنه يحتاج إلى التأكد، ثم رجع إلى شرح التطبيق مع والده. بقيت كلمات المرور خارج الورقة، ولم يصور بياناته ليرسلها إلى مجموعة يطلب منها المساعدة. كان يكفي أن يصف الجزء الذي لم يفهمه دون كشف شيء يخص أباه.

عند المراجعة لم يحسب عمر عدد الدقائق التي شرح فيها. طلب من والده، إذا رغب، تجربة موعد جديد مع إبقاء الورقة بجانبه.

استطاع الأب الإضافة وتغيير التنبيه، واحتاج إلى سؤال واحد عند التعديل. سجلا الخطوة الناقصة وحسنا عبارتها. لم يصبح الأب خبيراً بالهاتف، ولم يصبح عمر معلماً لكل أحد؛ انتبها إلى قدرة محددة وزال بعض الاعتماد المتكرر في هذه المهمة.

وكان للنجاح وجه لا يظهر في شاشة التقييم: عرف عمر أن إنجاز الأمر بدل صاحبه لا يساوي دائماً تمكينه منه. وتعلم أن المساعدة التي يختارها المستفيد، ويحتفظ فيها بوقته وكرامته، تحتاج إلى صبر أكثر من حركة يد سريعة. لو لم يرغب الأب في التعلم أصلاً، لكان البديل المقبول اتفاقاً على مساعدة محدودة، لا تحويل رفضه إلى تهمة.

هذه نهاية التجربة المفترضة، وليست وعداً بأن تسير تجربتك مثلاً. تستطيع أن تبدأ بمحاجتك أنت: شخص موافق، ومهمة واحدة، ومورد متاح، ومحاولة تكشف موضع التعثر، ثم سؤال صادق عما استطاع فعله بعد المساعدة.

حين يتزاحم الخير مع حق قريب

ليس كل تعثر في العطاء سببه بخلاً أو ضعف إرادة. قد يتسع الوعد حتى يأخذ وقتاً التزمت به لغيره، أو مورداً يحتاجه عمل قائم. في فصل المال بقي حق العيال ظاهراً في الحكاية المنقولة، مع التحفظ على طريقها. أما التجربة التالية فتقوم على فحص حقوق

واقعية تعرفها أنت، ولا تتوقف مشروعيتها على ثبوت تفاصيل تلك الحكاية.

اكتب الالتزام الجديد كما سيقع، لا كما يبدو في لحظة الحماسة. ساعة اللقاء قد تحتاج إلى انتقال واستعداد ومتابعة. والمساعدة التي تبدأ مرة واحدة قد تجعل الآخري يعتمد عليك في المرات التالية. لا تضيف هذه الكلف لتمنع نفسك من كل خير؛ أضفها كي تعرف ما تعرضه فعلاً وما تستطيع الوفاء به.

ثم اسأل عمن سيدفع الكلفة إذا لم تتسع قدرتك. هل سيتأخر عمل أو تمت عليه؟ هل سيتولى قريب مهمة كنت قد التزمت بها دون اتفاق؟ هل ستؤجل موعداً يحتاجه شخص آخر؟ ليس المقصود تحويل كل دقيقة إلى حساب جاف، بل إظهار الحق الذي قد يختفي خلف جمال الفكرة الجديدة.

مثال افتراضي: وافقت مريم على المساعدة في مراجعة مواد لمجموعة قراءة. حسبت أن العمل سيأخذ مساءً واحداً، ثم صار يملاً ثلاثة أمسيات بسبب وصول الملفات متأخرة واختلاف صيغها. بدأت تؤجل التزاماً عائلياً سبق أن اتفقت عليه. لم تعد المشكلة في قيمة القراءة، بل في صورة الالتزام الذي لم يحدد. راجعت مريم المجموعة، وحددت قدرًا تستطيع تقديمه: ملف واحد يصل قبل موعد معلوم، ومراجعة لغوية محدودة، دون تولي

إعداد المادة من الصفر. وإذا لم يصل الملف في الوقت المتفق عليه،
تؤجل المراجعة أو يتولاها شخص آخر. لم تعرض هذا التعديل
عقوبة للناس، ولم تنسب إليهم استغلالاً بلا دليل؛ شرحت قدرة
تستطيع حفظها.

في الأسبوع الأول بعد التعديل وصل ملفان. اختارت أحدهما
وفق الاتفاق، واعتذرت عن الآخر مبكراً. كان الاعتذار أصعب
عليها من العمل ساعات إضافية، لأنها خافت أن يبدو اهتمامها
أقل. لكن وضوح الحد أتاح للمجموعة البحث عن بديل قبل
فوات الموعد، وأتاح لها الوفاء بما سبق. هكذا يكون تقليل الوعد
أحياناً زيادة في صدقه.

ليس المطلوب أن تستأذن كل من حولك في كل عمل، ولا أن
تجعل اعتراضاً عابراً مانعاً دائماً. المطلوب معرفة موضع الحق
المشترك، ثم الاتفاق عليه بقدر العلاقة. قد يكون الوقت ملكك في
جانب، وتبقى له آثار على التزاماتك في جانب آخر. وإذا كان
النزاع على حق لا تحسن تقديره، فاطلب مشورة مناسبة بدل
تحويل بطاقة تنظيمية إلى حكم ملزم.

وإذا فاتك الوفاء، فابدأ بإصلاح أثر الفوات. أخبر من ينتظر بما
تستطيع الآن، ولا تستبدل الوعد القديم بوعد أكبر تعويضاً عن
الحرج. قد تكون الخطوة الصحيحة تسليم ما أنجز، أو الاعتذار عن

الباقى، أو توفير وصف يستطيع البديل أن يبدأ منه. تبقى مسؤوليتك عن الوعد مختلفة عن قدرتك على تنفيذ كل ما تخيلته أول مرة.

بطاقة البداية: قبل التزام جديد، اكتب كلفته الكاملة وأصحاب الحقوق المتأثرين به وحده الأعلى وموعد مراجعته. ابدأ بما تستطيع الوفاء به مرتين أو ثلاثاً، ثم وسعه إن أثبت الواقع اتساعه. علامة التحسن أن يقل الانتظار المبهم عند الآخرين، وأن تصير اعتذاراتك مبكرة وواضحة، لا أن تخلو حياتك من كل تعارض.

حين لا تصلح القدوة كلها لك

قد تنتهي من السيرة وقد أحبت اتساع حياة ابن المبارك، ثم تحاول أن تجمع لنفسك العلم والتجارة والسفر والعطاء في وقت واحد. لكن الإعجاب باتساع حياة تاريخية لا يثبت أن جمع صورها هو أنفع اختيار لكل قارئ. تختلف حاجتك ومرحلتك وما يتاح لك، كما أن بعض ما أعجبك بقيت نسبته محتملة أو تفاصيله ناقصة.

افصل بين قيمة تريدها وصورة تاريخية حملتها. قد تريد دقة السؤال، وليس لازماً أن تسافر كما سافر طالب في القرن الثاني. وقد تريد أن يستفيد غيرك من مورد عندك، ولا يلزم أن تتخذ مهنة التجارة. وقد تريد حفظ العمل بعدك، ولا يلزم أن تؤلف كتاباً.

عندما تثبتين القيمة تستطيع أن تبحث عن وسيلة صالحة لواقعك، بدل أن تستنسخ مظهراً لا تؤدي به الغرض.

اجعل اختيارك محددًا بثلاثة أسئلة: ما الواقعة التي أستاذ إليها، وما درجتها؟ ما الوجه الذي أفهمه منها؟ وما الذي تغير بين عالمها وعالمي؟ لا تحتاج إلى بحث تاريخي كامل لتجيب عن هذه الأسئلة في حدود الحواشي التي قرأتها؛ تحتاج إلى ألا تحذف القيد الذي يغير الاستفادة. وإذا كانت الواقعة ضعيفة، فلا تجعلها وحدها أساس التزام كبير.

مثال افتراضي: أعجب سامر برحلات العلماء، فقرر أن يسافر لحضور لقاءات كثيرة، مع أنه بدأ تعلم علم يحتاج فيه إلى أصول منتظمة. بعد أن سمى حاجته، وجد أنه لا ينقصه لقاء جديد بقدر ما ينقصه فهم كتاب يدرسه مع معلم متاح في بلده. اختار أن يؤجل السفر وأن يجعل أسئلته أدق في الدرس القائم. تغيرت الوسيلة، وبقي غرض التعلم.

وقد تكون حاجتك خارج ما تفصله هذه السيرة أصلاً. لا تقدم أخبار ابن المبارك نظاماً كاملاً لتربية الأطفال أو إدارة مؤسسة معاصرة أو علاج مرض. تستطيع أن تنتفع بدقة النقل أو حفظ الحقوق، ثم ترجع في الاختصاص إلى أهله ومصادره. لا يخسر

صاحب السيرة مكانته لأنك احتجت إلى غيره؛ تعدد أبواب الحياة أكبر من أن يحمله كتاب واحد.

إذا أردت بناء صحبة مع أكثر من قدوة، فاجعل لكل واحدة وظيفة واضحة. من تتعلم منه الصبر في البحث قد لا يكون المصدر الأنسب لتنظيم مالك. ومن يعجبك حسن بيانه قد تحتاج إلى فحص خبره في باب آخر. لا تكتب قائمة طويلة من الأسماء لتعوض غياب العمل؛ اختر جانباً واحداً، وارجع إلى فعل أو نص معلوم، ثم اختبر ما صنعت أنت.

ومن حَقَّ أن تتوقف أمام فعل منقول فلا تختاره لنفسك. مر بنا فصل الاختبارات بما فيه من شدة أو اختلاف أو روايات لا تحسم. القراءة الناضجة لا تلزمك بالدفاع عن كل خبر، ولا تمنحك حق إسقاط الرجل كله لأنك لم تستحسن صورة. تستطيع أن تقرر أن الاقتداء في هذه الجزئية يحتاج إلى دليل أو فهم لا تملكه، ثم تواصل الانتفاع بما اتضح.

بطاقة البداية: اكتب «أريد أن أتعلم من هذه السيرة...» وأكملها بفعل محدد لا يلقب. أضف إحالة إلى موضعه ودرجة خبره، ثم اكتب الوسيلة التي تناسبك اليوم وما تحتاج فيه إلى مرجع آخر. راجع بعد تجربة قصيرة: هل اخترت فعلاً نافعا، أم كنت تقلد

صورة تحبها؟ إذا لم تناسب الوسيلة واقعك، فغيرها مع حفظ الغرض والحقوق.

حين يكون التوقف نتيجة نافعة

ليس الاستمرار اسماً آخر للنجاح. قد تبدأ تجربة ثم يتبين أن حاجتها غير موجودة، أو أن وسيلةها مكلفة، أو أن شخصاً آخر يؤديها على نحو أنفع. استمرارك عندئذ قد يحفظ صورتك عن نفسك أكثر مما يحفظ منفعة العمل. ومن صحة الأخبار المحدودة نتعلم أن النتيجة ينبغي أن تبقى بحجم دليلها؛ لا يلزم أن تنتهي كل محاولة بانتصار.

ضع من البداية علامة تدعوك إلى المراجعة. قد تكون تكرر التأخير، أو عدم استعمال المستفيد لما أعددت، أو انتقال حاجته إلى أمر آخر، أو ظهور تعارض مع حق قائم. العلامة لا تصدر الحكم وحدها؛ إنها تنبهك إلى سؤال الواقع بدل أن تدفعك الحماسة إلى مزيد من العمل في الاتجاه نفسه.

مثال افتراضي: بدأ خالد إرسال ملخص أسبوعي لأصدقائه عن موضوع يقرؤونه معاً. بعد أسابيع لم يعد أحد يستخدم الملخص، لكنهم ظلوا يشكرونه. لو قاس نجاحه بعدد عبارات الشكر لاستمر. وحين سألهم عن الاستعمال الفعلي، تبين أن الملخص يصل بعد اجتماعهم وأنهم يحتاجون قبله إلى سؤالين للنقاش، لا إلى عرض طويل بعده.

جرب خالد تغيير التوقيت والحجم. أرسل سؤاليين قبل اللقاء ومصدرًا قصيرًا يمكن الرجوع إليه. استفاد بعضهم، واعتذر آخرون لأن موضوع القراءة تغير. عندئذ أنهى النشرة القديمة وسلم ما جمعه لمن أراد الرجوع إليه. لم يحتج إلى إعلان فشل كبير؛ احتاج إلى اعتراف بأن الخدمة بصورتها الأولى لم تعد تلائم الحاجة.

وفي تجربة أخرى قد لا يكفي التعديل. إذا كان العمل يستنزف موردًا لا تملكه، أو يطلب منك قولًا فيما لا تعرف، أو يتوقف على كشف خصوصية لا يرضى صاحبها بكشفها، فالتوقف يحفظ ما لا يحفظه الإصرار. تستطيع أن تشرح الحد وأن تقترح بديلًا حين تعرفه، دون اختراع بديل لمجرد ألا يبدو جوابك قصيرًا.

احفظ عند التوقف ما يحتاجه الآخرون: أخبرهم قبل الموعد ما استطعت، وسلم ما اتفق على تسليمه، وبين ما لم ينجز. لا تحتف لأن التجربة لم تسر كما أردت. الإنهاء المنظم جزء من الوفاء، وقد يكون أكثر نفعًا من استمرار شكلي يترك الناس ينتظرون نتيجة لا تأتي.

بطاقة البداية: اختر تجربة قائمة، واكتب ما الذي يدل على نفعها فعلًا وما الذي يدل على كلفتها. عين خيارًا من ثلاثة: الاستمرار كما هي، أو تعديل محدد، أو إنهاء مع تسليم ما يلزم. لا تجعل القرار

حكماً على قيمتك؛ هو حكم على ملاءمة فعل معين في وقت معين، ويمكن أن نتعلم منه دون أن تختصر نفسك فيه.

أعط التجربة وقتاً، ثم اسألها عما صنعت

يمكن أن تجرب مسارك خلال أربعة أسابيع، أو خلال مدة أقصر أو أطول تلائمك. المدة هنا لتنظيم المراجعة، وليست وعداً بأن عادة ستثبت أو حياة ستتغير عند نهايتها.

في البداية نفذ أصغر محاولة تكشف لك الواقع. ثم كررها بقدر تستطيع احتماله، واطلب ملاحظة ممن يتأثر بها إذا قبل ذلك. وفي الموعد الذي حددته، ضع أمامك ما حدث لا ما نويته. قد تكفي ورقة واحدة تجيب فيها عن الأسئلة التالية:

ما الفعل الذي نفذته؟ وما الذي بقي وعداً؟

ما الفرق الذي أستطيع وصفه في نفسي أو عملي؟

ماذا قال الشخص الذي أردت نفعه؟ وهل ما قدمته هو ما احتاج إليه؟

ما الكلفة التي لم أحسبها، وهل ضاع بسبب التجربة حق آخر؟

ما الذي ساستمر عليه، وما الذي سأصغره أو أغيره أو أتوقف عنه؟

إذا تبين لك أن المنفعة لم تصل، فلا تجعل حسن القصد جوابك الوحيد. ابحث عن السبب: قد تكون الوسيلة غير مناسبة، أو لم

تكن الحاجة كما فهمتها، أو اخترت مهمة أكبر من معرفتك. اسأل مرة أخرى، واستعن بمن يستطيع، أو اعتذر عن متابعة لا تملكها. وحين يكون التوقف أحفظ للحق وأصدق مع القدرة، فهو قرار مسؤول يحتاج إلى بيان لمن اعتمد عليك.

وإذا نجحت الخطوة، فأمهلها قبل توسيعها. معرفة أنك تستطيع عون شخص مرة لا تثبت أنك تستطيع الالتزام بعشرة أشخاص كل أسبوع. وسّع بقدر ما تعلمته من الوقت والكلفة، واحفظ في النجاح مكاناً لمن أعانك وللظروف التي يسرت لك.

كيف تعرف أن ما فعلته نفع؟

بعد أن تختار فعلاً صغيراً وتنجزه، يبقى سؤال قد يضيع وسط الرضا عن الإنجاز: هل نفع من قصدت؟ يرتبط هذا السؤال بما قرأناه عن تعدد الفاعلين وعن حدود الشهادة. ففي خبر السفر لا يشهد الراوي إلا بما رأى، وفي خبر التعليم قد يعمل المتعلم والقرين إلى جانب المعلم. أما تحويل ذلك إلى طريقة متابعة معاصرة فهو عمل نقترحه هنا، ولا ننسبه إلى ابن المبارك.

ابدأ بتمييز العمل الذي أنجزته من التغير الذي رجوت حدوثه. إعداد صفحة شرح عمل، وفهم القارئ مسألة لم يكن يفهمها نتيجة مرجوة. إيصال مورد عمل، واستعماله في حاجة حقيقية

نتيجة أخرى. عدد الصفحات أو الساعات يخبرك عن بعض ما بذلت، لكنه لا يكفي وحده لمعرفة ما وصل إلى الآخر.

اختر علامة بسيطة قريبة من حاجتك. إذا كنت تعين زميلاً على كتابة رسالة واضحة، فهل استطاع بعد المراجعة أن يبين طلبه دون التباس؟ وإذا كنت تجمع مراجع لمجموعة قراءة، فهل استطاع أعضاؤها فتح المرجع والعثور على الموضوع المطلوب؟ وإذا كنت تنقل مهمة إلى غيرك، فهل أمكنه أداء الخطوة التالية دون انتظار تعليمات مخفية عندك؟ هذه علامات قابلة للملاحظة، وليست أحكاماً على قيمة الأشخاص أو إخلاصهم.

ثم اسأل عن نقطة البداية. قد يكون الشخص قادراً على الفعل أصلاً، فلا تنسب قدرته الجديدة إلى مساعدتك. وقد يكون تعلم من مصادر أخرى في الوقت نفسه. لا تحتاج إلى تجربة علمية كبيرة كي تكون منصفاً؛ يكفي أن تصف ما رأيته بحجمه: نجحت الخطوة بعد المراجعة، ولا أعرف مقدار نصيب مراجعتي وحدها في النجاح.

مثال افتراضي: أعدت سارة دليلاً قصيراً لاستعمال فهرس مكتبة. جربته أولاً مع ثلاثة أشخاص طلبوا مساعدتها. استطاع اثنان الوصول إلى الكتاب، وتعثر الثالث في كلمة لم يفهمها. لو اكتفت

بعدد من استلموا الدليل لقات إن التجربة اكتملت؛ لكن متابعة الاستعمال كشفت موضعاً يحتاج إلى شرح.

سألت المتعثر أن يبين أين توقف، فظهر أن صورة الشاشة تختلف عن الجهاز الذي يستخدمه. لم يكن الحل إضافة صفحات من التعليمات العامة، بل تعديل الخطوة وإظهار اسم الزر بالكلمات. ثم جربت التعديل مع شخص آخر وافق على المساعدة. هذا المثال يشرح طريقة الاختبار، ولا يقدم بيانات عن تجربة ميدانية أجراها مؤلف الكتاب.

المورد المطلوب هنا محدود: نسخة قابلة للتعديل، ووقت قصير من مستخدم راغب، وطريقة لتسجيل الموضع الذي تعثر فيه. ومن الحقوق المهمة ألا يتحول المستخدم إلى موضوع اختبار لم يوافق عليه، وألا تنشر اسمه أو خطأه لتثبت أنك تعلمت شيئاً. تستطيع حفظ الملاحظة دون حفظ هوية صاحبها إذا لم تكن لازمة.

وماذا لو قال الجميع إن العمل جيد، ولم يستعمله أحد؟ اسأل سؤالاً يفتح وصف الفعل بدل الثناء: متى احتجت إليه آخر مرة؟ وأين ساعدك؟ وما الذي فعلته بعده؟ قد تجد أن الحاجة نادرة، أو أن توقيت الإرسال غير مناسب، أو أن المستفيد يستعمل وسيلة أسهل. لا نتعامل مع كل جواب باعتباره اعتراضاً عليك؛ إنه معلومات عن الخدمة التي اخترتها.

وإذا لم تستطع الوصول إلى من انتفع، فصّرّح بأنك تعرف مقدار ما أنجزت ولا تعرف نتيجة استعماله. هذا أصدق من ملء الفراغ بتقدير متفائل. يمكنك أن تحسن وسيلة الرجوع في المرة القادمة، أو أن تختار فعلاً أصغر ترى أثره المباشر. ليس كل أثر قابلاً للقياس السريع، لكن عدم القدرة على القياس لا يبيح اختراع نتيجة.

بطاقة البداية: اكتب الفعل الذي ستنجزه، ثم نتيجة واحدة ترجوها عند المستفيد، ثم علامة ترى بها حدوثها، ثم ما لا تستطيع معرفته من هذه العلامة. بعد التجربة ضع قراراً عملياً: تعديل خطوة، أو طلب ملاحظة أخرى، أو إبقاء العمل كما هو. لا تجمع أرقاماً لا تغير قراراً ولا تفيد من تخدمه.

مراجعة لا تتحول إلى محاكمة

قد يكون أكثر ما يعطل المراجعة أن الناس يتوقعون منها تعيين مذنب. يدخل كل واحد وهو يهين دفاعاً عن نفسه، فتختفي الوقائع التي يحتاجها العمل. نحتاج إلى فصل وصف ما حدث عن الحكم على الشخص: تأخر الملف يومين واقعة يمكن تحديدها، أما أنه لا يبالي بالناس فتفسير للنية لا تثبته الواقعة وحدها.

ابداً بالاتفاق على ما كان منتظراً. ربما لم يكن الوعد واضحاً، أو فهم الطرفان المهمة على صورتين مختلفتين. قبل السؤال عن سبب

التقصير تأكد أن هناك التزاماً محدداً يمكن مقارنته بما وقع. وقد تنتهي المراجعة إلى تحسين الاتفاق نفسه، لا إلى لوم من ظن أنه نفذ المطلوب.

بعد ذلك ارسم التسلسل القريب من العمل: متى وصل الطلب؟ وما المعلومات التي كانت موجودة؟ ومتى ظهر العائق؟ ومن كان يحتاج إلى معرفته؟ لا تضيف إلى التسلسل ما عرفته بعد النهاية وكأنه كان معلوماً للجميع من البداية. كثير من الأحكام القاسية تنشأ من قراءة قرار قديم بمعرفة لم تكن متاحة عند اتخاذه.

مثال افتراضي: كلفت مجموعة قراءة يوسف بإرسال قائمة المراجع قبل اللقاء. وصلت متأخرة، فظن بعضهم أنه أهمل المهمة. عند المراجعة تبين أن عنوان الموضوع تغير ولم يصله التغير إلا في وقت متأخر، وأنه لم يخبر المجموعة بأنه يحتاج إلى مهلة جديدة. يوجد هنا خلل في إيصال المعلومة، وخلل في إعلان العجز عن الموعد؛ لا يحتاج الإصلاح إلى اختصار القصة في شخص مهمل أو فريق ظالم.

اتفقت المجموعة على صاحب واضح لإبلاغ التغيرات، واتفق يوسف على إظهار أثر التغير على مواعده فوراً. لم ينشئوا سجلاً طويلاً لكل رسالة، بل حفظوا القرارات الذين يمنعان تكرار المشكلة. وفي اللقاء التالي راقبوا وصول الموضوع النهائي في الوقت المحدد،

ووصول القائمة بعده. هذه علامة على تحسن الإجراء، ولا تثبت أن كل تعاونهم صار ناجحاً.

إذا ظهر خطأ شخصي واضح، فلا تخفه باسم حسن الظن. يستطيع الإنسان أن يقر بأنه نسي أو استعجل أو وعد بما لا يستطيع. لكن الإقرار يحتاج إلى إصلاح مناسب: إعادة حق، أو تصحيح معلومة، أو تسليم ناقص، أو تعديل وعد. لا تضيف عقوبة رمزية لا تعالج الأثر لمجرد أن الاعتراف لم يشعرك بالاكتفاء.

وإذا اختلفتم في تفسير ما وقع، فافصلوا الجزء المتفق عليه من الجزء المختلف فيه. قد تفتقون على أن التنبيه لم يصل، وتختلفون فيمن كان عليه إرساله. يمكنكم إصلاح طريقة الإبلاغ الآن، مع إبقاء السؤال الماضي على قدر أدلته. ليس لازماً أن تحسم كل قراءة للنية حتى تمنعوا تكرار العطل.

وقد تكون العلاقة غير متكافئة، فيخاف بعض المشاركين من الكلام. لا يكفي عندئذ أن يطلب المسؤول الصراحة ثم يحتكر تفسير كل جواب. يحتاج إلى وقت يسمع فيه، وإلى سؤال محدد، وإلى حماية حق الآخر في ألا ينشر كلامه خارج غرض المراجعة. وإذا كان الأمر يتجاوز قدرتكم أو يتعلق بحق متنازع عليه، فلا تجعل هذه الصفحات بديلاً من مشورة مناسبة أو إجراء معتمد.

بطاقة البداية: اختر موقفاً واحداً حديثاً، واكتب ما اتفق عليه وما وقع فعلاً وما بقي مختلفاً فيه. حدد إصلاحاً يستطيع أحدكم تنفيذه، وصاحبه وموعد الرجوع إليه. في المراجعة التالية اسأل عن تنفيذ الإصلاح وأثره؛ لا تعيدوا الحديث كله إذا لم تظهر معلومة تغير القرار.

ماذا تحفظ بعد انتهاء التجربة؟

لا يحتاج كل عمل صغير إلى ملف كبير. الذي يستحق الحفظ هو ما يمنع إعادة الخطأ أو يُمْكِن شخصاً آخر من متابعة العمل: الحاجة التي جربت خدمتها، والوسيلة التي استخدمتها، وما ظهر في الاستعمال، والتعديل الذي قررته. أما التفاصيل التي لا تخدم غرضاً وتكشف خصوصيات الناس، فليست كثرتها علامة على الجدية.

اكتب الفرق بين الملاحظة والاستنتاج. «طلب شخصان شرح الكلمة» ملاحظة؛ و«الكلمة غير واضحة لمعظم القراء» تعميم يحتاج إلى دليل أوسع. يمكنك أن تقرر شرح الكلمة دون أن تدعي ذلك التعميم. القرار العملي أحياناً يحتمل دليلاً محدوداً، ما دام صغيراً قابلاً للمراجعة، ولا يلزم أن ترفعه إلى نتيجة عامة لتبرره.

احفظ نسخة من المادة التي اختبرت، حتى لا تقارن نتيجة قديمة بنص جديد وتنسى ما تغير. وإذا صححت خبراً أو رقماً، فبين موضع

التصحيح لمن يعتمد على النسخة السابقة. هذا إجراء معاصر في حفظ العمل؛ صلته بما قرأنا من أخبار المراجعة صلة استفادة معلنة، لا دعوى أن ابن المبارك وضع نظاماً بهذه الأدوات. وأغلق ما انتهى بدل أن تتركه في حالة وعد دائم. قد تكتب أن التجربة أدت غرضها في نطاق صغير، أو أن الحاجة لم تتضح، أو أن الوسيلة تحتاج إلى شخص أقدر منك. يبقى في كل جواب شيء صالح للتعلم. وما يحتاجه من يأتي بعدك ليس صورة نجاح كامل، بل وصفاً يستطيع أن يثق بحدوده ويبنى عليه.

حين تفوتك البداية

قد تقرأ هذه الصفحات ولا تفعل شيئاً اليوم. وقد تبدأ ثم تنقطع. لا تحتاج عند العودة إلى إعلان أكبر؛ تحتاج إلى معرفة أين تعثرت.

إن كانت المهمة واسعة، فصغرها إلى فعل مكتمل: سؤال واحد، أو فقرة واحدة، أو اتصال تستأذن فيه ولا تعد بما بعده. وإن كان الوقت لا يتكرر، نخفف عدد المرات بدل أن تبني الخطة على يوم مثالي لا يأتي. وإن كنت لا تعرف كيف تبدأ، فأظهر موضع جهلك لمن يحسن مساعدتك. وإن أثقلت كاهلك بعود، فأوف بواحد منها أو أعد الاتفاق عليه بصدق قبل أن تفتح وعداً جديداً.

وقد تكون حاجتك الأولى أن تكف عن أذى يتكرر منك، أو أن ترد حقاً، أو أن تحسن واجباً أهملته. لا يلزم أن تحمل البداية اسم مشروع، ولا أن يعرف بها جمهور. يكفي أن تعرف موضعها، وأن يلمس من يعيش معك فرقاً حقيقياً.

بطاقة البداية

اكتب هذه البطاقة بكلماتك. وإذا وجدت خانة لا تعرف جوابها، فاجعل السؤال عنها أول خطوتك: ما أريد تحسينه الآن: ...

الموقف المتكرر الذي تظهر فيه حاجتي: ...

ما أخذته من صحة ابن المبارك، وحدود ما يناسبني منه: ...
أول فعل محدد سأقوم به: ...

موعده، وما يحتاجه من وقت أو مورد أو مساعدة: ...

الحق الذي سأحفظه حتى لا تأتي خطوتي على حسابه: ...
من يرجى أن ينتفع، وكيف أستأذنه وأسأله عن النفع: ...

دليل صغير أستطيع ملاحظته على التحسن: ...

موعد المراجعة، والبديل الأصغر إن تعثرت: ...

عندما تغلق الكتاب ستعود إلى أناس يعرفونك باسمك أنت. واحد منهم قد ينتظر جواباً أدق، أو عوناً وعدته به، أو إنصافاً تأخر. اختر ما تستطيع الوفاء به. هناك، في الفعل الذي ستقوم به بعد القراءة، تأخذ هذه الصحبة مكانها من حياتك.

خط زمني ودليل الأماكن

هذه المحطات مما استعمله المتن؛ يختلف ثبوتها وتفصيلها، ولا تسد الفواصل بينها رحلات متخيلة.

١١٨هـ: سنة الميلاد المنقولة؛ نسبة «المروزي» لا تعين وحدها موضع الولادة الدقيق.¹⁹¹

أيام أبي مسلم: خبر الوصول إلى الربيع بن أنس بواسطة المعلم؛ لا سنة محددة ولا موقف سياسي يستخرج منه.¹⁹²

١٤١هـ: تاريخ منقول لأول الخروج إلى العراق، في طريقه علة؛ لا يعتمد أساساً يقيناً لترتيب الرحلات.¹⁹³

قبل وفاة موسى بن عقبة، ١٤١ أو ١٤٢هـ: إثبات السماع منه يضع حداً زمنياً عاماً، ولا يعين مكان اللقاء.¹⁹⁴

١٩١ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (١).

١٩٢ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (١٨).

١٩٣ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (١٣).

١٩٤ - إثبات السماع لا يثبت مكانه. انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (١٤).

١٨١هـ: الوفاة بهيت في الرجوع من الغزو؛ لا تعين هذه الإحالة
حملة بعينها. ¹⁹⁵

٣٨٤هـ و ٣٩٨هـ: شواهد تلقي لاحق لكتبه، بعد وفاته؛ ليست
من تواريخ حياته. ¹⁹⁶

مجال الرحلات

تذكر ترجمة ابن سعد العراق والمجاز والشام ومصر واليمن ضمن
أقاليم رحلاته. ¹⁹⁷ لا يثبت ترتيب هذه الأسماء ترتيب السفر بينها.
وترد مرو والكوفة في أخبار إقامة مختصرة الطريق. ¹⁹⁸ أما
خراسان وبغداد فطرفا الصحبة المنقولة في خبر الحسن بن عيسى،

١٩٥ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٩٥).

١٩٦ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٩٨).

١٩٧ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (١٥).

١٩٨ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٧٩).

الذي لم يكتمل تحقيق طريقه؛ لا نثعين منه مدينة الانطلاق من خراسان أو محطات العبور.¹⁹⁹ وترد هيت في خبر الوفاة.²⁰⁰

هذا دليل وصفي للأماكن الواردة في المادة، بدرجات أخبارها المختلفة؛ لا تُرسم بينها أسهم رحلة متصلة، لأن تواريخ الانتقال ومساراته لم تثبت كلها. أسماء الأقاليم التاريخية لا تطابق بالضرورة حدود الدول الحالية.

كيف نقرأ رحلة لم تحفظ محطاتها كلها؟

خراسان إقليم، ومرو مدينة، وهيت موضع الوفاة. وقد يذكر الخبر مكان السؤال، أو يكتفي بنسبة الراوي إلى بلد. تختلف دلالة هذه الأسماء، ولذلك لا نجعلها في خط رحلة لم يصفه مصدر.

ومن المواضع التي عيّنها الخبر مكة؛ قال ابن المبارك: «حدثني الحكم بن هشام، وسألت عنه بمكة، فقالوا: إنك تسأل عن رجل تهمه نفسه»²⁰¹.

١٩٩ — فلا يصح الخبر بوجود النص أو بتعيين اثنين من رجاله. انظر ملحق مصادر

الحواشي، رقم (٨٣).

٢٠٠ — انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٩٥).

٢٠١ — انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (١١٣).

نعرف هنا أين سأل عن الحكم بن هشام، ولا نعرف سنة السؤال أو موسمه. وجواب جماعة غير مسماة لا يستقل بالحكم النهائي على حال الرجل.

أما السماع من شيخ، فلا يثبت مكان اللقاء من نسبة الشيخ وحدها؛ فقد يلتقي الرجلان خارج بلديهما.

ومثال ذلك موسى بن عقبة: يثبت السماع منه، وتحد وفاته الزمن الذي وقع فيه اللقاء، لكن الخبر لا يبين يوم خروج ابن المبارك إليه أو طريقه ومدة إقامته.²⁰²

مكان في السند، ومكان في الحياة

وروى سعيد بن المغيرة عن ابن المبارك: «حدثنا عن يعقوب، عن أبي يوسف، عن سعيد بن جبير، قال: إذا حاضت المرأة في وقت الصلاة، فليس عليها القضاء». قال أبو محمد: «يعقوب هو ابن القعقاع قاضي مرو، وأبو يوسف شيخ مكِّي».²⁰³

٢٠٢ - اسم الشيخ لا يثبت مكان كل لقاء به. انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (١١٤).

٢٠٣ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (١١٥).

يعرف الدارمي اثنين من رجال هذا الإسناد ببلديهما، ولا يحدد مكان سماع أحدهما من الآخر. يصف السند انتقال الرواية، ولا يرسم رحلة من مرو إلى مكة.

السفر الذي تنتهي عنده معرفتنا

مات بهيت سنة 181 هـ في الرجوع من الغزو، كما تقدم في خبر ابن سعد.²⁰⁴ ولا تكفي السنة والمكان لتعيين الحملة أو خط العودة كاملاً.

وفي خبر يرويه الخطاب، عن حضور ابن المبارك بأرض الروم، قال: «رأيت الجفان بأرض الروم على رؤوس الشرط، فيها الكعك والسويق والتمر، فقلت: لأتبعنها حتى أنظر إلى من يذهب بها. قال: فجئ بها إلى رحل ابن المبارك، فقالوا: بعث بها عبد الملك، فسمعتة يقول للشرط: انطلقوا، لا حاجة لنا فيها؛ فردها».²⁰⁵

٢٠٤ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٩٥).

٢٠٥ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (١١٦).

يروى الخبر رد مؤونة وصلت إلى رحله، ولا يبين سنة ذلك أو سببه. يبقى بدرجة طريقه المبينة في الحاشية؛ فلا نضمه إلى الغزوة الأخيرة أو نعين له دافعاً لم ينقله.

معجم للقارئ

الإسناد: سلسلة الناقلين التي ينسب بها الخبر إلى قائله؛ تفصل التعريفات التالية مسائل اتصالها وألفاظها.

بلا كيف: في الموضع الذي نقله الترمذي، تمرير أخبار الصفات مع الكف عن تعيين كیفيتها، مع حفظ سياق العبارة.²⁰⁶

الثغر: موضع أو ناحية على حدود المواجهة العسكرية في سياق الخبر؛ لا اسم مدينة واحدة ولا مرادف لكل سفر.

البز: الثياب في الخبر المستعمل هنا، دون توسيعه إلى قائمة سلع غير مذكورة.²⁰⁷

ألفاظ تعين على قراءة الأخبار

الأثر: خبر أو قول منقول عن متقدم بحسب السياق. ويستعمل الكتاب «أثر الإنسان» أيضاً بمعنى ما بقي من نفعه؛ وهذا غير اصطلاح الرواية.

٢٠٦ — انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٢٨).

٢٠٧ — لا يثبت بهذا الطريق تقسيم دائم للأرباح. انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٣٨).

المرفوع: ما نسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم. يبين المصطلح جهة النسبة، ولا يعني وحده أن الخبر صحيح.

الموقوف: ما انتهت نسبته إلى صحابي. لا يرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم دون دليل، ولا ينسب إلى ابن المبارك لمجرد أنه رواه.

المقطوع: ما نسب إلى تابعي أو من دونه في الاصطلاح المشهور. وهو غير «المنقطع» الذي يصف خلل الاتصال في الإسناد.

المرسل: من أشهر صوره رواية التابعي عن النبي صلى الله عليه وسلم دون تسمية الصحابي، وللنقاد استعمالات أوسع بحسب السياق.

الانقطاع: فقد الاتصال في موضع من الإسناد. وثقة الرواة المذكورين لا تملأ الحلقة المفقودة بينهم.

الإبهام: ذكر ناقل دون ما يعينه، كقول الراوي «عن رجل». قد يعينه طريق آخر، وقد يبقى مجهول الاسم.

البلاغ: وصول الخبر إلى ناقله دون سوق طريق متصل كامل في الموضع. وليس صيغة لشهادة الحضور.

التحمل والأداء: التحمل تلقي الرواية، والأداء نقلها. وتعين ألفاظ مثل «سمعت» و«قرأت» على بيان طريقة التلقي.

المتابعة وموضع الالتقاء: قد تلتقي طرق الخبر عند راو واحد؛ فلا تعد بعد نقطة الالتقاء شهادات مستقلة على الواقعة.

الجرح والتعديل: تقويم الرواة فيما يتصل بقبول نقلهم. لألفاظه مراتب وسياقات، وقد يختلف النقاد أو يقيدون الحكم بزمان أو شيخ معين.

تغير الحفظ والاختلاط: تغير قدرة الراوي على ضبط ما ينقل. يبحث النقاد حينئذ في زمن السماع وما حفظ قبل التغير وبعده. الطبقة: جماعة تتقارب في العصر أو الشيوخ أو حال التلقي بحسب تقسيم المصنف. لا يعني اشتراك رجال في طبقة أنهم اجتمعوا في مجلس واحد.

الكنية والنسبة والولاء: الكنية نحو «أبي عبد الرحمن»، والنسبة تتصل ببلد أو قبيلة أو غيرهما، والولاء رابطة تاريخية تختلف عن نسب الدم. والنسبة إلى بلد لا تثبت وحدها موضع الميلاد.

ألفاظ تعين على قراءة الكتب

الأصل والنسخة: النسخة شاهد على نص في مرحلة من تداوله. وقد يقصد المحقق بالأصل النسخة التي يعتمد عليها للمقابلة، لا خط المؤلف نفسه.

الرواية والزيادة: قد يروى الكتاب بطريق، وتأتي معه زيادات لناقلين آخرين. يلزم تمييز أصحاب هذه الزيادات، وتسميتها زيادة لا تعني اتهامها بالتزوير.

السماع المثبت على النسخة: قيد يسجل قراءة أو سماعاً في تاريخ معلوم. يفيد في تاريخ تداول النص، مع ضرورة فحص صلته بالنسخة الباقية.

الإجازة والمناولة: الإجازة إذن بالرواية، والمناولة تسليم كتاب أو مادة وفق شروطها. ولا تعني أي منهما وحدها قراءة المتن كاملاً على الشيخ.

الفهرسة أو الثبت: كتاب يذكر طرق رواية الكتب والشيخ. يعين على معرفة ما كان متداولاً، ولا يثبت وحده تطابقه مع كل مادة المطبوع الحديث.

التخريج: الدلالة على مواضع الخبر وطرقه، وقد تصحبه مقارنة أو حكم. وكثرة الكتب الناقلة لا تعني كثرة شهود مستقلين. المقابلة: مقارنة نص بآخر، أو بصورة طبعة أو مخطوط، لضبط اللفظ وكشف الاختلاف. مقابلة الألفاظ عمل غير تصحيح الإسناد.

التصحيف والتحريف: تغيير يقع في قراءة كلمة أو اسم، مع فروق اصطلاحية عند أهل الفن. تعين النسخ والسياق وأسماء الشيخ والتلاميذ على ترجيح القراءة.

الترقيم: رقم الخبر أو الصفحة وسيلة للوصول، يتغير باختلاف الطبعات. لذلك تذكر الحواشي الطبعة حين يتوقف العثور على الموضوع عليها.

التحقيق: يطلق على إخراج النص ومقابلة نسخه، وعلى فحص النسبة أو الإسناد. لا يعني تحقيق كتاب أن جميع الأخبار التي يرويها صحيحة.

التعريفات هنا مفاتيح مختصرة لاستعمالات الكتاب، وليست بديلاً من دراسة علوم الرواية وتحقيق النصوص. ولم تستعمل لإصدار أحكام جديدة على رجال الأسانيد. أما ألفاظ البز والثغر وبلا كيف وغيرها مما يتصل بسياق خاص، فتفسر في مواضعها وفي بداية هذا المعجم، دون توسيعها إلى معان لم تحملها الشواهد.

ملحق مصادر الحواشي

يجمع هذا الملحق بيانات المصادر والتفاصيل النقدية التي كانت في حواشي الصفحات. بقيت حواشي المتن قصيرة، وتحيل إلى الرقم الموافق هنا.

1. البخاري، التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، ج5، ص212، ترجمة679؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج7، ص263، ترجمة3643. سنة الميلاد118هـ منصوبة، ويوافقها العمر المنقول قبيل الوفاة في العلل6091. لا ثبت نسبة «المروزي» وحدها مكان الولادة الدقيق.

2. G. H. Yūsofī, "Abū Moslem Kōrāsānī", Encyclopaedia Iranica, pp.341-344، فقرتا128-129هـ. العمر التقريبي حساب من السنتين، لا خبر عن حضوره إعلان الدعوة.

<https://www.iranicaonline.org/articles/abu-moslem-abd-al-rahman-b>

3. Georgina Herrmann, "Early and Medieval Merv: A Tale of Three Cities", Proceedings of the British Academy 94 (1997), pp.1-43، موضع الاستشهاد ص1-3.

<https://www.thebritishacademy.ac.uk/documents/2446/94p001.pdf>

Tim Williams, "The Landscapes of Islamic Merv, Turkmenistan: Where to Draw the Line?", *Internet Archaeology* 25 (2008), §4.4.15.

<https://intarch.ac.uk/journal/issue25/1/index.html>

5. Herrmann، ص 21-22؛ §1.1. Williams، تقاطع مرجعين في التحول الحضري، لا تعيين لمسكن ابن المبارك.

6. Elton L. Daniel, "Khorasan v. History in the Abbasid Period", *Encyclopaedia Iranica* "The Abbasid Revolution and the Rise of Abu Moslem" وفقرات الإدارة والمكانة بعد الثورة. هذه خلاصة سياقية مع التصريح بخلاف التفسير، لا تبين لجميع تعميمات الدراسة.

<https://www.iranicaonline.org/articles/khorasan-v-history-in-the-%CA%BAbbasid-period>

7. أحمد، العلل ومعرفة الرجال، ج 3 ص 204، رقم 4876.
لخبر الوصول إلى الربيع بن أنس؛ يرد في فصل التعلم،
وليس شاهداً مستقلاً على موقف سياسي.
8. Étienne de la Vaissière, Sogdian Traders
ص 264 و 283-290 و 335. لا تثبت هذه الدراسة
شبكة تجارية خاصة بابن المبارك.
9. Christopher Melchert, "Education iv. The
Medieval Madrasa", Encyclopaedia Iranica,
Travel in pursuit " فقرات VIII/2, pp.182-184
of Hadith", "In the early centuries", "The first
notices".
<https://www.iranicaonline.org/articles/education-iv-the-medieval-madrasa>
10. البخاري، التاريخ الكبير، ج 5، ص 212، ترجمة 679؛ ابن
سعد، الطبقات الكبرى، ج 7، ص 263، ترجمة 3643.
اعتمد الاسم المتيقن من هذين الموضعين، دون زيادة «بن
واضح» التي لم تثبت من الأصول المبكرة المقابلة في الإحالة
السابقة.

11. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية،

ج10 ص152، بإسناده إلى العباس بن مصعب. قبل النص كاملاً من أول الطريق إلى جملة تعظيم ابن المبارك لولد التاجر. الخبر راجح مبدئياً، لا قطعي، ولم تقابل نسخة مستقلة من أصل تاريخ مرو؛ فلا تُزاد عليه صورة للأبوين أو تفسير للنبوغ.

https://ablibrary.net/book_content/b/5902/1

52?lang=ar

12. ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، مقدمة ج1 ص268-

269، طريق أحمد بن سنان الواسطي عن عبد الله بن سنان الخراساني. قبل الخبر كاملاً بالنص المرقن وبالمقابلة المصورة السابقة. يصرح أحمد بالسماع، ويثبت الخبر التالي لقاء عبد الله بن سنان بابن المبارك، لكنه لا يصرح بمصدر تفاصيل الأسرة أو حضوره المعاملة. لم يستكمل تقويم الطريق؛ فلا يجزم بالحوار، ولا يستنبط منه حكم شرعي.

<https://shamela.ws/book/2170/295>

13. الخطيب، تاريخ بغداد، ج10 ص166، خبر عبدان بن

عثمان. قبل النص كاملاً، وأثبتت عبارته «وعانات» كما في الوعاء المقابل من غير تسوية حدسية. في الطريق محمد بن موسى بن حاتم؛ يراجع الذهبي، ميزان الاعتدال 4/51

ت8238، وابن حجر، لسان الميزان 5/401 ت1306. لا
يبنى على التاريخ وحده ترتيب يقيني للرحلات.
https://ablibrary.net/book_content/b/5902/1
66?lang=ar

14. المزني، تهذيب الكمال، تحقيق بشار عواد معروف، ج29،
ص121-122، ترجمة موسى بن عقبة. الراجح في
الوفاة141هـ، وقول142هـ محفوظ. إثبات السماع لا
يثبت مكانه.

15. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج7، ص263. القائمة
إجمالية، ولا تجعل كل إقليم رحلة واحدة أو شاهداً على
زيارة مدينة بعينها.

16. الخطيب، تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، ج7،
ص205-207، ولا سيما206؛ يقابله نص تحقيق

مصطفى عبد القادر عطا، ج6، ص234-235. ذكر
العيال لا يحدد عددهم أو أسماءهم، ولم يثبت هذا
التفصيل بمجرد وجوده في الحكاية. يناقش فصل المال
طريقها، وفصل الاختبارات اعتراض الذهبي على تمتها.

17. أحمد بن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، رواية عبد الله،
تحقيق وصي الله عباس، دار الخاني، ط2، ج3، ص62،

رقم 4178. أصل المراجعة راجح، القول عن تفاوت الحفظ لعبيد الله بن النضر؛ لا يدل الخبر وحده على رد الحديث أو تضعيف الشيخ. لم يعين هذا النص تاريخ الزيارتين.

18. أحمد بن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، رواية عبد الله بن أحمد، تحقيق وصي الله عباس، دار الخاني، ط2، 1422هـ/2001م، ج3 ص204، رقم 4876. الطريق: عبد الله بن أحمد، من كتاب أبيه بخطه، عن الحسن بن عيسى، عن ابن المبارك. «أيام أبي مسلم» تأطير عام، لا سنة معينة ولا دليل موقف سياسي. قول اللفظ بالأصل المرقم؛ ولا يدمج مع خبر الوصول إلى الربيع بواسطة الحائك.

19. المصدر نفسه، ج2، ص365، رقم 2622؛ أصل الصلة راجح، وسبب اليمين غير معلوم في الخبر. «تخرج أو تورع» تفسير منقول، لا تصریح ذاتي بالنية.

20. أحمد، العلل ومعرفة الرجال، ج3 ص480، رقما 6057 و6058. طريق كل خبر: عبد الله بن أحمد ← الحسن بن عيسى ← ابن المبارك. فصل النصاب كما فصلهما الأصل المرقم؛ لا يستخرج من تفضيل سفيان استغناء عن سائر

الشيوخ، ولا من نفع مجالسة وهيب تحديد لنوع النفع أو مدته.

21. الفسوي، المعرفة والتاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري، ج3 ص6. قوبلت الروايتان مستقلتين في النص المصور والمرقن: الأولى من طريق أبي النعمان، والثانية من طريق علي بن الحسن. أثبتت فروق «خير وأفضل» و«كل إلى خير» و«ما شاء صنع» كما وردت، ولم يركب لفظ من طريق في الآخر. أصل الإفصاح عن السماع والحفظ راجح، ولا يصير الطريقتان أصليين مستقلين للحديث بعد موضع التقاءهما.

https://scribetools.com/en/library/sira-a2dcf37e/-44618_03/القديمة/إرشاد-القديمة/history-text/0001

22. المصدر نفسه، ج2، ص138، وج3، ص158. اللفظ الأتم هو أساس العرض، وليس خبرين مستقلين أو رفضاً مطلقاً للرواية عن معمر. موقف يحيى في تمة الخبر لا ينسب إلى ابن المبارك.

23. أحمد، العلل ومعرفة الرجال، ج1، ص272، رقم420، وج2، ص361، رقم2599. الخبر من طريق عبد

الرزاق، وتكرره في الكتاب لا يزيد عدد شهود المجلس. قوبل
موضع أحمد بالمصور من طبعة دار الخاني
الثانية، 1422هـ/2001م.

24. الفسوي، المعرفة والتاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري،
ج2، ص 667-668، وج3، ص 182. قوبل موضع
السؤال في ص 668 وص 182 على المصور. لفظ «غير هذا
الحديث، حديث ليلة القدر» يحدد متعلق النفي؛ ولا يعد
تكرار الخبر في الكتاب شهادتين مستقلتين.

25. ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج5 ص146، ضمن
ترجمة 682. السند المعروض: عبد الرحمن بن أبي حاتم عن
صالح بن أحمد بن حنبل عن علي بن المديني عن عبد
الرحمن بن مهدي؛ وفيه تصريح علي بالسماع من ابن مهدي.
قوبل النص الرقي بمصور الجزء الخامس المتاح عبر
الوقفية/أرشيف الإنترنت، ملف 05_1551؛ الصفحة
المطبوعة 146 هي الصفحة 146 من ملف PDF. يبدأ الملف
بالمثنى، فتبقى صفحة النشر غير متاحة في هذا الجزء. حكم
الامتناع عن الحمل في صدر الخبر لابن مهدي؛ لا ينسب
إلى ابن المبارك. الإضافة وصف لواقعة المقابلة، لا تصحيح
مستقل لإسناد الحديث الذي وقع فيه الخلاف. نص
ج5 ص146؛ ترجمة ابن لهيعة في جامع خادم الحرمين.

26. المصدر نفسه، ج5 ص147-148. نقل عبد الرحمن جواب أبيه في الاحتجاج برواية ابن المبارك، ثم جواب أبي زرعة في تتبع الأصول. عبارة أبي زرعة لا تساوي قبول جميع مرويات ابن لهيعة؛ ويجب قراءة تتمتها في ص148. في حاشية الطبعة المعروضة اقتراح «النسخ» بدل «الشيخ» مع تصريحها بأن «الشيخ» في الأصلين؛ لم نبدل النص بناءً على الاقتراح. قبلت الصفحتان 147-148 بالمصور نفسه؛ لا تدعي هذه المقابلة استيعاب جميع أقوال النقاد. نص ج5 ص147 ؛ نص ج5 ص148 .

27. الترمذي، الجامع، رقم27، التعليق عقب الحديث؛ قول اللفظ كاملاً بصفحة النص العربي في Sunnah.com وبالعينة S084 ص11 من PDF. نقل المصنف خريطة الأقوال، وليس إسناداً خاصاً إلى ابن المبارك؛ والدليل على اختلاف مخصوص، لا على تاريخ تحول مذهبي. <https://sunnah.com/tirmidhi:27>

28. الترمذي، الجامع، رقم662، التعليق عقب الحديث؛ قبلت الفقرة المختارة كاملة بصفحة النص العربي في Sunnah.com وبالعينة S084 ص210 من PDF. النسبة من نقل المصنف عن جماعة، وليست إسناداً خاصاً مستقلاً

إلى ابن المبارك في الموضع.

<https://sunnah.com/tirmidhi:662>

29. أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر، 1416هـ/1996م، ج8 ص165. الطريق: أبو نعيم ← عبد الله بن محمد ← إسحاق بن أحمد ← ابن رزمة ← عبدان بن عثمان ← ابن المبارك. قبل لفظ المتن بصورة الصفحة والنص الرقي؛ وهو خبر منسوب بطريقه، ولا يثبت وحده جميع تفصيلات منهج فقهي أو اصطلاحى لاحق.
30. أبو نعيم، حلية الأولياء، ج8 ص164. الطريق: أبو نعيم ← عبد الله بن محمد بن جعفر ← إسحاق بن أحمد ← سعيد بن عيسى ← أبو داود الطيالسي. قبل لفظ الخبر بصورة الصفحة والنص الرقي. تفسير «يعني أنظر في كتبهما» لأبي داود، لا تنمى من كلام ابن المبارك.

31. أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر، 1416هـ/1996م، ج8 ص165. الطريق: أبو نعيم ← عبد الله بن محمد ← سلم بن عصام ← رسته الطالقاني ← الرجل السائل. قبل الخبر كاملاً بالنص الرقي للصفحة وبصورة الصفحة المستعملة سابقاً؛ وهو جواب مقيد بحال

السائل، لا ترتيب دراسي عام.

<https://shamela.ws/book/10495/2865>

32. أبو نعيم، حلية الأولياء، ج 8 ص 166. الطريق: أبو نعيم ← إبراهيم بن عبد الله ← محمد بن إسحاق ← عبيد بن محمد الوراق ← بشر بن الحارث. قول الخبر كاملاً بالنص الرقي للصفحة وبصورة الصفحة المستعملة سابقاً؛ وهو حكاية منسوبة بطريقها، لا حكم عام على كل تعليم في الطريق. <https://shamela.ws/book/10495/2866>

33. مسلم، مقدمة الصحيح، باب أن الإسناد من الدين، الرواية 32 بحسب رقم العرض في Sunnah.com (والرواية 31 بحسب الحقل الداخلي)، خبر أبي إسحاق إبراهيم بن عيسى الطالقاني. قول النص العربي كاملاً في الوحدة التي تبدأ بمحمد بن عبد الله بن قهزاذ؛ لا يخلط أبو إسحاق بعبدان بن عثمان، ولا تعد الوحدة الواحدة شاهدين مستقلين. موضع ابن أبي حاتم، مقدمة المعرفة، ج 1 ص 273-274، يبقى للمقابلة المستقلة ولا يلزم لإثبات لفظ مسلم.

<https://sunnah.com/muslim/introduction/31>

34. مسلم، مقدمة الصحيح، الموضع نفسه، عن محمد بن عبد الله بن قهزاذ، عن عبدان بن عثمان، بتصريحه بسماع ابن المبارك. قوبلت الرواية كاملة بالنص العربي المباشر؛ أصل النسبة راجح، ولا تتضمن العبارة دعوى أن ابن المبارك أول من استعمل الإسناد.

<https://sunnah.com/muslim/introduction/31>

35. أبو نعيم، حلية الأولياء، ج 8 ص 168. طريق الخبر الأول: أبو نعيم ← أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ← عبد الله بن محمد بن عبد الكريم ← الفضيل بن محمد البيهقي ← سنيد بن داود ← ابن المبارك. وطريق الثاني: أبو نعيم ← أبو محمد بن حيان ← إبراهيم بن محمد بن علي ← أحمد بن منصور ← عباس بن عبد الله ← ابن المبارك. قوبل اللفظان بصورة الصفحة والنص الرقي؛ وهما خبران مستقلان، لا لفظ مركب من طريق واحد.

36. إحالة داخلية: النص الكامل لتعليل إعانة أهل الحديث مثبت في فصل المال عند الحاشية 43، ثم يأتي تعليق مدارج بعده. طريق حبان بن موسى وحدود حضوره وتقوم حلقات الخبر محفوظة هناك وفي هذه الحاشية: الخطيب، تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف،

ج 11 ص 397؛ ويقابله عطا ج 10 ص 158-159. لا يعاد النص هنا دفعاً للتكرار.

37. أبو نعيم، حلية الأولياء، ج 8 ص 166. الطريق: أبو نعيم ← أبو بكر عبد الله بن محمد ← أحمد بن الخطاب ← هدية بن عبد الوهاب ← معاذ بن خالد ← ابن المبارك. قوبل لفظ المتن بصورة الصفحة والنص الرقي؛ وهو خبر منسوب بطريقه، لا وصف لنظام مؤسسي أو أثر مقيس.

38. الخطيب، تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، ج 7 ص 205-207؛ ويقابله تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط 1، 1417 هـ/1997 م، ج 6 ص 234-235. الطريق: أبو العلاء الواسطي، عن أبي الفوارس إبراهيم بن أحمد بن محمد الفارسي، عن يحيى بن محمد بن قلب، عن مسبح بن حاتم، عن عبيد الله بن محمد بن حفص بن عائشة، عن حماد بن سلمة وحماد بن زيد، بلفظ «أن». وينقل ابن الجوزي، المنتظم 9/227، الخبر من طريق الخطيب نفسه، مع اختصار «يحيى بن محمد» واختلاف في نسب ابن عائشة؛ فلا يعد شاهداً مستقلاً ولا يحسم هوية يحيى. وصف الخطيب في ترجمة أبي العلاء، تاريخ بغداد 3/309-313 بحسب النص الرقي المستعمل، وجود أصول عتيقة صحيحة السماع وأخرى مضطربة،

وذكر رجوعه عن طريق مسلسل بعد الاعتراض؛ فهذا نقد عام لا يثبت أن هذا الخبر بعينه من أصل صحيح أو مضطرب. شدد الذهبي فيه، ميزان الاعتدال 3/654، وفرق ابن حجر بين عدم الاعتماد على حفظه واتهامه، لسان الميزان، ترجمة 7199؛ ورجح المعلي انتقاء الخطيب من أصوله الصحيحة، التنكيل 1/776-777، وهو ترجيح عام لا تصحيح لهذا الخبر. لم تسترجع ترجمة مستقلة تحسم حال أبي الفوارس أو يحيى. أما مسبح فليست هويته مجهولة: يصفه الدارقطني في المؤتلف والمختلف 4/2098 بالبصري الإخباري ويذكر رواية جماعة من شيوخه عنه، ويثبته تاريخ الإسلام عكلاً بصرياً ويؤرخ وفاته 298هـ، ويصفه غاية النهاية بمعروف الرواية في سياق القراءات؛ وفي السير جاء ضمن جماعة وصفوا بعدم الشهرة. هذه قرائن تعريف وانتشار، لا توثيق صريح يكفي لتصحيح خبر التجارة. وتوسع الأوسط 8602 و8614-8616، والالكائي 355، والمستدرک 6737، والمؤتلف 1/557، وتاريخ دمشق 13/30 شبكته، ولا تعد متابعة للخبر هنا. ومحمد بن يحيى الأزدي في طريق المؤتلف غير يحيى بن محمد بن قلب، فلا يقلب الاسمان ولا ينقل حكم أحدهما للآخر. وصف مسبح بالإخباري ليس تعديلاً كافياً: تاريخ

الإسلام 6/1056؛ المؤتلف والمختلف 4/2098؛ غاية
النهاية 3/1273. ساق الذهبي الخبر من طريق عبيد الله بن
محمد بن حفص بن عائشة عن الحمادين، ثم أنكر حمل ذيل
القضاء والإعفاء ورد الصرة على روايتهما لموتهما قبل
الواقعة، واحتمل الإدراج دون تعيين موضعه أو فاعله
قطعا؛ فهذا يقدح في تركيب الذيل على ذلك السند، ولا
ينفي صدر الخبر عن التجارة في البز ولا أصل تجارة ابن
المبارك من أدلة أخرى: السير 9/116-117،
وتقارن 9/110 و115. لا يثبت بهذا الطريق تقسيم دائم
للأرباح. وفي القالي، الأمالي 2/183: أبو يعقوب وراق ابن
دريد عن مسيح عن سليمان بن أبي شيخ عن يحيى بن
سعيد الأموي؛ وفي الخطيب، الكفاية في علم الرواية، باب
أخذ الأجرة على التحديث: أحمد بن عبد الرحمن الأزدي
عن مسيح عن العباس بن عبد العظيم العنبري عن سليمان
بن حرب. يوسع الطريقان شبكة مسيح، ولا يعدلانه، ولا
يتابعان خبر التجارة، ولا يعينان يحيى بن محمد بن قلب.
أصل الطريق الرقي:

https://ablibrary.net/book_content/b/5919/2

34?lang=ar ونص الكفاية:

39. المزي، تهذيب الكمال، تحقيق بشار عواد معروف، ج 16 ص 18-20: أثبت قول العباس بن مصعب كاملاً في المتن؛ ذكر التجارة بلا إسناد مفصل في الموضع، وليس طريقاً جديداً لخبر الخطيب. في النص الرقي للذهبي، تاريخ الإسلام، ج 4 ص 884، جاء القول مختصراً دونها؛ لم تقابل صورتا الطبعين، فلا يحسم اختلاف اللفظ. وعرض المزي حوار الفضيل من رواية إبراهيم بن بشار، وهي جذع الطريق المبين في الحاشية السابقة.
40. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 8 ص 409: «وكان عبد الله غنياً شاكراً، رأس ماله نحو الأربع مائة ألف»؛ أثبتت الجملة كاملة، وهي غير مسندة في موضعها ولا تسمي عملة. والخطيب، تاريخ بغداد، تحقيق بشار، ج 11 ص 395، في جملة «وكان ينفق على الفقراء في كل سنة مائة ألف درهم» بعد خبر الخادم وبلاغ «فبلغنا». إعادة الذهبي لها في السير 385/8-386 مسبوقة بقوله «قال الخطيب»، فلا تعد شاهداً آخر. وجمع ابن كثير بين الرقين تركيب متأخر بلا إسناد ظاهر؛ لذلك لا تثبت المقادير، ولا تركب منها ميزانية، ولا تضاف إلى رأس المال عملة.

41. المزني، تهذيب الكمال، تحقيق بشار عواد معروف،
 ج16 ص20؛ ساق الخبر عن إبراهيم بن بشار، عن علي بن
 الفضيل، عن أبيه. قبل النص كاملاً بالعرض الرسمي
 لكتب السنة وبصورة الصفحة الرقمية. فرع البيهقي في
 شعب الإيمان 2/95-96 رقم 1266 وفرع
 الخطيب 11/397 يلتقيان عند إبراهيم بن بشار؛ لا يصيران
 شاهدين مستقلين تحته. إبراهيم بن نصر المنصوري معين
 بترجمة الخطيب: مولى منصور بن المهدي، يروي عن إبراهيم
 بن بشار والعلاء بن مسleme، وروى عنه الخلدی وابن الضریر
 وأبو بكر المفيد؛ ولا يظهر في موضع الترجمة المفحوص
 توثيق صريح. وعبد الرحمن بن محمد بن جعفر الجرجاني عین
 راجحاً من تاريخ جرجان، ت 420 ص 258-260، باتفاق
 الاسم والسراج والطبقة، ولا يظهر في ترجمته تعديل صريح.
 فالمشكلة حد التقويم لا مجهولية الهوية، ولا تتحول مقابلة
 المتن إلى تصحيح شامل للطريق.

<https://sunna.alifta.gov.sa/BookToc/ViewServicePage?bookId=48&mainId=448301>

42. المزني، تهذيب الكمال، تحقيق بشار عواد معروف،
 ج16 ص19-20؛ الخطيب، تاريخ بغداد، تحقيق بشار
 عواد معروف، ج11 ص397، ويقابله تحقيق مصطفى

عبد القادر عطا، ج 10 ص 158-159؛ والبيهقي، الجامع لشعب الإيمان، ج 3 رقم 1626. يلتقي فرعا الخطيب وطريق البيهقي عند عثمان بن أحمد بن السماك، ثم الفتح بن شخرف، عن عباس بن يزيد، عن حبان بن موسى؛ فهي مخرج إلى جذع واحد لا وقائع عتاب متعددة. وصيغة حبان «عوتب ابن المبارك» لا تصرح بأنه شهد العتاب؛ فصحبته المعروفة لابن المبارك لا تحول الحكاية إلى شهادة حضور. تحفظ الأوعية فروق «أعناهم/أغنياهم» و«ضاع علمهم/ضاع عليهم»؛ أثبت المتن لفظ تهذيب الكمال وحده ولم يركب بينها. مقابلة نص المزي:

<https://sunna.alifta.gov.sa/BookToc/ViewServicePage?bookId=48&mainId=448301>

43. الخطيب، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، ج 10 ص 157؛ ويقابله تحقيق بشار عواد معروف ج 11 ص 395. قوبل خبر رفقة الحج كاملاً من أول الإسناد إلى رد الصرر. الطريق: عمر بن إبراهيم والحسن الخلال، كلاهما عن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الكاتب، عن أحمد بن الحسن المقرئ، عن عبد الله الدوري، عن محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسن بن شقيق. لا يصرح الأب بالمعينة، وترجح هوية إسماعيل الكاتب بابن زنجي

الذي نقل الخطيب تضعيفه؛ فلا تصحح المقابلة جميع التفاصيل، ولا يعد تعدد الراويين فوق إسماعيل شاهدين مستقلين تحته.

https://ablibrary.net/book_content/b/5902/1

57?lang=ar

44. إحالة داخلية: نص خبر التجارة وتمتته كاملاً في أول فصل المال عند الحاشية 39، مع علل الطريق واعتراض الذهبي. لا يعاد النص هنا دفعاً للتكرار.

45. الفسوي، المعرفة والتاريخ، ج 2 ص 121، خبر أبي الوليد في أربعة أحاديث محمد بن جابر. قول النص الكامل في المصور، ويؤيده النقل النصي المتاح: أبو الوليد هو الذهاب والكاتب والراجع والمأحي؛ و«غلط» حكم ابن المبارك في الرواية المعروضة، لا اعتراف منه بخطئه، ولا حكم محرر على جميع حديث محمد بن جابر.

46. الترمذي، الجامع، عقب الحديثين 78 و 75. السؤال الأول من طريق صالح بن عبد الله الذي يصرح بالسؤال؛ لا ينقل حكم حديث صدر الباب إلى طريق القول. العرض تاريخي، وليس فتوى في أحوال القارئ.

47. المصدر نفسه، عقب الحديث 21، بطريق أحمد بن عبدة
الآملي عن حبان. تفسير التعليل أو الحكم على الطريق
منفصل عن مجرد ثبوت النقل في الكتاب.

48. المصدر نفسه، عقب 641 و673 و686، وتقرن 27 و96.
الآراء منقولة في خريطة المصنف ولا يؤرخ بها انتقال
مذهبي.

49. الترمذي، الجامع، عقب الحديث 78، بسماع الترمذي من
صالح بن عبد الله سؤاله ابن المبارك عن نوم القاعد
المعتمد. نقل النص كاملاً في موضعه، وحفظ عرض
الخلاف بعده منفصلاً.

<https://sunnah.com/tirmidhi:78>

50. الترمذي، الجامع، عقب الحديث 21: قول ابن المبارك
بطريق أحمد بن عبدة الآملي، عن حبان. قول النص
العربي كاملاً؛ طريق القول متميز من إسناد الحديث
المرفوع في صدر الصفحة.

<https://sunnah.com/tirmidhi:21>

51. الترمذي، الجامع، عقب الحديث 75. قول القولان
المنسوبان إلى ابن المبارك كاملين في الصفحة نفسها؛ حكم

الترمذي على الحديث المرفوع منفصل عن مجرد نقل
القولين. <https://sunnah.com/tirmidhi:75>

52. الترمذي، الجامع، عقب الحديث 641. قول مقطع
الخلافاً كاملاً، وحفظ تنبيه أبي عيسى إلى المقال في
إسناد حديث الباب في التعليق. العرض تاريخي لا ترجيح
فقهي. <https://sunnah.com/tirmidhi:641>

53. ابن المبارك، الزهد والرقائق، تحقيق حبيب الرحمن
الأعظمي، متن رواية الحسين المروزي، ص 62-69،
الأرقام 186-211، ولا سيما 188 و 189. نسبة حديث
النيات إلى النبي صلى الله عليه وسلم متميزة من قول جعفر
بن حيان، ولا يدعي هذا الوصف تصحيح كل طرق
الباب.

54. المصدر نفسه، ص 110-112 و 120-124 و 210-
229. حدود باب صلاح أهل البيت 110-112،
وليست 110-119؛ وتبقى أقوال محمد بن المنكدر وخيشمة
وابن عباس أخباراً عن غير ابن المبارك.

55. ابن المبارك، الزهد والرقائق، رواية الحسين المروزي، الطبعة
المعتمدة في قائمة المصادر، ص 62، الأثر 187. بيان الدوام
منسوب إلى عبد الله بن عمرو؛ قبول الموضع بالمصور في

البحث السابق، لا تصحيح مستقل لجميع حلقات الطريق
في هذه التوسعة.

56. المصدر نفسه، ص 64-65، الآثار 193-198، ومنها قول

عبد الله بن عروة. تذكر الأسماء والموضوعات لفهم مادة
الكتاب، ولا تنسب الأقوال إلى ابن المبارك بصفته قائلها.

57. المصدر نفسه، ص 66-67، ضمن الآثار 199-203.

مجموعة تختلف فيها أنواع النصوص والطرق، وفي بعضها
إيهام؛ لم يستعمل الخبر لإثبات عادة شخصية أو إنشاء حكم
شرعي.

58. الموضع نفسه، رسائل عائشة إلى معاوية واختلاف الرفع

والوقف في طرق المجموعة. «رسالة» هنا وصف للنص

المنقول، وليست دعوى العثور على أصل مكتوب بخط

عائشة أو على نسخة تلقاها ابن المبارك مباشرة.

59. الحسين بن الحسن المروزي، البر والصلة، تحقيق محمد سعيد

محمد حسن بخاري، دار الوطن، مقدمة التحقيق ص 10-

11 و 17-25. ثبت نسبة الوعاء إلى روايته عن ابن

المبارك وغيره؛ لا يدعى أن جميع 351 خبراً لابن المبارك.

. <https://archive.org/details/37790>

60. المصدر نفسه، متن الكتاب ص 22-23، الأخبار 44-46. اختلاف أول طبقة والقائل محفوظ؛ العرض وصف لمادة الرواية، لا تصحيح مستقل لأسانيدھا ولا إثبات ممارسة أسرية شخصية.

61. المصدر نفسه، ص 111-114، الأخبار 214-221. استعملت الموضوعات هنا لبيان مجال المرويات، مع فصل درجاتها؛ 219 لا يصحح 220، و 221 استمرار بسنده لا متابعة مستقلة.

62. المصدر نفسه، ص 128، الخبر 252، من طريق ابن المبارك عن عبيد الله بن شميطة. الفاعل الحسن، والمقدار متردد في النص؛ لا يتخذ شاهداً لمقدار عطاء ابن المبارك.

63. المصدر نفسه، ص 51، الخبر 99 وحكم المحقق بإرساله؛ يقارن موضع الاستمرارين 221 و 250 في ص 114 و 128. البيان هنا لبنية الطريق، لا اعتماد إجمالي لأحكام الطبعة.

64. المصدر نفسه، مقدمة التحقيق ص 29-32؛ العناوين الموسعة والترقيم والفهارس من عمل المحقق. لم تقابل في هذه التوسعة ألواح المخطوط كاملة، ويستند الوصف إلى المقابلات المصورة الموثقة سابقاً.

65. المصدر نفسه، مقدمة التحقيق ص 35 و 62-63، وخريطة الأقسام في فهرس الطبعة. رواية المروزي والزيادات سلسلتا ترقيم مختلفتان؛ الحواشي لا تدمج في المتن صامتاً.
66. مسند الإمام عبد الله بن المبارك، تحقيق مصطفى عثمان محمد، ص 5-7؛ تقارن طبعة صبحي البدرى السامرائي، مكتبة المعارف، ط 1407، 1هـ. التبويب الحديث لا ينسب إلى المصنف.
67. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 7، ص 263. خبر أرض الروم في ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 37، ص 25، يراجع بطريقه ولا يعين به تاريخ حملة الوفاة.
68. ابن المبارك، كتاب الجهاد، تحقيق نزيه حماد، دار المطبوعات الحديثة، ص 60-66، الأخبار 5 و 7-14. في بعض الطرق تردد أو ضعف يحتاج حكمه الخاص؛ تستعمل هنا لوصف مادة الكتاب، لا لإثبات كل قول أو نية شخصية.
69. أبو إسحاق الفزاري، السير، تحقيق فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، ط 1987، 1م، ص 106-111، المسائل 10-26. المقارنة سياقية، ولا تنقل الأحكام إلى ابن المبارك.

70. أحمد، العلل ومعرفة الرجال، رواية عبد الله، تحقيق وصي الله عباس، دار الخاني، ط 1422، 2/2001م، ج 3، ص 484، رقم 6071. قبلت الصفحة المصورة؛ النهي مقيد بحديث الرجال الثلاثة عن جرير، ولا يحمل على جميع روايته. المقارنة برقعة السؤال إحالة إلى 6070، لا ادعاء اتحاد الواقعتين.

71. ابن أبي حاتم، مقدمة المعرفة، ج 1، ص 265 و 276، عن المسيب بن واضح. تكرر الخبر في موضعين لا يجعله شاهدين مستقلين، وفارق السن منقول في الخبر لا تاريخاً ميلاد محققين هنا.

72. أبو نعيم، حلية الأولياء، ج 8 ص 165. الطريق: أبو نعيم ← إبراهيم بن عبد الله ← محمد بن إسحاق ← محمد بن سهل بن عسكر ← أحمد بن سعيد الدارمي ← السندي بن أبي هارون. قبل لفظ المتن بصورة الصفحة والنص الرقي. لا يدل ضمير «كتبنا» على تأليفهما كل ما في الكتب.

73. الفسوي، المعرفة والتاريخ، ج 2، ص 386-387. أبو بكر معين بالسياق بابن أبي مريم؛ خبر غيره لاحقاً لا يجعل من قول ابن المبارك دون نص.

74. العجلي، معرفة الثقات، تحقيق عبد العليم البستوي، ج2، ص54-55، ترجمة959؛ وتبقى عبارة «أضعف أهل المجلس» وصفاً في سياق المجلس، فلا تتحول وحدها إلى جرح في صدق الراوي. حكم الوظيفة المجلسية منفصل عن الحكم على الرواية؛ طريق المجلس مرجح مبدئياً لا مصحح هنا تصحيحاً مستقلاً.

75. مثال الحسن بن عيسى في أحمد، العلل، ج3، الأرقام6056-6080؛ وخبر الرفقة في الخطيب، تاريخ بغداد، تحقيق بشار، ج11 ص395، يقابله نص عطا ج10 ص157-158؛ وشهادة الحسن بن الربيع في نص عطا ج10 ص166. خبر الرفقة ليس في درجة سائر الشواهد: ترحح هوية إسماعيل الكاتب فيه بابن زنجي، وقد نقل الأزهري تضعيفه؛ تراجع حاشية خبر رفقة الحج. لا تجمع هذه الروايات في يوم واحد أو طبقة ثبوت واحدة.

76. الترمذي، الجامع، رقم2005، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق. نقل النص كاملاً في المتن. يسمي نص الترمذي في العرض المباشر أحمد بن عبدة «الضبي»، بينما وقع في تحفة الأشراف13/263 رقم18936 «الأملي»؛ وأبو وهب هو محمد بن مزاحم بحسب المزي.

تحفظ مسألة اختلاف النسبة هنا في الحاشية ولا تقطع سياق القارئ.

77. أحمد، العلل ومعرفة الرجال، رواية عبد الله، تحقيق وصي الله عباس، دار الخاني، ج3، ضمن ص 479-486، رقم 6069. الاستعمال مبني على المقابلة السابقة المثبتة في خريطة المصادر، ولا يدعى إحصاء يومي أو استقلال هذه الأخبار عن طريق الحسن بن عيسى.

78. المصدر نفسه، رقم 6080. المنقول رد على خبر مجلس، لا شهادة بحضور ابن المبارك ذلك المجلس ولا وصف لحركة نفسية باطنة.

79. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ضبط وكتابة هوامش إبراهيم رمضان وسعيد اللحام، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ج4 ص 121-122. تعرض الصفحة الأولى عنوان الجزء وبيانات الناشر والمحققين، ولا تعرض سنة أو رقم طبعة؛ فلا تنسب النسخة الرقمية إلى

طبعة 1409هـ/1989م إلا بوصف توافق بنيوي لا تعييناً. نُقل الخبر كاملاً من الكلمة التي تفتتح بـ«قال الحسن».

الطريق في هذا الموضع مختصر ولا يسمي الحسن كاملاً؛ فلا يستكمل اسمه حدساً من طريق آخر، ولا تعامل مشاهد

الكلمة كطرق مستقلة بعددها.

https://ablibrary.net/book_content/b/13502/

1?lang=ar

80. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج4 ص121-122، ضمن كلمة أخبار الحسن نفسها. نُقل الخبر كاملاً في المتن. محو عبارة «قال عبد الله وبه نأخذ» لا يثبت منع تدوين آرائه كلها، ولا يثبت رد الكتاب كله أو رجوعاً عن حكم معين؛ هذه الحدود تُحفظ في الحاشية بدل قطع السرد.

81. أحمد، العلل ومعرفة الرجال، ج3 ص483-484، رقم6070. أثبت نص الرواية كاملاً في القسم العملي «إذا كنت تتعلم كثيراً ولا تتغير قدرتك»؛ وهذه إحالة داخلية صريحة، لا متن ثانٍ ولا شاهد مستقل.

82. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج4 ص122. نُقل الخبر كاملاً بلفظ الكلمة: «قال الحسن». الطريق مختصر، ولا يعد هذا المشهد شاهداً مستقلاً عن سائر أخبار الكلمة. لا يسمي النص صاحب الحمام الآخر ولا ما آل إليه أمر الطيور، فلا يستقل وحده بحكم فقهي.

83. ابن حبان، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق عبد العليم الدرويش، دمشق2008، ج2 ص927، رقم897:

أحمد بن قريش بن عبد العزيز، عن إبراهيم بن محمد الذهلي،
 عن الحسن بن عيسى بن ماسرجس. تعين حاشية الطبعة
 إبراهيم بأنه إبراهيم بن علي بن محمد الذهلي، وتسمي الحسن
 صراحة في هذا الطريق وحده؛ ولا يصل تكرار اللفظ بقية
 مشاهد صفة الصفوة بهذا الإسناد. يحصر فهرس التحقيق
 مواضع أحمد في الأرقام 101 و 569 و 897 و 920؛ وفي
 الأربعة يروي ابن حبان عنه عن إبراهيم الذهلي، من غير
 ترجمة أو تعديل، فلا يصير التكرار داخل الكتاب متابعة
 مستقلة. بقي أحمد بلا تقويم مستقل مستخرج، ولم تستكمل
 دراسة الاتصال؛ فلا يصحح الخبر بوجود النص أو بتعيين
 اثنين من رجاله. موضع مصورة 1368هـ/1949م
 ص 273.

https://ablibrary.net/book_content/b/11156/

399 ؛ <https://shamela.ws/book/35100/6845> .

84. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج 4 ص 122. نُقل خبر الوليمة
 كاملاً من الكتلة المختصرة نفسها، بصيغة «قال» عقب
 أخبار الحسن. لا إسناد جديد ظاهر له في هذا الموضع،
 وهو غير مؤرخ ولا يسمي مكان المناسبة؛ تبقى هذه
 التفاصيل في الحاشية ولا تُستكمل بالتخمين.

85. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج4 ص121. نُقل خبر السقاية كاملاً. لا يعين النص مدينة السقاية، ولذلك لا تُنسب إلى الكوفة أو مرو بغير شاهد. عبارة «يعني حيث لم نعرف ولم نوقر» تفسير في الرواية، لا جزءاً ثانياً من قول ابن المبارك؛ حفظت هذه الملاحظة في الحاشية.
86. ابن حجر، التلخيص الحبير، ج1 ص23، في التنبيه على لفظ «ينوبه»؛ نُقل التنبيه كاملاً من الأصل النصي المحفوظ في شواهد المشروع. وقارن أحمد بن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، ج2 ص429، رقم 2893، وقد قوبل موضعه سابقاً بمصور طبعة دار الخاني الثانية، 1422هـ/2001م. نسبة ابن حجر النقد إلى الدارقطني تبقى طبقة نقل متميزة من حكم أحمد؛ ولا تثبت الإحالتان تراجع ابن المبارك أو حكماً على جميع طرق الحديث.
87. يعقوب الفسوي، المعرفة والتاريخ، ج2 ص210-211. أثبت الخبر كاملاً بما فيه لفظ رواية الحميدي، وصورة طريق ابن المبارك، واعتراض صدقة وجواب المقابلة. يعرض الموضع الاعتراض والجواب ولا يحسم محل الوهم قبل جمع طرق الحديث؛ ولا تُحوّل مقابلة اللفظ إلى حكم شامل على الراوي.

88. أحمد، العلل ومعرفة الرجال، ج3 ص485، رقما 6075 و6076، وحاشية المحقق 5. الطريق في 6075: عبد الله بن أحمد ← الحسن بن عيسى، وفيه عبارة ابن المبارك ثم تفسير الحسن لاستعمالها. أما 6076 فكلام أحمد في قلة تصريح عبد السلام بلفظ «حدثنا»؛ وتعليق دلالاته للمحقق. وصف هذه الطبقات لا يتضمن ترجيحاً مستقلاً نهائياً في الرجل.

89. أحمد، العلل، ج3 ص269، رقم 5194؛ عبد الله بن أحمد، السنة، تحقيق محمد بن سعيد القحطاني، ج1 ص213-214، رقما 348 و351. الطريق الأقصر 351 عن إبراهيم بن شماس أرحج في أصل الصحبة بالسفينة والأمر المتعلق بالحديث؛ لا تحمل عليه زيادات 348 ولا تجزم بجميع تفاصيله. خبر الحسن بن الربيع جذع آخر يحتاج حكمه الخاص، وليس تكرار الأوعية تعدد شهود. قوبل موضع أحمد بالمصور من طبعة دار الخاني الثانية، 1422هـ/2001م.

90. الفسوي، المعرفة والتاريخ، ج2 ص789؛ وقارن العقيلي، الضعفاء الكبير، ج4 ص441، والخطيب، تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، ج16 ص376. أثبت نص الفسوي كاملاً؛ ضبط الراوي: عبد الرزاق بن عمر البريعي، لا «الزيري». تعدد الأوعية مع الالتقاء عند شاهد الواقعة

لا يثبت استقلال الشهادات. سبب الشدة وتاريخها
وتفصيل المسألة غير معينين، ولا يقدم الخبر فتوى في
الاقتداء بالصلاة.

91. أبو نعيم، حلية الأولياء، ج 8 ص 169. الطريق: أبو نعيم ←
إسحاق بن أحمد بن علي ← إبراهيم بن يوسف بن خالد ←
أحمد بن أبي الحواري ← بعض أصحابه. وفي آخر الخبر
عرض أحمد الرواية على محمد بن أبي شيبة ابن أخت ابن
المبارك، فصحح معنى الخروج من الدار. قبل النص
كاملاً بصورة الصفحة وبالنص الرقي؛ الراوي المبهم باقٍ،
وتصحیح المتن الداخلي لا يصحح الطريق كله.

92. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 32 ص 448-449؛ الذهبي،
ميزان الاعتدال، ج 3 ص 607-608. فرعا خبر القصيدة
يلتقيان عند أبي المفضل الشيباني؛ علة النسبة باقية،
وتختلف الروايات في سنة الإرسال ولفظ اسم المخاطب.
هذا الحكم يخص هذه القصيدة وطريقها، ولا يسري آلياً
على كل شعر ينسب إليه.

93. الفسوي، المعرفة والتاريخ، ج 2 ص 194، مع ج 3 ص 157.
أثبت النص القصير كاملاً. المقابلة الداخلية ترجح تعيين
الاسم المختصر بعلي بن الحسن بن شقيق؛ الموضعان لا

يصيران شاهدين مستقلين عند التقاء طريقتهما، واللفظ لا يبين سبب الإعياء ولا يساوي اتهام حماد أو طرح حديثه كله.

94. ابن قتيبة، الأشربة وذكر اختلاف الناس فيها، باب حجج المحلين لما دون السكر، فقرة «وحدثني محمد بن عبد الله عن إبراهيم بن أبي بكر بن عياش»؛ النص الرقي:

<https://www.islamicbook.ws/adab/alashrbt.ht>

ml . محمد بن عبد الله في الطريق غير معين، والتاريخ غير المذكور؛ لذلك يثبت وجود النص ولا يجزم بوقوع الحوار أو يؤرخ تحوّلًا شخصيًا. وتقارن مواضع البيهقي، معرفة السنن والآثار، ج 13 ص 25 و 28 و 32-33، الأرقام 17371-17374؛ ومعرفة الثقات، ج 2 ص 55-56؛ والخطيب، الكفاية، ص 78-79، من غير دمج مجالسها أو أصواتها.

95. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 7 ص 263، ترجمة 3643؛ نُقل نص الترجمة كاملاً في المتن. وقارن البخاري، التاريخ الكبير، ج 5 ص 212، ترجمة 679؛ والخطيب، تاريخ بغداد، ج 10 ص 166، دار الكتب العلمية. اتفقت أصول العرض على سنة 181 هـ وهيت والرجوع من الغزو، وبقي

تعيين يوم رمضان مختلفاً فيه؛ ولا يعين أي منها اسم حملة
في هذا الموضع.

96. أحمد، العلل ومعرفة الرجال، ج3 ص489، رقم6091.
الطريق: عبد الله بن أحمد، من كتاب أبيه بخطه، عن
الحسن بن الربيع. نقل الخبر كاملاً بما فيه صدره عن مولد
أبي بكر بن عياش؛ والجواب في العمر مستقل في وظيفته
عن أي تفصيل متخيل لمشهد الوفاة.

97. ابن خير الإشبيلي، الفهرسة، تحقيق بشار ومحمود، دار
الغرب الإسلامي، 2009، ص332، رقم562؛ وقول
بتحقيق محمد فؤاد منصور ص235 رقم547، وتحقيق
إبراهيم الإبياري ج1 ص340 رقم555، وبمصورة
الألوكة، الصورة92 يساراً وتمتته93 يمينا. أثبت القيد
كاملاً في المتن. وصف طرق الرواية ووسائلها لا يصحح
آلياً كل حلقة أو كل متن في النسخ المتداولة.

98. المصدر السابق، رقم562؛ أُحيل إلى القيد الكامل المثبت
في الفقرة السابقة منعاً لتكراره. ثبت الصورة92 يساراً
سنة384هـ، والصورة93 يمينا سنة398هـ في سماع محمد بن
عتاب الأب. لفظ «جميعها» لا يسوى بعدد مواد الطبعة

الحديثة، ولا يحول الوقت المذكور إلى قياس لسرعة القراءة.

99. ابن خير، الفهرسة، تحقيق بشار ومحمود، دار الغرب الإسلامي، 2009، ص 295، رقم 448 وحاشيته 3، وقبول بتحقيق منصور ص 205 رقم 434، وتحقيق الإياري ج 1 ص 292-293 رقم 440، وبمصورة الألوكة، الصورة 83 يميناً. أثبت القيد كاملاً في المتن. يرد في طبعة بشار «أحمد بن خالد بن يزيد» ويعرفه المحقق بابن الجباب، وتؤيده ترجمة ابن الفرضي؛ وتحفظ قراءة «خلاد» في الطبعتين السابقتين. تميز عبد الملك المصيبي من الأندلسي منصوص في القيد، ولا يصحح ذلك الطريق كله أو يطابق تلقائياً مطبوع الجهاد بطريق سعيد بن رحمة.

100. الحسين المروزي، البر والصلة، تحقيق محمد سعيد بخاري، المقدمة ص 17-20. أعمدة الجدول أعداد للروايات في الكتابين، لا أعداد مجالس سماع. أثبتت نصوص الأخبار 342، 117، 116، 99، 44، 21، 1 كاملة في المتن من ص 61، 51، 22، 12، 1-177، 62؛ وفي 342 يروي ابن المبارك عن شعبة، وابن مهدي عن سفيان، ويلتقيان عند واصل الأحذب.

101. المصدر نفسه، المقدمة ص21، قائمة تلاميذ الحسين نقلاً عن المزي؛ وقوبلت بتهذيب الكمال 6/362-363، ترجمة 1304، وأثبتت فقرة «روى عنه» كاملة في المتن. ثبت صلة الرواية بالحسين، ولا ثبت أن المذكورين جميعاً رَوَوْا هذا الكتاب.

102. المصدر نفسه، المقدمة ص11-15: وصف النسخة وعينات عنوانها وأولها وآخرها. أثبت وصف المحقق للنسخة كاملاً في المتن. عبارة خلوها من السماعات وصف للمخطوط؛ وفي العنوان المنقول لفظ «بسماع»، فلا تنفي العبارة كل ورود للفظ السماع، ولا ثبت وحدها مجالس تلقي النسخة.

103. الترمذي، الجامع، رقم 2410، باب ما جاء في حفظ اللسان: «حدثنا سويد بن نصر، أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن معمر، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن ماعز، عن سفيان بن عبد الله الثقفي». وقال أبو عيسى عقب المتن: «هذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن سفيان بن عبد الله الثقفي». قوبل النص العربي الرقي في Sunnah.com في 29 سبتمبر 2026؛ ودرجة دار السلام في بطاقة الموقع منفصلة عن حكم أبي عيسى. لا

يعمم حكم الموضع على جميع مرويات ابن المبارك أو كتاب
معمر.

104. إحالة داخلية إلى النص الكامل عند الحاشية 35:
مقدمة صحيح مسلم، طريق محمد بن عبد الله بن قهزاد، عن
عبدان، عن عبد الله بن المبارك. ويعيد ابن خير، الفهرسة،
تحقيق بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، دار الغرب
الإسلامي، ط 2009، 1م، ص 35، الطريق عبر مسلم بن
الحجاج في سياق رواية الكتب؛ فلا يعاد النص هنا ولا يعد
مروره بابن خير شاهداً مبكراً مستقلاً.

105. معمر بن راشد، الجامع ضمن مصنف عبد الرزاق،
تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي،
ط 1403، 2هـ/1983م، ج 10 ص 379-395،
الأرقام 19419-19476. قولت المصورة: تصرح
الأرقام 19419 و 19420 و 19423 بمعمر، بينما
يبدأ 19421 بأبي إسحاق و 19424 بعاصم و 19475 بعبد
العزیز من غير ذكر معمر في ظاهر الطريق؛ وفي 19437
تعقيب مصرح لمعمر، وفي 19447 تفسير للزهري وقتادة،
وفي 19472 مشاهدة لعبد الرزاق لخاتم معمر. لذلك لا
يدخل اسم معمر في طريق لا يسميه، ولا يتحول الخبر الذي

يرويه إلى فعله الشخصي. واقعة القراءة مع ابن المبارك موثقة في فصل التعلم، ولم تعد هنا خبراً جديداً.

106. أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر، 1416هـ/1996م، ج8 ص86-87 وص90-91. طريق الخبر الأول: أبو نعيم ← محمد بن علي ← أبو سعيد الجندي ← إسحاق بن إبراهيم؛ وطريق الثاني: أبو نعيم ← أبو محمد بن حيان ← أحمد بن الحسين ← أحمد بن إبراهيم ← فيض بن إسحاق. قبل النصان بصور الصفحات والنص الرقي. هما خبران مستقلان في ترجمة الفضيل، ولا يجعلان قول الفضيل قولاً لابن المبارك أو دليلاً على امتناع مطلق عن التعليم.

107. أبو إسحاق الفزاري، السير، ص106-111، الأرقام 10-26، تحقيق فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، 1987م. موضع المقارنة قضايا المال والحقوق والقوة العامة؛ لا يرد ابن المبارك طرفاً في هذه النصوص، ولا ثبت موافقته على كل حكم فيها.

108. أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر، 1416هـ/1996م، ج8 ص91-92. الطريق: أبو نعيم ← محمد بن إبراهيم ← أبو يعلى ← عبد الصمد بن يزيد

البغدادي ← الفضيل. قول النص بصورتي الصفحتين.
الكلام عن صلاح الإمام وجمع المتعلمين مقترح وتعليل
منسوبان إلى الفضيل، لا إثبات لتنفيذ مؤسسة أو لعدد
منتظم للمستفيدين.

109. أحمد بن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، رواية عبد
الله بن أحمد، تحقيق وصي الله عباس، دار الخاني، الطبعة
الثانية، 1422هـ/2001م، ج3 ص483-484،
رقم 6070. الطريق: عبد الله بن أحمد ← الحسن بن عيسى
← ابن المبارك. قول اللفظ بنص الطبعة المرقم. أصل
الإعداد والسماع والرجوع إلى الشيخ منصوص؛ أما
أدوات التنفيذ الآتية فمعاصرة.

110. أحمد بن حنبل، العلل ومعرفة الرجال،
ج3 ص485-486، رقم 6078. الطريق: عبد الله بن
أحمد ← الحسن بن عيسى ← ابن المبارك. قول النص
بالأصل المرقم. الخبر يذكر السكوت واللقاء بعد أيام، ولا
يصرح بحث أجراه ابن المبارك في أثنائها. تراجع
اختلافات النقاد في ترجمتي أسباط بن محمد ومحمد بن
فضيل في سير أعلام النبلاء.

111. إحالة داخلية إلى النص الكامل في فصل «على الطريق إلى بغداد» وحاشيته: ابن حبان، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، رقم 897. لا يعاد النص هنا منعاً للتكرار، ولا يعلق التطبيق المعاصر على تصحيح جميع أعالي الطريق.

112. أحمد بن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، ج3 ص485-486، رقم 6080. الطريق: عبد الله بن أحمد ← الحسن بن عيسى. قبل النص بالأصل المرقم؛ وأبقي تركيب «طيب، إنه كان من أهل البصرة؟» على لفظ المطبوع مع ترقيم تحريري. الراوي لم يصرح لابن المبارك باسمه عند حكاية الترشيح، و«فكأنه فطن» تقدير الراوي. أدوات توزيع الأدوار وتصحيح نسبة العمل تطبيقات معاصرة.

113. إحالة داخلية إلى نص ابن سعد الكامل عند الحاشية 96. وأما الرواية الثانية: أحمد بن حنبل، العلل ومعرفة الرجال، رواية عبد الله، تحقيق وصي الله عباس، دار الخاني، ج3 ص294، رقم 5307؛ وطريقها عبد الله بن أحمد ← أحمد بن حنبل ← إبراهيم بن إسحاق ← ابن المبارك. إثبات السؤال بمكة لا يقتضي اعتماد الجواب الجارح دون دراسة الرجل والطريق.

114. أحمد، العلل ومعرفة الرجال، ج3 ص486-487،
رقم 6082. الطريق: عبد الله بن أحمد ← الحسن بن عيسى
← ابن المبارك. قبول النص بالأصل المرقم؛ وتراجع
حاشية فصل النشأة في أصل السماع وتاريخ وفاة موسى.
اسم الشيخ لا يثبت مكان كل لقاء به.
115. الدارمي، المسند، تحقيق حسين سليم أسد الداراني،
ج1 ص643-644، رقم 919 بترقيم الطبعة، وهو
رقم 915 في بعض الفهارس الرقية. نقل الخبر وتعقيب
أبي محمد كاملين. عبارة «إسناده جيد» حكم المحقق في
الطبعة، وليست من كلام الدارمي ولا من متن الرواية؛
ولم تُنقل إلى المتن.
116. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق علي
شيري، دار الفكر، ج37 ص25، في ترجمة أبي إسحاق
الفزاري. نقل الخبر كاملاً من الطريق الذي ساقه ابن
عساكر. لفظ المصدر «فجيء بها» في العرض المنشور،
وحملت الجفان على رؤوس الشرط، وفيها الكعك والسويق
والتمر. تنبيه المحقق إلى صوائف 173 و177 و187 في
الهامش ليس جزءاً من الخبر، ولا يعين سنة الواقعة.

المصادر والمراجع

تعيّن الحواشي موضع كل استشهاد وطبعة المصدر حين تتعدد الطبعات المستعملة. وتجمع هذه القائمة الكتب والدراسات المحال إليها في المتن، ولا تعني أن روايات الكتاب الواحد متساوية في الثبوت، أو أن جميع الأخبار المنقولة فيه قد اعتمدت.

المصادر

أحمد بن حنبل. العلل ومعرفة الرجال، رواية عبد الله بن أحمد. تحقيق وصي الله عباس. دار الخاني، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد. الجرح والتعديل، ومنه مقدمة المعرفة. الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن، 1371هـ/1952م؛ والنسخة المتداولة مصورة لدى دار الكتب العلمية. قول خبر ابن لهيعة في ج 5 ص 146-148 بمصور ملف 05_1551 من مجموعة الوقفية/أرشيف الإنترنت. يبدأ هذا الملف بالمتن، لكن هوية الطبعة ثبتت من واجهة المجموعة ومقدمتها وبياناتها؛ وقول خبر البستان في مقدمة ج 1 ص 268-269 على صورة الموضع. لا تعني نسبة التصوير إلى

دار الكتب العلمية أنها ناشر الأصل، ولا تغني مقابلة الموضعين عن فحص الطريق كاملاً.

المعلبي، عبد الرحمن بن يحيى. التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، تحقيق علي بن محمد العمران ومحمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد، ج 1، ضمن الآثار ج 10. قوبلت صفحة العنوان وص 776-777، ترجمة أبي العلاء الواسطي؛ لم تعين سنة الطبع من المصور المفحوص.

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. صفة الصفوة، ضبط وكتابة هوامش إبراهيم رمضان وسعيد اللحام، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت. النص المستعمل من الجزء الرابع في النسخة ذات أربعة أجزاء؛ تطابق بنيتها فهرسة طبعة 1409هـ/1989م في مجلدين يضممان الأجزاء 1-4، لكن الصفحة الأولى للجزء الرقي تعرض العنوان والناشر والمحققين بلا سنة أو رقم طبعة؛ لذلك لا تعين النسخة الرقية بهذه المطابقة البنيوية وحدها.

ابن حبان، محمد بن حبان. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء. طبعة 1368هـ/1949م بتصحیح محمد محي الدين عبد الحميد ومحمد عبد الرزاق حمزة ومحمد حامد الفقي، بحسب صفحة العنوان الموثقة في التحقيق السابق. وتحقيق عبد العليم محمد الدرويش، منشورات

الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق 2008؛ عيّنت
مواضع النص الرقي المستعمل في الحواشي، وفصلت عن ترقيم
إسلام ويب.

ابن حجر العسقلاني. التلخيص الحبير؛ ولسان الميزان، الطبعة
الهندية.

ابن خير الإشبيلي. فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين
المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف. استعملت طبعات
تحقيق محمد فؤاد منصور، وإبراهيم الإياري، وشار عواد معروف
ومحمود بشار عواد؛ وطبعة بشار ومحمود: دار الغرب الإسلامي،
الطبعة الأولى، 2009م؛ وفصلت إحالات الطبقات في الحواشي.
ابن سعد، محمد. الطبقات الكبرى. دار الكتب العلمية.

ابن عساكر، علي بن الحسن. تاريخ مدينة دمشق، تحقيق علي
شيري، دار الفكر؛ ترجمة عبد الله بن المبارك في الجزء السابع
والثلاثين.

أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله. حلية الأولياء وطبقات
الأصفياء، دار الفكر، 1416هـ/1996م.

البخاري، محمد بن إسماعيل. التاريخ الكبير. دائرة المعارف
العثمانية.

الدارقطني، علي بن عمر. المؤلف والمختلف. تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، ط 1406، 1هـ/1986م؛ استعمل النص الرقي لج 4 ص 2098.

ابن الجزري، محمد بن محمد. غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق جمال الدين محمد شرف ومجدي فتحي السيد، تقديم عبد الكريم إبراهيم عوض صالح، دار الصحابة للتراث، طنطا، الطبعة الأولى، 1429هـ/2009م، ثلاثة أجزاء بترقيم متصل؛ موضع الاستعمال ج 3 ص 1273، ترجمة 3589.

القالبي، إسماعيل بن القاسم. الأمل، منشورات المكتب الإسلامي، ج 2 ص 183؛ استعمل موضع أبي يعقوب وراق ابن دريد عن مسبح بن حاتم عن سليمان بن أبي شيخ.

البيهقي، أحمد بن الحسين. معرفة السنن والآثار.

الحسين بن الحسن المروزي. البر والصلة، روايته عن ابن المبارك وغيره. تحقيق محمد سعيد محمد حسن بخاري، دار الوطن.

الترمذي، محمد بن عيسى. الجامع. تُعين أرقام الأحاديث مواضع النصوص وتعليقات المصنف في الحواشي.

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي. تاريخ بغداد. قوبلت أخبار المال على مصورة تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 1422هـ/2001م، المجلدين 7 و 11، وعلى النص

الرقمي لدراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1417هـ/1997م؛ ثبتت بياناتها من صفحة النشر في الجزء السادس، ص2، وهي مختلفة الترقيم عن طبعة بشار. تبقى إحالات المواضع الأخرى على طبعاتها المبينة في الحواشي، ولا يعني ذلك مقابلة مصوراتها كلها. والكفاية في علم الرواية.

الذهبي، محمد بن أحمد. سير أعلام النبلاء؛ وميزان الاعتدال في نقد الرجال؛ وتاريخ الإسلام، تحقيق بشار عواد معروف، النص الرقمي لترجمتي إبراهيم الذهلي ومسبح العكلي، ج6 ص913 و1056.

عبد الله بن أحمد بن حنبل. السنة. تحقيق محمد بن سعيد القحطاني.

عبد الله بن المبارك. الزهد والرقائق. تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. والجهاد، تحقيق نزيه حماد. والمسند، بطريق الحسن بن سفيان؛ تذكر الروايات والطبعات المعينة في مواضع الاستشهاد. العجلي، أحمد بن عبد الله. معرفة الثقات، في النص المرتب؛ وتعين الحواشي المواضع المستعملة. العقيلي، محمد بن عمرو. الضعفاء الكبير.

الفراري، أبو إسحاق. السير. تحقيق فاروق حمادة. مؤسسة الرسالة، 1987م.

الفسوي، يعقوب بن سفيان. المعرفة والتاريخ. تحقيق أكرم ضياء العمري. قوبلت المواضع المبينة في الحواشي على صور الأجزاء، مع مراعاة اختلاف بيانات طباعة الأجزاء عن بيانات بعض الواجهات النصية.

المزي، يوسف بن عبد الرحمن. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. تحقيق بشار عواد معروف.

الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله. المستدرک على الصحيحين، رقم 6737 في ترقیم الطبعة العلمية، استعمل النص الرقي لتعيين شيخ مسبح، لا متابعة خبر التجارة.

الطبراني، سليمان بن أحمد. المعجم الأوسط، ج 9 ص 276، رقم 8602 في النص الرقي، شاهد تسمية مسبح العكلي البصري في خبر آخر، لا تعديل لحاله.

مسلم بن الحجاج. الصحيح، المقدمة.

معمر بن راشد. الجامع، ضمن مصنف عبد الرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي.

الدراسات السياقية

دانيال، إلتون. «خراسان: تاريخها في العصر العباسي». الموسوعة الإيرانية، مادة "Khorasan v. History in the Abbasid Period".

دو لا فيسير، إتيان. تجار الصغد، عنوان الأصل: Sogdian Traders. استعملت مواضع طرق التجارة المشار إليها في الحواشي. هيرمان، جورجينا. «مرو المبكرة والوسيط: حكاية ثلاث مدن»، "Early and Medieval Merv: A Tale of Three Cities". Proceedings of the British Academy، المجلد 94، 1997م، ص 1-43.

ملشرت، كريستوفر. «التعليم: المدرسة في العصر الوسيط»، "Education iv. The Medieval Madrasa". الموسوعة الإيرانية، المجلد 8، القسم 2، ص 182-184.

وليامز، تيم. «المشهد المكاني لمرو الإسلامية، تركمانستان: أين نرسم الحد؟»، "The Landscapes of Islamic Merv, Turkmenistan: Where to Draw the Line?". Internet Archaeology، العدد 25، 2008م.

يوسف، غلام حسين. «أبو مسلم الخراساني»، "Abū Moslem al-Korāsānī". الموسوعة الإيرانية، ص 341-344.

فهارس الرجوع

إحالات الفهارس إلى عناوين المقاطع، وهي روابط في النسخة الرقمية؛ لا تستخدم أرقام صفحات النسخة السابقة. الفهارس التالية منتقاة للأسماء والأماكن والموضوعات الرئيسة، وليست حصراً لكل لفظ في الكتاب.

فهرس الأعلام

أبو حنيفة: ما ضرب عليه في الكتب.

أبو يوسف: حين تظهر شدة الخلاف.

الحسن بن عيسى: على الطريق إلى بغداد؛ جملة قصيرة، وأصوات حولها.

الربيع بن أنس: يد تدل على الطريق.

سفيان الثوري: أي صحبة تبقى في صاحبها؟؛ عبارة في كتاب.

عبد الرحمن بن مهدي: حين يعود السؤال؛ الكتاب الذي أظهر الاسم الغائب.

عبد الله بن لهيعة: الكتاب الذي أظهر الاسم الغائب؛ حين تكون الرواية أضبط من غيرها.

علي بن الحسن بن شقيق: رفقة تحمل نفقاتها ثم تستردها.

الفضيل بن عياض: ما الذي نعرفه عن التجارة؟؛ الفضيل الذي لا تختصره العزلة.

معمر بن راشد: أكثر من وجه للأخذ.

وهيب بن الورد: أي صحبة تبقى في صاحبها؟.

فهرس الأماكن

بغداد: على الطريق إلى بغداد.

خراسان: صبي في زمن تغير الدولة.

الكوفة: بين باين؛ عبارة في كتاب.

مرو: المدينة والطريق؛ بين باين.

هيت: حين انتهت الرحلة وبقي الطريق.

فهرس الموضوعات

الإسناد: لمن يحمل الإنسان ما تعلم؟.

التجارة والنفقة: المال الذي لا تنتهي حكايته عند صاحبه.

تلقي الكتب: الكتاب لا يحمل نفسه.

حدود القدوة: أين تقع أنت من هذه الطرق؟.

حقوق أهل البيت: العطاء الذي يعرف حدّه.

اختلاف النقاد: اعتراض لا يستأثر بالكلمة الأخيرة.
العمل المعاصر: والآن... ماذا ستصنع بهذه الصحبة؟.

فهرس الأخبار المحورية

التجارة والقوت للعيال: ما الذي نعرفه عن التجارة؟؛ موضع
التوثيق.²⁰⁸

مقادير المال: ما الذي نعرفه عن التجارة؟؛ موضع التوثيق.²⁰⁹
تعليل إعانة الطلاب: حين يكون العطاء وقتاً لغيرك؛ موضع
التوثيق.²¹⁰

سؤال الفضيل عن التجارة: سؤال الفضيل؛ موضع التوثيق.²¹¹

٢٠٨ - لا يثبت بهذا الطريق تقسيم دائم للأرباح. انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم
(٣٨).

٢٠٩ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٤٠).

٢١٠ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٤٢).

٢١١ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٤١).

رفقة الحج ورد النفقات: رفقة تحمل نفقاتها ثم تستردها؛ موضع التوثيق.²¹²

دار مرو وإقامة الكوفة: بين باين؛ موضع التوثيق.²¹³

محو عبارة المناسك: عبارة في كتاب؛ موضع التوثيق.²¹⁴

رقعة الأسئلة لسفيان: عبارة في كتاب؛ موضع التوثيق.²¹⁵

الحمام المختلط: في المنزل حق لغير صاحبه؛ موضع التوثيق.²¹⁶

مشاركة الطعام: على الطريق إلى بغداد؛ موضع التوثيق.²¹⁷

٢١٢ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٤٣).

٢١٣ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٧٩).

٢١٤ - محو عبارة «قال عبد الله وبه نأخذ» لا يثبت منع تدوين آرائه كلها، ولا يثبت رد الكتاب كله أو رجوعاً عن حكم معين. انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٨٠).

٢١٥ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٨١).

٢١٦ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٨٢).

٢١٧ - فلا يصح الخبر بوجود النص أو بتعيين اثنين من رجاله. انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٨٣).

لفظ حديث الماء: حين يعود الميزان إلى صاحبه؛ موضع
التوثيق.²¹⁸

الضرب على الكتب: ما ضرب عليه في الكتب؛ موضع
التوثيق.²¹⁹

قصيدة عابد الحرمين: حين تكون الحكاية أجمل من شاهدها؛
موضع التوثيق.²²⁰

تلقي الرقائق: الكتاب لا يحمل نفسه؛ موضع التوثيق.²²¹
طريق فضل الجهاد: عنوان يصل وطريق يختلف؛ موضع
التوثيق.²²²

٢١٨ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٨٦).

٢١٩ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٨٩).

٢٢٠ - انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٩٢).

٢٢١ - وصف طرق الرواية ووسائلها لا يصحح آلياً كل حلقة أو كل متن في النسخ المتداولة. انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٩٧).

٢٢٢ - تمييز عبد الملك المصيصي من الأندلسي منصوص في القيد، ولا يصحح ذلك الطريق كله أو يطابق تلقائياً مطبوع الجهاد بطريق سعيد بن رحمة. انظر ملحق مصادر الحواشي، رقم (٩٩).